أبطال الجهاد
والبسالة في ليبيا

عمر المختار

طبع على نفقة سيادة السيد عبد الله عابد السنوسي

بقلم
محمد الطيب بن ادريس الأشهب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الحلقة الأولى

اشتهر الليبيون منذ أقدم العصور بالبطولة الرائعة التى كانت ولم تزل إحدى الصفات المميزة لليبى والممتازة عنده ، فكانت دهشة التاريخ بالغة إزاء ما أظهره الليبيون من شتى أنواع البطولة الفذة أثناء الحرب الليبية الفرنسية التى ابتدأت فى السودان سنة ١٨٩٨ م والحرب الليبية الإيطالية التى ابتدأت سنة ١٩١١ م ، والحرب الليبية الانجليزية التى كانت فى صحراء مصر الغربية ، فكانت البطولة فى كل هذه الميادين من بين الصفات الطبيعية فى دم الليبى ولحمه وعروقه . وتلازم هذه الصفة صفات لا تفترق عنها وهى الصبر والإيمان ، والتضحية ، وبهذه المناسبة أذكر كلمة اللواء السيد محمد صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين ووزير الدفاع سابقاً فى مصر ، وهو من بين الأبطال الذين عرفوا ليبيا فعمل إلى جانب أبنائها زمناً طويلا فى ميدان الجهاد جاء منها قوله . « من سره أن يرى البطولة ماثلة ، ومن سره أن يرى الإيمان مجسما ، ومن سره أن يرى التضحية تمشى على قدميها فلينظر إلى الليبى الذى حقق أعز أمانيه وآماله وأوجد دولة عربية مستقلة ذات سيادة كاملة بقيادة مليكه المجاهد المناضل الشجاع الصبور إدريس الأول حفظه الله »

تختلف أنواع البطولة بين الليبيين وذلك باختلاف الميادين التى تبرز فيها ، كما تتنوع بتنوع الأشخاص المتصفين بها وذلك حسب مكانة الشخص الليبى الفردية أو الاجتماعية فهناك مثلا من تنحصر بطولته فى ميادين القتال .

وهذه صفة يشترك فيها غالبية الليبيين ، وهناك من تبرز بطولته فى ميدان الرأى والتفكير ، وهناك من تظهر فى قلمه أو حجته . وهناك من يجمع بينها كاملة أو جلها على الأقل ، وهكذا فإن البطولة بمدلولها وبمعناها هى الصفة المحببة لليبيين ، ولذلك فمن العسير أن نصف بها شخصاً دون آخر ، أو نستوعب أنواعها فى الليبيين ، أو نفكر فى استقصاء جوانبها كما يبدو للنخيلة وكل من أراد أن يتناول موضوع الأبطال فى ليبيا وما اتصفوا به من بطولة يرد اليه طرفه خاسئاً وهو حسير حيث لم يكن من الميسور الكتابة عن جميع أفراد الليبيين فى موقف البطولة الموحد الذى يجمع بين مختلف طبقاتهم وقد حاولنا أن نجمع نبذا مختصرة عن أبرز أبطالنا فى مختلف الميادين أثناء الخمسين سنة الماضية من القرن العشرين ، وقد استعنا بمختلف الوسائل ومع ذلك لم نتمكن حتى الآن من الكتابة إلا عن عدد يسير من أبطالنا الكثيرين الذين اشتهروا بالبطولة النادرة فى مختلف الميادين الحربية والسياسية والاجتماعية التى مرت بها ليبيا منذ انبثاق فجر النهضة السنوسية حتى الآن ، وكانت النتيجة الحتمية لتلك البطولات الرائعة هى استقلال ليبيا وسيادتها ، ومع هذا الاختصار الذى لم يصل جهدنا المتواضع إلى أكثر منه فإننا لم نستطع أن ننشر ما تيسر لنا جمعه وتدوينه حتى الآن ، وقد سجلنا أسماء عدد منهم فى مجموعة مخطوطة أسميناها « أبطال الجهاد والسياسة فى ليبيا » ومن بين من تشرفت مجموعتنا المذكورة بالاشارة اليهم من أبطالنا المجاهدين هم السادة : السيد أحمد الشريف السنوسى رضى الله عنه ، عمر المختار . عبد الله حفالش ، محمد أبو عقيلة الزوى ، محمد السنى ، عبد الله طوير ، عبدالله الأشهب ، الخضير العيساوى ، حسين الجوينى محمد ابو نجوى الفحاصى ، يوسف ابو رحيل صالح الأطيوش حمد سيف النصر ، سليمان الباروني ، الحاج محمد فكيني ، يونس الصغير حدوث ، عيسى الوكواك ، الغمارى الصغير ، حمد المريض ، سوف المحمودى ، صالح

ابن اسماعيل ، صالح العوامى(١) الفضيل بو عمر ، إبراهيم الفيل ، عبد السلام الكزة ، عبدالحميدالعبار ، عمربورقيعة، أحمد العابدية ، إبراهيم أحمدالشلحى(١) عمر فائق شنيب ، أحمد التواتى ، عبد الله بن إدريس الأشهب ، عوض العبيدى . الفالح الدرسى عثمان الشامى ، عبد الله أبو سلوم أحمد العربى الغمارى وغير هؤلاء من الشهداء أبطال الجهاد والسياسة ونأمل أن نتقدم إلى حضرات القراء الكرام بهذه السلسلة التاريخية مجزأة فى حلقات متتابعة ، الواحدة تلو الأخرى. وقد يلاحظ القارىء الكريم من أبناء ليبيا — مهد البطولة — أن عدداً كبيراً من أبطال الجهاد والسياسة الذين لا يزالون على قيد الحياة . أو بعض الشهداء من الذين لم نتمكن من ذكر أسمائهم بين من ذكرنا فى هذا التمهيد . وجوابنا على هذه الملاحظة — إذا ما لوحظت — هو أننا فسحنا فى هذه السلسلة التاريخية متسعاً للعدد الكثير من أبطالنا الأحياء والأموات ولازلنا نتتبع ونبحث سيرهم العطرة باهتمام بالغ .

أما الآن ونحن نستقبل الذكرى الثانية لفقيد ليبيا الكبير السيد إبراهيم أحمد الشلحى (٢) ناظر الخاصة الملكية السابق — أحد أبطال الجهاد والسياسة فى ليبيا — وهو أحد أولئك الذين جمعوا من أنواع البطولة فى مختلف الميادين — أن ننشر الحلقة الخاصة به كقيام ببعض الواجب الذى يرزح تحته كاهل كل ليبى أزاء تاريخ بلاده المجيد وهو دين علينا يستحقه جميع الأبطال الليبيين (الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) م . الطيب الأشهب

القاهرة فى ١٠ يناير سنة ١٩٥٧

---

(١) فى لحظة من اللحظات التاريخية التى يبتسم بمثلها الحظ أحيانا كنت قد تشرفت بالمثول بين يدى مولاى الملك المعظم ادريس الأول حفظه الله ، وكان الدكتور عبد السلام البوصيرى رئيس الديوان الملكى حاضراً ، ودار الحديث عن ذكر أسماء بعض الشهداء الليبيين ، وما كانوا يتمتعون به من مكانة فى المجتمع فقال مولاى الملك حفظه الله « إنى عرفت أربعة من عظماء إخوان والدنا يتمتعون بعقلية ناضجة ونظر بعيد وتفكير سليم ودهاء عظيم ، ولنهتدى بأسمائهم من الناحية الغربية إلى الناحية الشرقية فنقول: السيد عبد اللطيف النعاس الزوى شيخ زاوية القطفية السيد السنوسى الأشهب شيخ زاوية سوس ، السيد صالح العوامى شيخ زاوية بنغازى ، السيد عبد الله الجيلانى شيخ زاوية توكره »

(٢) صدرت الحلقة الخاصة بالسيد إبراهيم الشلحى

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث المجاهدين

وصلنا والكتاب تحت الطبع عدد من الرسائل والكلمات الخاصة بشيخ الشهداء عمر المختار ، وكلها تفيض بالشعور الصادق نحو الشهيد الكبير ، ولضيق المقام رأينا أن نكتفي بكلمات قادة الجهاد الأفاضل اللواء محمد صالح حرب رئيس جمعيات الشبان المسلمين — وهو من الأبطال الذين آزروا الليبيين أثناء محنتهم وشاركوهم في ميدان القتال فأبلى فيه البلاء الحسن — وسماحة رئيس الهيئة العربية العليا الحاج محمد الأمين الحسيني مفتي فلسطين ، والمجاهد الكبير سمو الأمير محمد عبد الكريم الخطابي ؛ وفضيلة الشيخ محمد الأخضر العيساوي ففضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء ، هذا وقد جاء ترتيب الكلمات المذكورة بترتيب تاريخ وصولها إلينا الأولى فالأولى ، ويسعدنا ونحن نفتتح كتابنا هذا بكلماتهم أن نتوجه إليهم بخالص الشكر والتقدير

(١)

قال السيد اللواء محمد صالح حرب بعد البسملة والتحية

« لقد قرأت كتبك التي أصدرتها (المهدي السنوسي ، السنوسي الكبير إدريس السنوسي الحلقة الأولى من سلسلة أبطال الجهاد) فكنت بذلك أستعرض ذكريات يعلم الخاصة بجلّتها وإن كان يغرب عن العامة بعضها ، وأجيالنا القادمة بل والمعاصرة في حاجة لدراسة تاريخ الجهاد

السيد اللواء محمد صالح حرب

وماضى المجاهدين لما فى ذلك من الاستفادة والاعتزاز والفخر ، كما وإن دراسته من شأنها إيقاظ الهمم وتحفيزها للاقتداء بالسلف الصالح .

ولقد سررت بما علمته من إنك فى صدد إصدار الحلقة الثانية من سلسلة كتابك أبطال الجهاد والسياسة فى ليبيا ، تلك الحلقة الخاصة بشيخ الشهداء عمر المختار ، لتضيف اليوم من سجل الخالدين إلى المكتبة العربية أسماً إذا ما ذكر حياه السيف مصلتاً فى سبيل الله ، وخشع القلم إجلالا لذكراه ، ونطق كل لسان بما قدمه عمر المختار إرضاء للوطن وابتغاء لوجه الله ، وأشار كل بنان إلى قبره الطاهر ليقول هنا يرقد بطل الأبطال والمثل الحى للجهاد بين الرجال رضى الله وأرضاه وأكرم مثواه . فجزاك الله خير ما يجزى به العاملين المحسنين المخلصين . إنك أتخذت من الولاء قلماً ومن الوفاء مداداً ، ومن الإخلاص نبراساً ومن الحقيقة مادة ، ومن الفناء فى حب آل البيت الرفيع العماد الهاماً ذلك البيت السنوسى الكريم العظيم الذى بعث الجهاد ، بعد أن أطمأن المسلمون إلى الرقاد ، وجدد الدين القويم ، فهدى به إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ، لك الله يا أستاذ فى جهادك الذى أبليت فيه باحثا منقبا ، وكتبت للتاريخ فجئت منصفاً مدققاً ؛ وهكذا أغنيت مكتبة الخالدين ، لأنك استمديت التوفيق من المدد الروحى الفياض ، ومن إخلاصك لسيد البلاد العامل ليله ونهاره لما يسعد شعبه ويرضى ربه وارث المجد من أطرافه الملك المعظم إدريس الأول الذى لم يقف فضله الواسع عند حد تكريم الأحياء من المجاهدين الصادقين ، والعاملين المخلصين ، بل شمل هذا الفضل والبر منه أولئك الراحلين من الفانية إلى الباقية ، وأولئك الذين جاهدوا فى الله حق جهاده فرفعوا ليبيا بقيادته وبتعاليم آبائه إلى المقام الأسمى حتى أصبحت بذلك رمزاً للبطولة والتضحية ، وعنواناً للصبر المرير الجميل فى سبيل الله والوطن

لم يقف حفظه الله عند حد تكريم الأحياء ، بل أراد أن يجتمع للشهداء

ما أسبغه عليهم مالك الملك فى جنة عرضها السموات والأرض ، وما أضفاه عليهم عبد مولاه الملك المعظم إدريس الأول من تخليد ذكراهم ليبقى مابقيت الحياة الفانية ، ولذلك جاء فى كتابه لكم ؛ وهو الكتاب الذى توجتم به الحلقة الأولى من سلسلة كتابكم أبطال الجهاد والسياسة فى ليبيا قوله حفظه الله [وأننا لنرجو الله تعالى أن يوفقكم فى عملكم التاريخى لخدمة بلادكم وأبنائها البررة الذين بذلوا صادق الجهد والجهاد فى خدمتها والوفاء لها] أدام الله عليك يا أستاذ عطف سيد البلاد ورضاه . وحفظه الله وأبقاه وأمد فى عمره المبارك ذخراً وسندا .

٩ جماد الأولى سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ١ نوفمبر سنة ١٩٥٧ م

(٢)

وجاءنا بقلم المجاهد الكريم سمو الأمير محمد عبد الكريم الخطابى قوله :

بعد التحية :

لقد أطلعت على الحلقة الأولى من سلسلة أبطال الجهاد والسياسة فى ليبيا . وبدراستها أضفت إلى معلوماتى الكثيرة عن فقيد ليبيا المرحوم إبراهيم أحمد الشلحى معلومات أخرى تجعلنا نذكر الفقيد الكريم كلما أدى الحديث بنا إلى ذكر الجهاد والمجاهدين. فما أحوجنا نحن المسلمون إلى مثل هذه الذكريات التى تحرك فى نفوسنا ذكر الأبطال من امتنا أولئك الذين « صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه . ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » ولقد علمت أن الحلقة الخاصة بالمجاهد الكبير فقيد الإسلام والمسلمين السيد عمر المختار هى فى طريق النشر وإننى أقدر لكم هذا المجهود العلمى التاريخى النافع الذى يكشف لأمتنا عن نواحى التضحية والبطولة والإخلاص الكامنة فى شخصيات المجاهدين من الأمة الإسلامية المكافحة لنيل حريتها وإحياء مجدها . وكان السيد عمر المختار شيخ شهداء ليبيا الشقيقة فى طليعة

سمو الأمير محمد عبد الكريم الخطابي

أبطال الجهاد الأشاوس الميامين رحمه الله وجعل الجنة مأواه وأثابه عن الإسلام والمسلمين خير مايرجوه العامل الصادق والله سبحانه وتعالى أسأله أن يوفق ليبيا الشقيقة لاحياء ذكرى أمجادها ويحفظ لها قائدها الأول ورائد مجدها جلالة الملك إدريس السنوسى ويوفقكم لاتمام هذا العمل الجليل

١ جماد الثانية سنة ١٣٧٧

(٣)

الكلمة التالية بقلم المجاهد العربى الكريم الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، قال بعد البسملة

لقد كان لقضية ليبيا أثر فى نفسى ، منذ عهد الصبا عند ما كنت طالبا فى المدرسة الثانوية بالقدس فتأثرت كثيرا لما أصاب هذه البلاد الشقيقة من عدوان سافر ، وظلم غاشم ، ولم أكن أظن ، وأنا فى مثل تلك السن المبكرة ، أن تبلغ القسوة والظلم فى بنى البشر مثل هذ المبلغ ولا كان يخطر لى على بال أن ما أصاب ليبيا الشقيقة بالإحتلال الإيطالى عام ١٩١١ سيصيب فلسطين أيضا بالإحتلال البريطانى عام ١٩١٧

لقد كنت عندئذ فى بدء عمرى ومستقبل حياتى ، فأثارتنى قضية العدوان على ليبيا ، وملكت على لبى ، واستولت على كل جوارحى فكان أول ماسطره قلمى الانتصار لقضيتها ، والذود عن حقوقها واستنكار عدوان المعتدين عليها ، والأعراب عن إعجابى بشعبها الصابر المجاهد ، وتقديرى أبطالها الغر الميامين الذين خلدت اسماؤهم ، وملأت قلبى بطولاتهم .

ولقد تتبعت تطورات هذه القضية ، وقرأت كل ما استطعت الوصول إليه من تاريخها وأخبارها ، وأعجبت إعجابا كبيرا بالسنوسية العظيمة ، أعجبت بروحها ونظامها وثقافتها وخطتها القويمة وطريقتها المستقيمة ، وأعمالها الرائعة فى ميادين التربية والتعليم والجهاد فى سبيل الله وشؤون المجتمع من إقامة العدل ، وحفظ الأمن والسلام حتى فى جوف الصحارى الواسعة ،

والفيافى النائية ، وبين العشائر البدوية ، والقبائل الزنجية الأفريقية ، وقدرت كل ما أسلفته السنوسية من خدمات جليلة للإسلام والعروبة ، وما قامت به من جهاد عظيم وكفاح رهيب ضد الإستعمار فى تلك الديار وقد ازددت حبا لهذه البلاد ، وإعجابا بها بعد زيارتى لها فى العام الماضى مع عدد من فضلاء العالمين العربى والاسلامى لشهود الاحتفال الذى أقيم لمناسبة مرور مائة عام على وفاة مؤسس السنوسية السيد محمد بن على السنوسى رضى عنه ، فاستمتعت برؤية ذلك القطر الشقيق وسعدت برؤية ذلك الشعب الحبيب الذى كانت تحدثنا عنه الركبان ، وتنقل إلينا الصحف والبرقيات من أنبائه ما أمتلأ به الخافقان :

حتى التقينا فلا والله ماسمعت إذنى بأعظم مما قد رأى بصرى

وحمدت الله حمدا كثيرا على مامتعنى به من زيارة ليبيا بعد أن زال عنها الأذى والبلاء ، ونعمت بالسيادة والاستقلال ، ولقد لقينا خلال زيارتنا لها من الحفاوة والعناية والرعاية ، فى جميع المناطق التى زرناها ، وفى بنغازى والبيضاء ، وشحات فى الجبل الأخضر ، ودرنه وطبرق وجغبوب ، وأخيرا طرابلس ما أقر العيون وأثلج الصدور ، وجل عن الوصف ، وأطلق الألسنة بوافر الشكر ، وعظيم الثناء على هذه البلاد الكريمة ملكا ، وشعبا ، وحكومة ، وأن ننس لا ننسى ماوفرته الحكومة الليبية لزوارها ، بلفتة ملكها الجليل إدريس الأول أيده الله ووفقه لخدمة الاسلام والعرب ، ومن وسائل الراحة والرفاه فى رحلتنا إلى جغبوب مسيرة مئات الكيلومترات فى جوف الصحراء ، اذ فوجئنا فى منتصف الطريق وفى ظلام الليل بالأنوار تتلألأ وتأخذ بالأبصار فى بقعة صحراوية لا عهد لها بذلك من قبل ، فلما وصلناها ألفينا مخيما رائع المنظر بديع التنسيق والترتيب ، توفرت فيه للزائرين كل وسائل الراحة ، مما لم يخطر لهم على بال ، فى مثل تلك الحال .

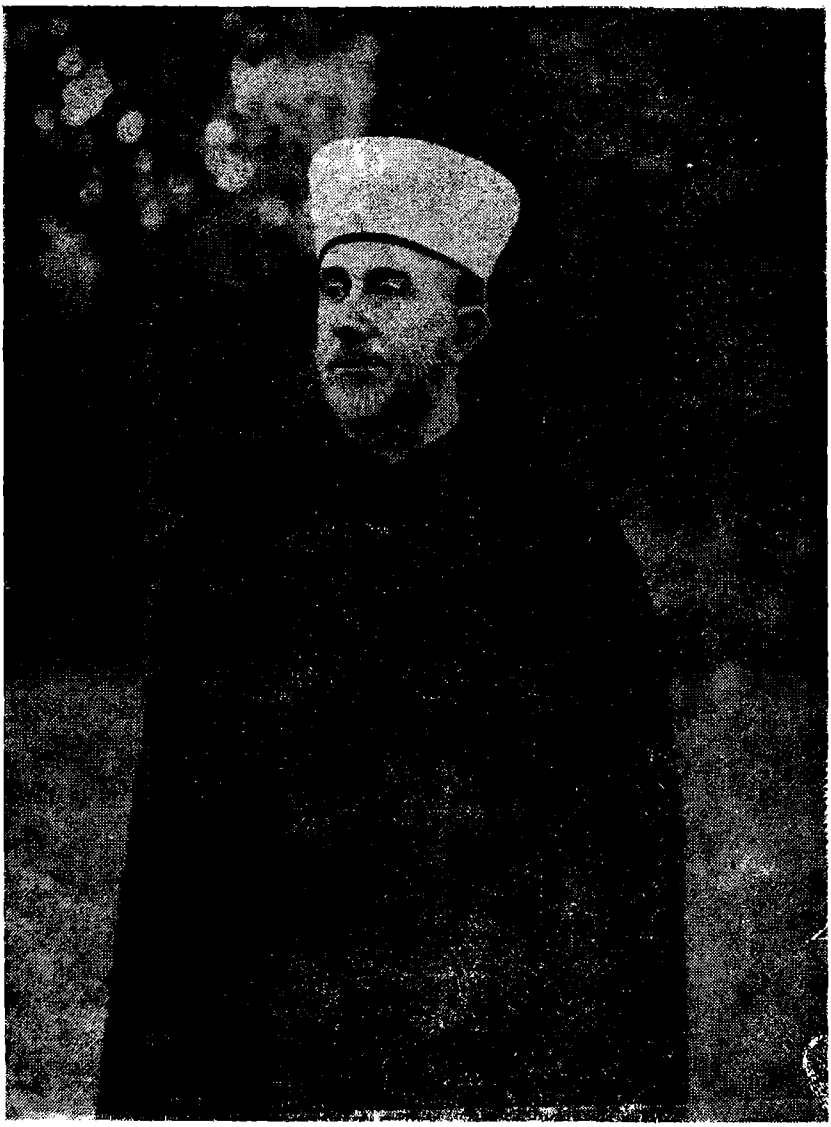

صاحب الفضيلة الحاج محمد أمين الحسيني
مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربيـــة العليـــا

وكانت خاتمة تلك الرحلة الطويلة استمتاعنا بزيارة «جغبوب» تلك الواحة الشهيرة التي ضمت رفات المؤسس العظيم والمصلح الكريم السيد محمد ابن علي السنوسي طيب الله ثراه ، وتغمده برحمة منه ورضوان ، فزرنا الضريح الطاهر والمسجد الكبير المجاور ، والمعهد العلمي السنوسي الذي أفاض على تلك البقعة الطيبة وعلى الأقطار المجاورة من نور الدين والعلم والخير مالا سبيل إلى حصره رضي الله عن ذلك المصلح الكبير الذي كان أحد أفذاذ المسلمين وجزاه خير مايجزي به عباده الصالحين واولياءه المقربين ، فقد أدى للإسلام خدمات عظيمة بقوة إيمانه وتقواه ومضاء عزيمته وعلو همته وبعد نظره الذي برهن عليه باقامته صرح السنوسية على أساس متين وركن ركين من التربية الصحيحة المستمدة من معين الدين والعلم ولا عجب فان التربية القويمة هي الدعامة الأولى لكل إصلاح ونهضة وقد كان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة إذ ربى أصحابه وآله تلك التربية السامية التي طبعتهم بطابع الاخلاص والصدق والخلق الكريم ، وجعلت كل واحد منهم مربيا لآله وأصحابه وقومه وعشيرته وبيئته ، فنشأ من ذلك مجتمع نقي طاهر يسيطر عليه الإيمان والخلق القويم الذي قامت عليه دعائم الإسلام ، ولم يلبث أن انتشر الإسلام في العالم يحمل إلى الناس الهداية والخير والأمن والسلام . ولقد شاهدت نموذجا حيا لهذه التربية الإسلامية السنوسية ، ومثلا طيبا من أمثلتها الرائعة في شخص المجاهد العظيم والإمام الكريم السيد أحمد الشريف السنوسي رحمه ، وسعدت خلال زيارته لبيت المقدس عام ١٩٢٤ بنزوله ضيفا كريما مكرما علي وكان سيادته قادما من تركيا بطريق دمشق ومتوجها إلى الحجاز ، فكان لتلك الشخصية التاريخية الكريمة التي تفيض إيمانا وصلاحا وتقوى وسماحة ، أعظم الأثر في نفسي ونفوس الفلسطينيين جميعا

ولقد كان اقتداء السيد محمد بن علي السنوسي بالرسول الأعظم

صلى الله عليه وسلم فى إقامته حركه على أساس التربية الاسلامية ، السبب الأكبر فى نجاح السنوسية التى أنشأت الزوايا فى كل قطر وصلت إليه وجعلت منها معاهد للتربية الصحيحة من تعليم وتثقيف وتدريب وتهذيب ، فكان من خريجى هـذه المعاهـد السنوسية ، البطل المغوار عمر المختار

لقد كان البطل عمر بن المختار ، ربيب هذه المعاهد ، وابن تلك البيئة الطيبة ، وقد أنبته الله نباتا حسنا فنشأ فى طاعة الله فى قبيلته ، المنفه ، من أكبر قبائل بادية برقة ، ثم انتقل إلى معهد جغبوب حيث تلقى العلم والدين ، وتربى تربية المؤمنين الصالحين ، فلما بلغ أشده واستوى ونال ثقة رئيسه الأعلى السيد الإمام محمد المهدى السنوسى طيب الله ثراه ، ولاه شيخا على زاوية ، القصور ، ثم سافر إلى السودان مع السيد المهدى الذى كان يثق به ويثنى عليه أطيب الثناء .

وقد كان لعمر المختار شرف المشاركة فى الجهاد منذ بدء العدوان الإيطالى على بنغازى فى الرابع من شوال سنة ١٣٢٩ فشهد معارك كثيرة يدل على وفرتها بيان للجنرال غراسيانى القائد العام للجيش الإيطالى الذى ذكر فيه : أن المعارك التى وقعت بين جنوده وبين عمر المختار كانت مائتين وثلاثاً وستين معركة فى مدة لا تتجاوز عشرين شهراً وهى المدة التى تبتدىء بتولى غراسيانى القيادة وتنتهى باستشهاد عمر المختار ويقول المطلعون على تاريخ جهاد ليبيا أن مجموع المعارك التى شهدها عمر خلال عشرين عاماً تقارب ألف معركة وكان له فيها مواقف مشهورة ، ولا سيما عندما تولى قيادة الجهاد فى الجبل الأخضر ، فاداره ببسالة نادرة وبراعة عظيمة وبثبات عجيب وصبر على المكاره ولم ينخدع بوعود المستعمرين الخلابة التى حاولوا أغراءه بها أثناء مفاوضاتهم العديدة معه ، ولم يثنه الوعيد والتهديد عن خطته ، واستمر على جهاده رغم

محاولات الأعداء بوسائلهم الوفيرة وأعدادهم الكثيرة أن يمنعوا المؤن من الوصول اليه ، ويقطعوا جميع السبل عليه ، ويحاصروه بالجنود والمخافر ولم يكتف الأعداء بذلك حتى مدوا الأسلاك الشائكة المزدوجة على الحدود المصرية — الليبية مما يلى جغبوب إلى بردى سيمان مسافة نحو ثلاثمائة كيلو متر وقد رأيت هذه الأسلاك المنيعة خلال زيارتى لجغبوب ، وبذلك حالوا بينه وبين كل عون وتموين ضرورى لحياة جيشه

ومما يثير فى النفس كوامن الأسى ، ويبعث على أشد الأسف ، أن العرب والمسلمين خذلوا هذا البطل الكرار عمر المختار ، الذى ليس له نظير فى صدق جهاده وعظيم بلائه إلا المجاهدون الأولون فى صدر الإسلام ، فلم يساعدوه بمال ، ولا أمدوه برجال ، كما هو ديدنهم فى العهود الأخيرة فى خذل المخلصين من المصلحين المجاهدين ، وكما خذلوا مجاهدى فلسطين عند احتدام المعارك بينهم وبين اليهود عام ١٩٤٨ ، وضنوا على قائدهم الشهيد السيد عبد القادر الحسينى ببضع رشاشات بينما كانت مخازن « اللجنة العسكرية » التى تتألف من مندوبى الدول العربية للإشراف على الحرب الفلسطينية ، تزخر بمئات المدافع والرشاشات ، وضنت عليه ببعض المال بينما كان لديها ثلاثة ملايين من الجنيهات جمعت باسم المجاهدين الفلسطينيين ، فلم يجد هذا المجاهد الشهيد ما يبذله ، فى معركة « القسطل » الشهيرة لزحزحة القوات اليهودية على جبل القسطل المنيع المسيطر على طريق القدس — يافا ، إلا دمه وروحه ، فبذلها بسخاء بعدما استولى على ذلك الموقع الحصين وطرد اليهود منه . وقضى شهيدا كريماً كما قضى سلفه الشهيد العظيم عمر المختار قبله محروماً أثر وقوعه فى الأسر فى الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٥٠ وقد نقله الأعداء إلى بنغازى وحاكموه فيها محكمة عسكرية ظالمة حكمت عليه بالإعدام ، فلم يخشع ولم يستخذ لحكم الجائرين بل ظل ثابتاً كالطود الراسخ . وفى الرابع من جمادى الأولى سنه ١٣٥٠ الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١ ، أقاموا حفلا عسكرياً

رهباً واحضروا جميع المعتقلين ليشهدوا مصرع البطل وتنفيذ حكم الاعدام فيه ، وحلقت الطائرات في الجو لتزيد بأزيزها الموقف رهبة ، وقد أعدم الشهيد شنقاً ، فصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها القوى القاهر فوق عباده والذى يمهل ولا يهمل ثم ينتقم من الظالمين ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر وإن بطش ربك لشديد

وقد لحق عمر المختار بقافلة الشهداء الأبرار مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. ولقد كان لإعدامه رحمه الله أعظم تأثير فى نفوس المسلمين والعرب فقامت عليه المآتم فى كثير من الأقطار العربية والإسلامية وأذاع مكتب المؤتمر الإسلامى العام فى القدس نداء إلى سائر الأقطار الإسلامية لإقامة صلاة الغائب عليه والإحتجاج على إعدامه ، وقد صلينا عليه فى المسجد الأقصى المبارك ، كما صلى عليه فى جميع مساجد فلسطين ، وغيرها من المساجد فى سورية ومصر . وسمّت بعض مدن فلسطين كشافة مدارسها باسم كشافة عمر المختار ، كما أن مدينة « غزة » الفلسطينية عملت على إحياء أسمه فسمت أكبر شارع فيها باسم « شارع عمر المختار » ولما اعترض على ذلك الحاكم الإنكليزى بناء على إحتجاج القنصل الإيطالى : أجابه رئيس بلدية غزة حينئذ المرحوم السيد فهمى الحسينى بكتاب جاء فيه : .... كما سمحتم لبلدية تل أبيب بتمجيد إسم هرتسل وبلفور فان لبلدية غزة كل الحق فى تمجيد ذكر البطل الشهيد عمر المختار ، فإذا كانت ذكراه تسىء إلى إيطاليا ، فذلك ما اقترفته هى

وقد رثاه الشعراء والأدباء ، واحتفلت بذكراه الجمعيات والنوادى والمجامع وكان من خير ما قيل فيه قصيدة المرحوم أحمد شوقى الشهيرة :

ركزوا رفاتك فى الرمال لواء يستنهض الوادى صباح مساء

ومنها :

خيرت فاخترت المبيت على الطوى ... لم تبن جاها أو تلم ثراء
أن البطولة أن تموت على الظما ... ليس البطولة أن تعب الماء

ولقد زرت ضريحه الطاهر بالقرب من بنغازى . فذكرت مواقفه العظيمة وخدماته الجليلة رحمه الله وطيب ثراه وجعل من سيرته قدوة حسنة ومثلا أعلى للمسلمين والعرب وهداهم إلى الصراط المستقيم وإلى الرجوع إلى الله ، وإلى التربية الصحيحة الإسلامية التى قامت عليها السنوسية ، فربت النشء تربية دينية صالحة كان البطل المغوار عمر المختار نموذجاً لها ، وكانت الحافز الأساسى للجهاد فى سبيل الله والذود عن الوطن ، والصبر عند اللقاء ، والإستمرار على التضحية والفداء ، إلى أن جاء النصر الذى وعد الله به المؤمنين الصالحين العاملين بقوله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ،

وبذلك نجت ليبيا العزيزة المجاهدة من جور الظالمين ، ونالت إستقلالها وتأسست الدولة الليبية المتحدة ، بفضل الله وبفضل التربية السنوسية المنبثقة من الروح الاسلامية والتربية المحمدية .

(٤)

وجاءتنا الكلمة التالية من فضيلة المؤرخ الليبى الشيخ سيدى محمد الأخضر العيساوى يتحدث فيها عن شيخ المجاهدين السيد عمر المختار قال

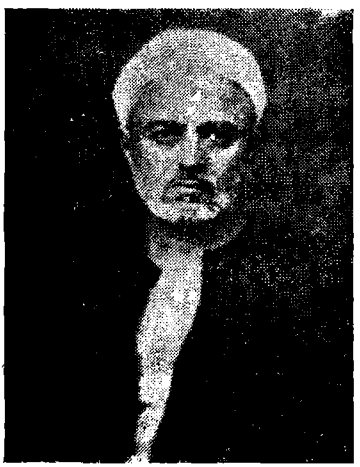

فضيلة الشيخ محمد الأخضر العيساوى

عرفت عمر المختار قبل الحرب الليبية الإيطالية بمدة ، وفى أثنائها وبعدها حيث كنت جنديا من جنود الوطن ضمن أبناء الإخوان السنوسيين أبان تلك الحرب ، كان السيد عمر المختار عندما حصل هجوم إيطاليا الغادر متغيبا فى زيارة للسادة السنوسيين بالكفرة ، ولم يعلم عن الهجوم الإيطالى إلا بعد وصوله إلى بلد جالو وهو راجع فجد فى السير حتى وصل إلى زاويته (القصور) ووجد أمامه السيد أحمد العيساوى شيخ زاوية بنغازى الذى وصل إلى زاوية القصور أيضاً ليتفقد شؤن عائلته وكنت وقتئذ بمعيته إذ كان خروجه من مدينة بنغازى فجر ليلة ٢١ شوال ١٣٢٩ تحت وابل من قنابل الأسطول الإيطالى ، وشرع السيد أحمد العيساوى يشرح للسيد عمر كيف حصل الغزو والظروف المحيطة به ، وأفاد بأن برقية وصلت من وزارة الحربية العثمانية إلى قائد حامية بنغازى تأمره بالابتعاد عن

أميل سان لو (مندوب هايتى) أنظر ص ١٧٩

رمى مدافع الأسطول كما وصلت برقية أخرى لحكومة بنغازى المحلية تحمل الأمر بتشريك السنوسيين معها فى كل كبيرة وصغيرة وكان بالفعل حضور السيد أحمد العيساوى لمجالس الحرب التى تم انعقادها قبل الإحتلال بأيام معدودة وقد كتب لزملائه مشايخ الزوايا بذلك ليستنفروا الأهالى للجهاد تلبية لداعى الوطن وكان ردهم إيجابيا وحضر أكثرهم إلى الميدان مسرعاً ، وبدأ حشد المجاهدين فى موقع بنينة الذى وقع عليه الإختيار ، وفى هذا الموقف كان القائد العثمانى معسكرا فى موقع الآبار وهو فى طريقه إلى مصر ، بينما كان متصرف بنغازى العثمانى قد سافر بحرا عن طريق روما إلى الإستانة ، كان السيد أحمد العيساوى وبعض من الإخوان قد طمأنوا القائد العثمانى بأن الأمة كلها على قدم وساق للدفاع عن الوطن وشاهد هذه الحالة هو موقف الجميع ضد العدو بحيث لم يتمكن من إحتلال بنغازى إلا بعد أن دفع الثمن باهضاً وقد وصلت طلائع المجاهدين الواحدة تلو الأخرى ومن بين الأوائل كان السيد عمران السكورى شيخ زاوية المرج ومعه ثلاثماية مقاتل مزدوين بجميع لوازمهم فكانت هذه البداية المطمئنة عاملا لبقاء القائد العثمانى بجانب المجاهدين وعودته من الآبار إلى بنينة ، وقد أوضحت هذه المعلومات للسيد عمر المختار طريق العمل الجديد فأمر فى الحال بتجنيد كل من كان صالحاً للجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزاويته (القصور) فاستجابوا نداءه وأحضروا لوازمهم ، وحضر أكثر من ألف مقاتل ، وكان عيد الأضحى من نفس السنة الهجرية على الأبواب أى لم يبق عنه إلا ثلاثة أيام فقط ولم ينتظر السيد عمر المختار عند أهله حتى يحضر معهم بهجة العيد فذهب برفاقه من المجاهدين وقضوا يوم العيد فى الطريق وكانت الذبائح التى نال الجيش من لحومها يوم العيد هى من السيد عمر شخصياً ، ووصل المجاهدون وعلى رأسهم السيد عمر يرافقه السيد أحمد العيساوى إلى موقع بنينة حيث حشود المجاهدين التى ابتهجت بمقدم السيد

عمر ورفاقه واستقبلته بمزيد السرور والفرح والاطمئنان ، ومن ثم شرعوا يهاجمون العدو ليلا نهاراً وكانت غنائهم من العدو تفوق الحصر ، وبمناسبة صحبتي للسيد عمر في هذه الرحلة توثقت بيني وبينه عرى الصداقة وعرفته عن كثب ، وقد شرفني الحظ بأن كنت زميله القريب منـــه في معركة (السلاوي) وقد فاجأنا العدو فقابله من المجاهدين الخيالة ، بينما كان العدو يضربنا مدافعه الرشاشه واضطررنا للنزول في مكان منخفض مزروعا بالشعير ، وكانت السنابل تتطاير بفعل الرصاص المنهمر فكأنها تحصد بالمناجل ، وبينما نحن كذلك إذ رأينا مكانا منخفضا أكثر من المكان الذي نحن به ، وأردنا أن يأوي إليه السيد عمر المختار بسبب خوفنا عليه فرفض بشدة حتى جاءه أحد أتباعه يدعى السيد الأمين ودفعه بقوة إلى المكان الذي اخترناه لايوائه وحاول الخروج منه فمنعناه بصورة جماعية ، وشاء الله أن لايصاب منا أحد إلا حصانا لأحد المجاهدين من قبيلة الدرسا ، وهذه الواقعة حضرها عمر باشا منصور وكان قد جاء مرشحا نفسه لمجلس المبعوثان العثماني يومئذ فسقط منه الفرفر (المسدس) وكان متحزما به وعثر عليه أحد المجاهدين فسلمه إياه .

وبما أن الحديث يطول عن السيد عمر المختار لا أريد أن استوعبه إلا إنني اشيرهنا إلى إعجاب ضباط الأتراك به وبشجاعته وبالآراء السديدة التي تصدر عنه فكأنما هي تصدر من قائد ممتاز تخرج عن كلية حربية عسكرية ، وكان قدومه إلى معسكرات المجاهدين مشجعاً وباعثا للروح المعنوية في قوة خارقة ، وهكذا استمر تدفق المجاهدين على الميادين حتى قدر عددهم وقتذاك بثمانين ألف مجاهد وبدأت الإعانات تصل إمن مختلف الجهات ، والفضل في ذلك يرجع لمشايخ الزوايا السنوسية إذ لولا السنوسية — كما قال الأمير شكيب أرسلان — لأخذت إيطاليا ليبيا كلها في شهرين ، وبمناسبة الحديث عن شيخ الشهداء عمر المختار تذكرت مسألة وقعت من زمن الصعر والشيء بالشيء يذكر وهي :

كان الحاج الصالحين بن زبلح مديراً لقبيلة البراعصه ، وهو من إحدى كبريات الأسر البنغازية ، وكان عميد قبيلة البراعصه الحاج مازق بوبكر حدوث قد وصل إلى بنغازى قبل الإحتلال الإيطالى بعدة سنوات فنزل ضيفاً على مدير القبيلة المذكور وأخذ المدير يتغالى فى اكرام ضيفه ، وكان طعام الأفطار من النوع المعروف (بالعصيدة) والزبدة الطازجة والعسل يومياً وهو النوع المحبب عند الحاج مازق ، وفى غالب الأحيان يحضر طعام الأفطار الحاج منصور كاهية وعمى السيد عبد العزيز العيساوى ، وكنت أحضر مرغماً وبالأمر من الحاج منصور مع عمى المذكور ، وكنت استمع وانا صغير السن لهذه المجموعة الفاضلة عند ما تأخذ بأطراف الحديث أثناء تناول شاى الأفطار ، ومن بين مالازلت احتفظ بذكره من أحاديثهم وأتذكره قول الحاج منصور كاهية «لو أن لى من الأمر شيء لجعلت السيد عمر المختار هو القائد العام للمجاهدين عندما يغزو النصارى بلادنا » وأمّن الجميع على ذلك ووافقوا بالاجماع ، وذلك فى الوقت الذى لم يخطر فيه بالبال أن الطليان سيغزو بلادنا ، وبهذه المناسبة قال الحاج مازق حالفاً : (على اليمين إن جاء النصارى للوطن وأنا حي ماأعطيها عليهم منها جيبه) وهكذا فقد تنبأ المجاهدون قبل أن يحصل الغزو بسنوات والمؤمن — كما هو الصحيح — ينظر بنور الله وفعلا فقد تحققت أمنية أو نبوءة الحاج منصور كاهية وتولى السيد عمر المختار قيادة المجاهدين وكان أحق بها وأهلها ، وشاء الله سبحانه وتعالى أن اترك بلادى فى سبيل العلم حيث جاورت بالازهر الشريف وانقطعت عن السيد عمر المختار إلا بواسطة الرسائل حتى أراد الله تعالى أن يزور مصر فى سنة ١٩٢٣ فاتصلت به ولازمته عندما حل ضيفاً كريماً على سمو أمير البلاد السيد محمد إدريس « ملك ليبيا المعظم ، وإنى لأذكر أن السيد السيد عمر المختار لما وصل إلى مصر كما ذكرت كان عدد كبير من قبيلة المنفا التى ينتسب اليها مستوطنة فى مصر ، وعلى الأخص فى الأسكندرية وقرر أعيان ووجهاء وشيوخ القبيلة أن يجمعوا أمرهم ويستعدوا

لمقابلة السيد عمر المختار والاحتفاء به ووصل إليه خبر ذلك فسأل عما إذا كانوا قد قاموا بواجب الترحيب بسمو الأمير عندما وصل إلى مصر ، وعلم أنهم لم يقوموا بذلك واعتذروا على هذا الخطأ غير المقصود وكان سوء حظهم قد حرمهم من أداء هذا الواجب وهنا رفض السيد عمر المختار قبول دعوتهم أياه ، وقبول الاحتفاء به كما رفض مقابلة أعيانهم وشيوخهم محتجاً عليهم بلهجة شديدة ، ومن بين ماقاله « كيف تظهرون لى العناية وتحضرون لمقابلتى وانتم الذين تركتم شيخى الذى هو ولى نعمتى وسبب خيرى ، أما وقد فعلتم ذلك فإنى لا أسمح لكم بمقابلتى ولا علاقة من الآن بينى وبينكم » استمر السيد عمر المختار صابرا مخلصا صادقاً وفيا لولى نعمته ولعقيدته ولوطنه إلى أن كتبت له الشهادة « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » رحمه الله وأسكنه الجنة مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً

(٥)

وجاءتنا الكلمة التالية بقلم صاحب الفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء قال بعد البسملة

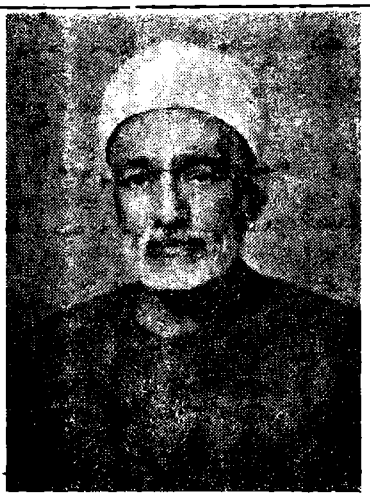

فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على قدوة المجاهدين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن جاهد لنصر دعوته ونشر سنته وتبعه بإحسان إلى يوم الدين

وبعد : فإن الشهادة فى سبيل الله حياة خالدة لا ينالها إلا الأتقياء المجاهدون ولا يوفق لها إلا السعداء الفائزون الذين يرون فى طاعة الله عزاً ، وفى معصيته ذلا ، وفى الجهاد

فى سبيل الله غنما . وفى الموت فى ساحه حياة إيماناً بالله وتصديقاً وثقة بوعده فى قوله فى محكم كتابه

« ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين »

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضى الله عنه « ما من عبد يموت له عند الله خير يسرّه أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى »

* * *

وعمر المختار «طيّب الله ثراه» أحد أولئك الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله إيماناً واحتساباً فأحياهم الله حياة أخرى أعزّ وأكرم ، وأبقى وأدوم ، فيها روح وريحان ، ونعيم ورضوان ، وجُود وإحسان وفيها لقاء بالنبيين والصّديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، فى مقاعد الصّدق وغُرُفات الجنان

وهو كذلك حىّ بيننا ببطولته وصدق بلائه فى جهاده وما ضرب من أروع الأمثال فى ساحة الكفاح والنضال ، يتردد إسمه على كل لسان وتطيب ذكراه فى كل آن ، فهو الأنشودة العذبة للشباب المتوثب للجهاد والتضحية ، والقدوة الماثلة للشيوخ الأباة للضّيم الذادّة عن الحرمات الأبطال المجاهدين .

* * *

نشأ عمر المختار نشأة إسلامية عربية صريحة ، أبيّ النفس ، صافى القلب عيوفاً غيوراً ، شجاعاً مقداماً انخرط منذ شبابه فى سلك الدعوة السنوسية مؤمناً بها مخلصاً لها مجاهداً فى نشرها فكان محل الثقة وموضع الرضا من إمامها ثم كان بذلك علماً من أعلامها وبطلا من أبطالها الذين أبلوا بلاء حسناً فى الدفاع عن الوطن وردّ عادية الاعتداء الأثيم .

* * *

وما الدعوة السنوسية التى نادى بها الإمام المجاهد السيد محمد بن على السنوسى إلا دعوةَ الحق وصوتَ الإسلام ونفحةَ البعث فى هذا الزمان على الهُدَى والخير تقيم السُّنن وتحارب البدع وتروض النفوس الجامحة وتدنيها من كتاب الله حتى يكون سمعها الذى به تسمع وبصرها الذى به تبصر وإمامها الذى به تقتدى ومن هَدْى النبوة حتى يكون شعارها ودثارها ونورها الذى تستضىء به فى حالك الظلم .

قامت بذلك كله الزوايا السنوسية التى أسسها الامام الأول ونماها الامام الثانى السيد المهدى السنوسى فى الصحارى الشاسعة فبدل جهلها علماً وخوفها أمناً وجدبها خصباً وموتها حياة فكانت فيها وفيما يليها من القرى والواحات مساجد عبادة ، ومعاهد علم ، وثكنات جند ، ومأمن الخائف ، ونزلَ أبناء السبيل ، ومحطّ رحال التجار ، وكانت خير مؤسسة أحيت تراث الاسلام فى هذه البقاع ونزعت من القلوب البدع والجهالات ، وحبّ التغاور والاستلاب ، وربطت بينها برباط الأخوة الرحيمة ، وحبّبت إليها الجهاد فى سبيل الله تلبيةً لنداء الاسلام وغوثاً للوطن الذى أنتهك المستعمرون حرماته ، وأجمعوا أمرهم على استلابه والقضاء عليه .

* * *

كان الامام السنوسى رضى الله عنه فقيهاً فى دين الله مجتهداً بصيراً بالزمن وأحداثه عليماً بما يدبره أعداء الاسلام للقضاء على شعوبه وأقطاره فى إفريقيا وغيرها كأنما يقرأ فى كتاب فلم يجد للعلاج سبيلا سوى أن يوجه المسلمين إلى الخير ويعود بهم إلى حظيرة كتابهم الكريم وهَدْى رسولهم العظيم وفيهما لمن اعتصم بهما النجاة والأمن ، والعزة والقوة . فيهما الحق والعدل والعلم والعمل والنصيحة والتعاون على البر فيهما احترام الحقوق والذود عن الحرمات فيهما الدعوة إلى الفضائل والمكرمات فتفتقت فكرته الثاقبة عن إنشاء هذه المؤسسات التى أسماها « الزوايا » فى أطراف الأمصار تضم بين جوانحها أبناء الصحارى الذين لم يتدنسوا بأوضار المدنية الكاذبة وفيهم النخوة والعزة وتقديس الفكرة الصالحة والانقياد المخلص للدعوة الاسلامية الخالصة فكان له ما أراد بتوفيق الله تعالى .

* * *

وكان شيوخها من خيرة الاخوان الذين تربوا تربية صالحة على يد الامام وخلفائه الأعلام وتخرجوا فى ظلال هذه الدعوة الاسلامية التى تعد فى الواقع من أهم الأحداث فى تاريخ الاسلام فى العهد الحديث .

* * *

وكان من أعلام هؤلاء الشيوخ بطلُ ليبيا بل بطلُ الاسلام الشهيد الخالدُ « عمر المختار » الذى ظل يكافح الاستعمار الايطالى ردحا طويلا من الزمن كفاحاً مريراً أقضّ مضاجعهم وحير قادتهم

وما كان يكافحهم إلا بسلاحهم الذى يغنمه منهم فى الحرب وبكتائبه المجاهدين الذين أحبوا الموت أكثر من حب الأعداء للحياة وكانوا فى جهادهم أبطالا بواسل يرجون من الله ما لا يرجو أولئك الطغاة المعتدون ويقتحمون الميادين إقتحاماً ليذلوا بهم أفدح الخسائر وينالوا منهم كل منال.

وقد حاول العدوّ بوسائله الدنيئة وأساليبه المختلفة أن يستميل جانب البطل العظيم فلم يجد منه إلا أنفةً وأباء وشدةَ مراس وصلابة عود لا يرهبه وعيد ولا تُغريه وعود . ولا يهاب قوة ولا يخشى كثرة . ولا عجب فقد كان رجل عقيدة وإيمان ووطنية صادقة وحمية إسلامية تأبى الضيم والذلة . لا يرضى أن ينعم بمتاع هذه الحياة ويحظى بالسلطات والجاه ويتقلب فى مطارف الترف والدعة بمالاة الأعداء والتفريط فى حقوق البلاد فجاهد وناضل بقوة وصبر حتى مات بطلا شهيداً فى سبيل الله لم يَتَثَلَّمْ مَالاً وَلَمْ يَبْتَئِرْ قصوراً وإنما ترك لسان صدق فى الآخرين وبطولة سجلت ذكراه فى الخالدين .

ورحم الله شوقى حين يقول فى رثائه

خيرت فاخترت المبيت على الطوى ... لم تبن جاها أو تسلم ثراءَ
إن البطولة أن تموت على الظما ... ليس البطولة أن تعُب الماء

* * *

لم يهنْ عمر المختار ولم يستسلم للعدوّ ولم يفرطْ فى بلاده ولم يخن فى عهده مع ربه أن يجاهدْ فى سبيله حتى يظفر باحدى الحسنيين بل صبر وصابر حتى تكاثر عليه الأعداء فى فترة اختلسوها وهو فى قلة من أعوانه وباغتوه فما زال يقاتلهم ويقاتلوه حتى استطاعوا أن يأسروه وقدموه إلى محاكمة صورية باغية وهو شامخ الأنف عزيز النفس قوى القلب واثق بما عند الله للمجاهدين الصابرين فحكمت عليه بالإعدام شنقا فتلقى حكم البغاة برضا وطمأنينة وفرح بالشهادة فى سبيل الله

* * *

وقبل تنفيذ الحكم أرادوا أن يشفوا صدورهم منه فأثقلوا عليه الأغلال

وهو فى سن التسعين وساقوه إلى الموت فكان فى ثباته وعماته بطلا كما كان فى جهاده بطلا

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

استُشْهِدَ عمر المختار وهو إلى آخر لحظة من حياته يذود عن الإسلام ووطنه وعن أهله وعشيرته ، ويدافع عن حقوق مغتصبة ، وكرامات منتهكة ، ويرد عدوان عدوٍّ أثيم ، يستبيح فى اعتدائه كل الحرمات ويرتكب أفحش المنكرات متجردا من الانسانية ، موغر الصدر من الإسلام والمسلمين لا يحمل لهما إلا أشد البغض والضغن

فكان فى استشهاده طيب الله ثراه أقسى على الأعداء منه فى حياته وجهاده إذ أجج فى الصدور نارا وفى القلوب حمية وفى الشعب الليبى تصميما وعزما وفى سائر الشعوب الاسلامية دعوة قوية إلى مواصلة الجهاد لتطهير البلاد من رجس أولئك الأعداء

ولئن ذهب عمر المختار إلى جوار ربه راضيا مرضيا فقد ترك فى الشعب الليبى الباسل مجاهدين أبطالا كلهم ، عمر المختار ، قوة وعزما وسيفا صارماً وجهاداً شريفا وبطولة تضرب بها الأمثال

وقد شاء الله تعالى نصر عباده المؤمنين على يد القادة المجاهدين فى ليبيا بقيادة زعيمهم المجاهد العظيم الامام السيد محمد إدريس السنوسى فخذل الأعداء وردهم خائبين .

وها هى ذى ليبيا العربية الاسلامية تسير حثيثا بخطى واسعة فى سبيل الحياة الحرة الكريمة النقية من الشوائب العزيزة الجوانب التى استشهد فى سبيلها البطل الخالد عمر المختار

* * *

إن «عمر المختار» ينادى المسلمين من دار المقامة ونزل الكرامة أن تنبهوا لما يدبره أعداء الاسلام لكم فى كل قطر من أقطاركم ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . من استمساك بكتاب ربكم ، وهدى نبيكم ، واقتداء بالصالحين من أسلافكم ، واستئصال للفرقة ونزع للأحن والعداوات من صدوركم وائتلاف وتعاون فيما بينكم ، وإعداد قوى لكتائب الجهاد ومختلف الأسلحة وآلات الحرب لصد أعدائكم ، وتثقيف للناشئين من أبنائكم تثقيفا إسلاميا كريما فهم قوام دولكم وعنوان إسلامكم وعز حياتكم ، وعدل شامل واستقامة على الحق وقمع للهوى من حكامكم ، واتقاء لأسباب الانحلال والدمار التى أغفلها بعض من سبقكم : ولقد أعذر من أنذر وفى التاريخ عبر ، فهل من مدكر

اصبروا وصابروا وجاهدوا ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

* * *

ياعمر ، ياشهيد الجهاد ، يابطل الاسلام ، يا فخر العرب ، سلام عليك فى المجاهدين الشرفاء . سلام عليك فى الصابرين الأوفياء سلام عليك بين أهل الجنات والنعيم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . ثم سلام على من بك يقتدى فى الجهاد لاعزاز الاسلام ومجد الأوطان ؟

١١ جمادى الثانى سنة ١٣٧٧ — ١ يناير سنة ١٩٥٨

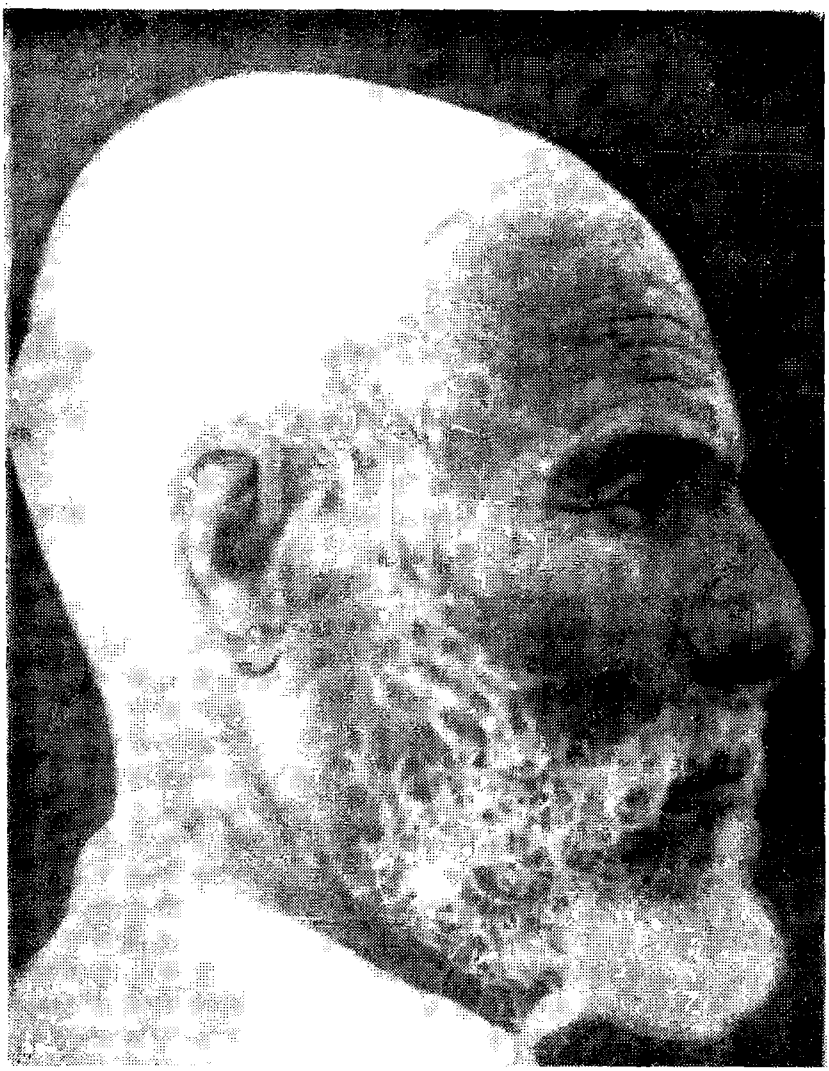

شيخ الشهداء عمر المختار

البيئة

القبيلة والنظام القبلى ، لهدى السنوسى ، مولد عمر المختار ونشأته وحياته بين أهله .

(١)

قبل أن نتناول الحديث عن الشهيد السيد عمر المختار رأينا أن نتحدث قليلا عن القبيلة التى ينحدر الشهيد من أحد فروعها فنقول : أنها قبيلة المنفا أو (المنيفا) كما يقال عنها أحياناً ، وهى إحدى كبريات قبائل المرابطين ببرقة ، وتتفرع هذه القبيلة إلى عدة أفخاذ أشهرها (بريدان) وينقسم هذا الفخذ إلى فروع منها (فرحات) الذى ينحدر منه السيد عمر المختار ، وتتخذهذه القبيلة مضاربها بموقع (دفنه) من البطنان شرق برقة ، وكانت لها صولات وجولات ككل القبائل ، وقد عرفت بالشجاعة وعزة النفس وإباء الضيم وحماية النزيل والدفاع عن حقوقها القبلية كما هو شأن جل القبائل فى ليبيا ، وكان المختار (والدعمر المختار) من رجالات القبيلة المرموقين فى المجالات البدوية ، وكان يحسب حسابه عندماتحدث المشاكل القبلية ، وماأكثر المشاكل بين القبائل فلا يكاد ينحل منها طرف حتى ينعقد منها طرف آخر وتاريخ القبائل (المتناقل) فى ليبيا يحدثنا عن مختلف المنازعات ، وعن تشعب الخصومات التى تؤدى فى كثير من الأحيان إلى حروب طاحنة فهى لا تهدأ بين قبيلة وأخرى إلا لتقوم بين طرفين آخرين نتيجة للدفاع عن موطن القبيلة مثلا ، أو عن آبار السقى ، أو عن مراتع الماشية ،أوعن أماكن الزرع ، أو للأخذ بالثأر وما إلى ذلك ، وما دامت الأسباب موجودة — ومن السهل

جدا إيحادها — فالحرب إذن لا تهدأ لأن أتفه الأسباب يؤدى لأشعالها ، وكثير ما أدت الخلافات التافهة إلى قيام حرب بين قبيلة وأخرى من قبائل السعادى(١) أو من قبائل المرابطين أو بين قبيلة من هؤلاء وأولئك ، وكثير ما تتسرب من القبيلتين المتحاربتين فتجر غيرهما وهلم جرا ، وقد تؤدى إلى إفناء قبيلة من القبائل أو اجلائها عن مواطنها أو إدماجها بعد أن تتلاشى شخصيتها فتذوب فى شخصية قبيلة أخرى، ومن هذا النوع إجلاء قبيلة الهنادى السليمية(٢) وهى أول قبيلة تنزح من برقة تحت ضغط الحروب القبلية ، وموطنها الآن بمديرية الشرقية فى مصر ، ولم يعرف بالضبط تاريخ نزوح هذه القبيلة ، ثم إجلاء قبيلة أولاد على (بن عقار بن الذئب أبو الليل) من برقة ، وموطنها الآن بمديرية البحيرة والصحراء الغربية وكان ذلك عقب الحرب التى وقعت بينها وبين قبيلة العبيدات (أبناء عبيد بن حرب بن عقار ابن الذئب أبو الليل) ثم اجلاء قبيلة الفوائد والرماح (أبناء فائد بن محمد بن برغوت بن الذئب أبو الليل) وذلك عقب انتصار قبائل الجبارنة (أبناء جبريل بن برغوت بن الذئب أبو الليل) واتخذت قبيلة الفوائد والرماح مواطنها بمديريتى المنيا والفيوم بمصر ، ثم اجلاء قبيلة الجوازى — نسبة لأمهم جازيه — وهم أبناء جبريل بن برغوت بن الذئب أبو الليل) وذلك

---

(١) السعادى نسبة إلى سعدى ابنة خليفة بن مذكور زعيم قبائل البربر الذى قتله السليميون أثناء زحفهم على برقه (٤٤٤ هـ) وتزوجها بعد وقوعها فى الأسر زعيم قبائل بنو سايم الذئب أبو الليل فولدت منه برغوثا وعقارا وجبرين — هكذا ينطقون به قومه والأصل جبريل ، ولهؤلاء الثلاثة تنتسب جميع قبائل السعادى ببرقه ومصر

(٢) أبناء هند بن الذئب أبو الليل زعيم قبائل بنى سليم وهند هو أكبر أولاد الذئب ولم يكن شقيقا لأبنائه من سعدى وقد حصل الخلاف بين أبناء هند وإخوتهم أبناء سعدى فتغلب الأخيرون ونزح الهنادى إلى حيث هم الآن وتاريخ هذه القبائل هو بالنقل ويكاد يكون عليه الاجماع .

عقب الحرب التى حصلت بينهم وبين إخوتهم العلايا — نسبة لعليا زوجة جبريل — وهم العواقير والمغاربة والعربيات — وهم أيضاً أبناء جبريل ابن برغوث بن الذئب) وقد استوطنت قبيلة الجوازى بمديرية المنيا من مصر ، ثم اجلاء بعض قبائل البراعصة والعبيدات (أبناء حرب بن عقار ابن الذئب أبو الليل) من مواطنهم بالجبل الأخضر إلى مصر حيث استوطنوا بالبحيرة ومديرية الفيوم وذلك عقب الحرب المعروفة فى برقه بحرب (خضراء ومغيربية) .

كانت أمثال هذه الحروب تشتعل الفينة بعد الأخرى بين القبائل فتحدث اضطراباً وتسبب قلقاً لا سبيل لملافاته ينعدم من جرائه الاستقرار القبلى فى برقه وكانت الحكومة العثمانية أعجز من أن تجعل لهذه الفوضى حدا ، وأصبح النظام القبلى هو السائد فى طول البلاد وعرضها ، حتى لا يرى لسلطان الحكومة أية مظهر إلا فى بعض المدن كطرابلس وبنغازى ودرنة مثلا ، وكانت القبائل لا تنظر للحكومة بعين الاحترام الفعلى ، وإن كانت تبدى شيئا من الاحترام الأدبى خاصا بدار الخلافة حيث يوجد السلطان ممثل الخلافة الإسلامية ، أما الحكومات التى تتولى الحكم فى طرابلس وبرقه فإنها عرضة للسخرية متى ما شعرت القبائل بالسبب الموجب ، والسبب فى كل وقت موجود تسببه تفسيرات القبائل بما تراه ماساً بكرامتها أو مجحفا بحقها فتثور فى وجه الحكومة ، وفى الغالب تقف الحكومة عاجزة عن الاحتفاظ بهيبتها والأمثال على ذلك جد كثيرة منها موقف قبيلة البراعصة فى وجه خليل باشا حاكم برقه (فى القرن الماضى الهجرى)

وما يسمونه بعصيان العواقير وعصيان المغاربة وعصيان زوية ، وهذا الأخير كان فى عهد الفريق رشيد باشا حاكم برقه ، (فى السنوات الأخيرة من القرن الماضى) .

وهكذا كان الحال بين بعض القبائل من جهة ، وبين بعضها والحكومة من جهة أخرى ، وقد وقعت هذه المشاكل وأمثالها فى العهد العثمانى الأول ، وفى العهد القرمانلى ، وفى العهد العثمانى الثانى الذى استمر إلى ١٩١١ م

(٢)

لم يتغير هذا الموقف القبلى إلا بعد انبثاق فجر الهداية السنوسى ١٢٥٧ هـ فكان هذا الفجر بداية عهد جديد ونقطة تحول خطيرة لا بالنسبة للقبائل فحسب بل وللمحافظة أيضاً على هيبة الحكومة وإقرار الأمن فى هذه الربوع

تناولت الحركة السنوسية الإسلامية مختلف المرافق ولم تقتصر فوائدها على ميدان دون آخر ، إنها حركة إسلامية دينية علمية سياسية اجتماعية فكرية تردد صداها فى كثير من البلاد غير ليبيا أما فى الداخل فكان من بعض أعمالها أن أحكمت صلات الأخوة بين قبائل السعادى والمرابطين ، وبين هؤلاء وإخوانهم سكان الحواضر فى حين أن أسباب التنافر بين القبائل كانت متوفرة وميسورة ، وأعادت إلى حكومة الخلافة الإسلامية بعض ما فقدته من هيبتها . وعالجت المشاكل المستعصية والخلافات المستحكمة بين القبائل فى كل من برقه ومصر

ثم أخذت طريقها إلى البلاد الأخرى إذ غزت بمبادئها الإسلامية الإصلاحية جميع القبائل الماثلة فى كل من الحجاز ومصر والسودان والشمال الأفريقى الذى انبثقت منه أصلا هذه الحركة وبدأت التعاليم الإسلامية الصحيحه تحتل مكانها البارز بقوة خارقة للعادة ، وارتبطت قبائل شتى فى مختلف البلاد العربية الإسلامية بهذا المبدأ الذى لم يكن فى الواقع جديداً ولكنه جاء ليبعث المبدأ الإسلامى العظيم كما أشار بذلك أحد كبار كتاب فرنسا فى كتابه الذى ترجم إلى التركية وإسمه (استيلاءى جهان) أى

الإستيلاء على الدنيا فحذر فيه من الحركة السنوسية وقال عنها إنها نهضة تقدم وإحياء تهدف إلى طرد الأجانب من أفريقيا ، ولم يكن هذا هو المحذر الأول فقد كتب غيره مع الفارق فى الإتجاه والنوايا من أمثال المسيو هانوتو ولويس رين، ودوفرير ، وشهبندر أحمد حلمى زاده ، ولوثروب ستودارد ، والأمير شكيب أرسلان وغيرهم

لم تكن الحركة السنوسية مقتصرة على تنوير الأذهان للعودة بمعتنقيها إلى مبادىء الدين أو القسم الذى يخص منه العبادة والزهد فحسب ولكنها أخذت تشرح معانى الإسلام الصحيحة التى تأمر بالعمل للدنيا كما هو للآخرة. وهكذا أخذت هذه الحركة فى وضع الأسس القويمة الثابتة لإيجاد الدولة الإسلامية ولإحياء الحضارة العربية التى كانت من صميم الإسلام والتى لا تنفصل عنه بحال من الأحوال .

حدث هذا الانقلاب الإسلامى الخطير فى الوقت الذى كان فيه الاستعمار الغربى يتبوأ ذرى قوته المادية ويتربع على أوج سلطانه الصناعى وكان الاستعمار قد استولى على الكثير من بلدان الشرق الأقصى وبدأ يستولى على البلاد الإسلامية والعربية ، حيث كانت فرنسا قد احتلت الجزائر سنة ١٨٣٠ م وطوحت بأنظارها إلى تونس فاحتلتها سنة ١٨٨١م ثم أخذت تنظر بعين الجشع إلى مراكش حتى سيطرت عليها سنة ١٩١٣م وهكذا كان الاستعمار الأسبانى فى بقية المغرب الأقصى ، وكان الاستعمار الانجليزى والهولندى والبرتغالى والبلجيكى والألمانى قد استحوذ على نصيبه من التركة وأخذ يتحفز للمزيد ، وكانت إيطاليا التى لم تتمكن من حضور توزيع التركة أو إنها عجزت عن المزاحمة أخذت هى الأخرى تتحفز لأن تلحق بالركب الاستعمارى ، وكانت أعاصير الانحلال والضعف تسيطر على كل بلد إسلامى وعربى نتيجة لطرح الإسلام جانبا والجهل بتعاليمه .

وهكذا كان الشمال الأفريقى الإسلامى العربى يعانى ويلات الاحتلال الواقع ويئن تحت آلام الاستهداف لإحتلال استعمارى منتظر ، وكانت مصر تتخبط فى مهب العواصف بين سلطان تركيا المستضعف المستبد ، وبين ديكتاتورية محمد على (الدخيل) الذى وصل إلى مصر بإسم الخلافة العثمانية الإسلامية وساعدته الظروف فأخذ يعمل ليستأثر بمصر لنفسه وذويه من بعده ، وبين المقاصد البريطانية الواضحة أما البلاد الشامية فقد كانت تعانى نفس المشكلة وكان الحكم العثمانى هناك أشبه شيئا بالفوضى، ونفس الوضع هو ما تعانيه بلاد ما بين النهرين ، وكانت الديار الحجازية فى وضع مشابه ، أما اليمن فوضعه يومذاك لا يحسد عليه ، هذه هى النكبات التى ألمت يومذاك بعالمنا الإسلامى والعربى أبان مطلع فجر الحركة السنوسية ولا نستطيع أن نصف البلاد الإسلامية الأخرى بغير هذا الوصف الموجز

فى هذا الخضم المتلاطم الأمواج ، وبين هذه الأعاصير الهوجاء وهذه العواصف العتية التى تنذر بالشر المستطير قامت الحركة السنوسية التى انبثق فجرها الوضاء فى الشمال الأفريقى ومنه ، وفى هذا الوقت بالذات كانت هناك حركة إصلاحية أخرى تجاوبت مع هذه الحركة عن بعد ، تلك هى الحركة الوهابية التى قامت فى نجد قلب الجزيرة العربية فكان وجه الشبه بين الحركتين يتلاقى فى الدعوة للإصلاح الدينى وللعودة بالمسلمين إلى تعاليم الإسلام الصحيحة ، وعند نقطة الارتكاز هذه كان التجاوب بين الحركتين وكان لقاء الفكرتين فى منتصف الطريق ، هذا مع الفارق الذى يبدو فى وسائل التنفيذ وبما أن المقام لا يتسع للإسهاب فى هذا الموضوع فإننا نعتذر للقارىء ونستسمحه فيما جرنا إليه الحديث .

(٣)

لم يكن عهد التأسيس الذى بدأه الإمام الأعظم السيد محمد بن على السنوسى ـ صاحب الحركة ـ طويلا ، لقد بدأ جهاده التأسيسى الشاق سنة

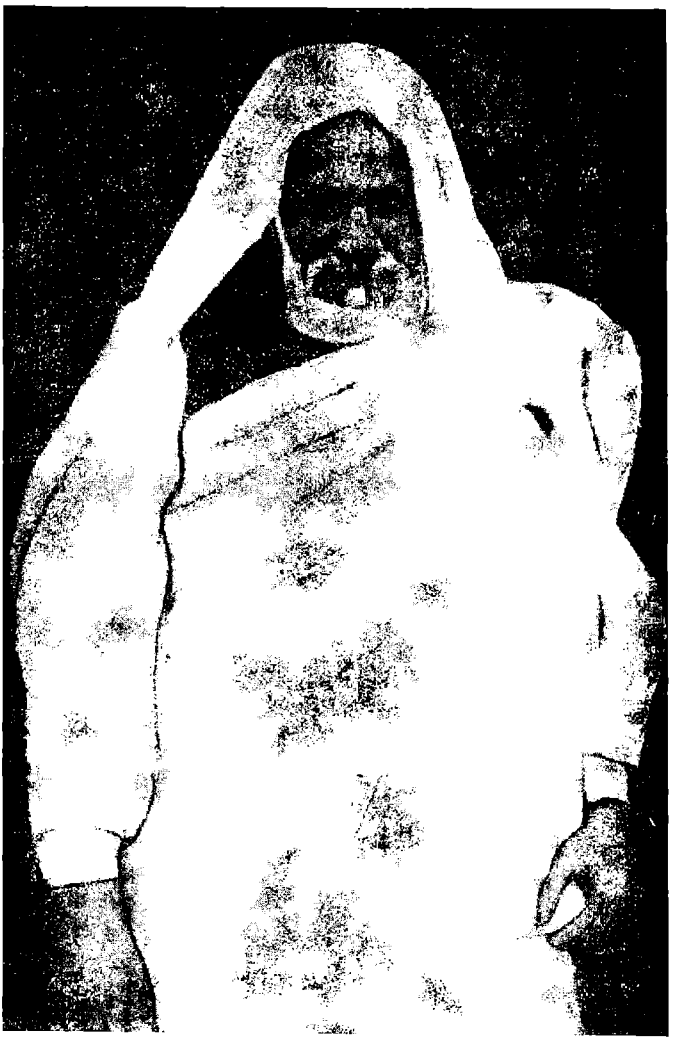

شيخ الشهداء قائد المجاهدين السيد عمر المختار

١٢٥٧ هـ فى ليبيا وتوفى سنة ١٢٧٦ هـ فانتقلت قيادة الحركة إلى نجله وخليفته الأول الإمام ـ الثانى ـ السيد محمد المهدى (والد الملك المعظم إدريس) وفى أثناء هذا الصراع القائم بين الحق والباطل وفى أعقاب سنوات التأسيس وأوائل سنى الإنشاء ولد السيد عمر المختار فكأنما هيأته الأقدار لتكون حياته امتدادا للجهاد كما وقد شاءت الأقدار لوالده الذى ولد فى عصر الظلام أن يشاهد فجر الإشراق فى فترة التأسيس ، وأن يمتد به الأجل حتى يهب نفسه وولده (عمر المختار) لقائد الحركة الثانى الإمام السيد محمد المهدى وذلك فى عهد الإنشاء ، وكما لا يخفى فإن (والد عمر المختار) كان معروفا بعنجهيته ، وبإقدامه ، وبممارسة فنون القتال القبلى مرؤوساً كان أم رئيساً ، وقد كان من بين المتقاتلين فى واقعة (الجبنى) وهو بئر يقع فى حوزة قبيلة المنفا ، وكانت المعركة من أجله شديدة ، وكانت الضحايا من الفريقين جسيمة ، وكان المختار (والد عمر) يثير حمية رجاله أثناء المعركة بقوله (لك عاجبنى يوم الجبى) فى نفس هذه السنة التى وقعت فيها معركة بئر الجبنى ولد عمر المختار كأنما شاءت الأقدار أن تصل رائحة البارود إلى أنفه ويصل صوت الرصاص إلى سمعه فيكتسب مناعة من سوء رائحة البارود وسوء صوت الرصاص لتكون عونه عند ما يدعوه داعى الوطن فيلبى وقد تعود رائحة البارود وصوت الرصاص .

(صوت المدافع فى آذاننا نغم غنت بها فى مجال الفخر أوتار)

اهتم الإمام السيد المهدى بأحداث المعركة اهتماما بالغا وأمر بأن يذهب إلى أحياء المتقاتلين وفد قوامه السادة : عمر الأشهب (شيخ زاوية مسوس) مصطفى المحجوب (شيخ زاوية الطيلمون) حسين الغريانى (شيخ زاوية جنزور) الشيخ أبو سيف بوشنيف الكزه وذلك لإجراء الصلح بين المتقاتلين ، وعقب عقده مباشرة ذهب الشيخ المختار إلى الأراضى الحجازية لأداء فريضة

الحج ، وشاء الله أن يختم الشيخ المختار حياته فى هذه السنة فعهد وهو فى حالة المرض إلى رفيقه الذى اجتمع به هناك السيد أحمد الغريانى (شقيق شيخ زاوية جنزور) بأن يبلغ شقيقه على لسان الشيخ المختار بأنه اعتمده فى تربية ولديه عمر ومحمد ، وتولى السيد حسين الغريانى رعايتهما محققا رغبة والدهما فأدخلهما مدرسة القرآن بالزاوية ، ثم ألحق السيد عمر المختار بالمعهد الجغبوبى لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان والقبائل الأخرى ، أما تاريخ مولد السيد عمر المختار لم يكن محدداً عندنا بالضبط ولكنه كان حوالى سنة ١٢٧٧ و ١٢٧٨ هـ لقد سمعت منه شخصيا قوله لى : إننى أصغر من والدك بخمس سنوات ، وسمعت منه أيضاً قوله إننى ولدت بعد وفاة شيخنا سيدى محمد بن على السنوسى رضى الله عنه بثلاثة سنين ، وهذا القول يكاد يكون تحديدا لسنة مولده دون تحديد اليوم أو الشهر ، وتاريخ ميلاد والدى كما هو مضبوط بخط والده السيد عمر الأشهب كان سنة ١٢٧٢ هـ كما أن وفاة مولانا الإمام الأعظم السيد محمد بن على السنوسى كانت سنة ١٢٧٦ وعلى ذلك فيكون تاريخ ميلاد السيد عمر المختار مابين سنتى ٧٧ و ١٢٧٨ هـ .

هذا وعندما التحق السيد عمر المختار — كما سبق — بالمعهد الجغبوبى أصبح إلى جانب تلقى العلوم يقوم بما عليه من واجبات عملية أخرى أسوة بزملائه الذين يؤدون أعمالا مماثلة فى ساعات معينة إلى جانب طلب العلم وذلك لتدريبهم فى الأعمال الزراعية وفيما تتطلبه الصناعات الخفيفة مثل البناء والنجارة والحدادة والخياطة والسمكرة وما إلى ذلك من الأعمال الممكنة يومئذ ، وكان السيد عمر المختار مخلصاً لعمله متفانيا فى أداء ماعليه ولم يعرف عنه زملاؤه أنه أجل عمل يومه إلى غده وهكذا اشتهر بالجدية والحزم والاستقامة والصبر ، ولفتت شمائله هذه أنظار أساتذته وزملائه وهو لم يزل يافعا ، وكان الأساتذة يبلغون الإمام السيد المهدى أخبار الطلبة وسلوك كل واحد منهم ، فأكبر الإمام فى السيد عمر المختار صفاته ومايتحلى به من خلال،

والشيء الذى يأسف له السيد عمر المختار فى كثير من أحاديثه هو أنه لم يأت على آخر مراحل تحصيله العلمى كما كان يريد ويراد له ، ويقول بعض زملائه أن ذكاءه كان متوسطا فلم يسعفه ويقول آخرون من رفاقه أن انصراف عمر المختار بكلياته لإنجاز الأعمال الأخرى وانشغاله بأداء ما يعهد به إليه فى أمانة ودقة جعله فى مؤخرة زملائه من طلبة العلم وإن كان يحتل فى مقدمتهم مكان الصدارة من حيث نجاحه فى كل عمل يقوم به ، والذين عرفوا عمر المختار خلال تسلمه أعمالا أخرى ذات بال بعد أن ترك التعليم لا يسلمون بالرأى القائل أنه متوسط الذكاء وكان حجتهم فيما ذهبوا إليه من معارضة الرأى الأول هو أن عمر المختار على إلمام واسع بشؤون البيئة التى تحيط به ، وعلى جانب كبير من الإدراك بأحوال الوسط الذى يعيش فيه ، وهذا هو ما يشهد له بقوة ذكائه ثم أنه معروف بخبرته الواسعة بالأحداث القبلية وبتاريخ وقائعها وعلى جانب عظيم من معرفة الأنساب القبلية وبالارتباطات التى تصل هذه القبائل بعضها ببعض وبتقاليدها وعاداتها ، وهو ملم بمواقع كل قبيلة من القبائل ، وكان خبيرا بوسائل فض الخصومات البدوية ومايتطلبه الموقف من آراء ونظريات ، كما أنه خبير بمسالك الصحراء وبالطرق التى كان يجتازها من برقه إلى مصر والسودان فى الخارج وإلى الجغبوب والكفرة فى الداخل ، وكان يعرف أنواع النباتات وخصائصها على مختلف أنواعها فى برقه ، وكان يعرف الأدواء التى تصيب الماشية ببرقه كما أنه يعرف طريقة علاجها نتيجة للتجارب المتوارثة عند البدو وهى اختبارات مكتسبة عن طريق التجربة الطويلة لا عن طريق التعلم ، وإلى جانب ذلك فإنه يعرف سمة (علامة) كل قبيلة ، وهى السمات التى توضع على الإبل والأغنام والأبقار لوضوح ملكيتها لأصحابها ، فهذه المعلومات لم تكن من السهل الميسور حتى يناله متوسط الذكاء ، وعلاوة على كل هذا هو ذلك النجاح الذى كان طابعا خاصاً لعمر المختار فى كل عمل يقوم به والدقة فى الأداء .

هذا وبما أننا أخذنا على عاتقنا مهمة التعريف بعمر المختار فى صورة أوسع مما سبق نشره وبقدر ما تسمح به ظروفنا الخاصة فإننا نقول :

كان عمر المختار متوسط القامة يميل إلى الطول قليلا ، ولم يكن بالبدين الممتلىء أو النحيف الفارغ ، أجش الصوت بدوى اللهجة رصين المنطق صريح العبارة لا يمل حديثه ، متزن فى كلامه ، تفتر ثناياه أثناء الحديث عن ابتسامة بريئة ، أو ضحكة هادئة إذا ما اقتضاها الموقف ، كثيف اللحية التى أرسلها منذ صغره ، تبدو عليه سمات الوقار والجدية فى العمل ، والتعقل فى الكلام والثبات عند المبدأ وذلك منذ شبابه ؛ وقد أخذت هذه الصفات الملازمة إياه تتقدم معه بتقدم السن .

بهذا عرفه أصحابه ، وبهذا يقول رفاقه والمتصلون به فى مختلف مراحل حياته المليئة اعجاباً به ، كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات فى أوقاتها وكل عبادة يطلبها منه الإسلام وكان يقرأ القرآن يوميا فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له السيد الإمام (ياعمر وردك القرآن) وقصة ذلك كما سمعتها منه شخصيا وكما يرددها عارفوه وذلك أنه استأذن من سيدى محمد بن حسن البسكرى (حاجب الإمام الخاص ومن كبار علماء الإخوان) المثول بين يدى السيد الإمام وكان الوقت كما قال السيد عمر المختار بعد صلاة العصر عندما خيم ركب سيدى رضى الله عنه فى موقع بئر السّارة الواقع فى عرض الطريق الصحراوى بين الكفرة والسودان وأذن سيدى باجابة رغبتى دون أن أبدى ما أريد وكان فى نيتى أن أطلب منه الإجازة فى قراءة الأوراد السنوسية وعندما دخلت عليه وقبلت يده الكريمة تناول رضى الله عنه مصحفا كان بجانبه وناولنى إياه فكأنما علم غيبا برغبتى وقال :

هل لك شيء آخر تريده فقلت له ياسيدى أن الكثير من الإخوان يقرأون أوراداً معينة من الأدعية والتضرعات أجزتموهم قراءتها وأنا لا أقرأ

إلا الأوراد الخفيفة عقب الصلوات فأطلب منكم أجازتى بما ترون فأجابنى رضى الله عنه بقوله (ياعمر وردك القرآن) فقبّلت يده الطاهرة وخرجت أحمل هذه الهدية العظيمة (المصحف) ولم أزل بفضل الله احتفظ بها فى حلى وترحالى ولم يفارقنى مصحف سيدى منذ ذلك اليوم وصرت مداوما على القراءة فيه يوميا لأختم السلكة كل سبعة أيام ، وسمعت من شيخنا سيدى أحمد الريفى أن بعض كبار الأولياء يداوم على طريقة قراءة القرآن مبتدئا (بالفاتحة) إلى (سورة المائدة) ثم إلى (سورة يونس) ، ثم إلى (سورة الإسراء) ثم إلى (سورة الشعراء) ، ثم إلى (سورة الصافات) ثم إلى (سورة ق) ثم إلى آخر السلكة

ومنذ ذلك الحين وأنا أقرأ القرآن من المصحف الشريف بهذا الترتيب ، هذا وقد كان السيد عمر المختار يقرأ القرآن أيضا على الطريقة السنوسية وهى قراءة حزب من القرآن صباح كل يوم بعد صلاة الصبح وآخر عقب صلاة المغرب

رويت عنه شخصيا ما ذكرته هنا وذلك بالزاوية السنوسية فى أوجله ونحن نتناول طعام الغداء على مائدة شيخها السيد بالقاسم به سبيع سنة ١٩٢٦ وكان السيد عمر فى طريقه لزيارة سيادة الوكيل العام السيد رضا المهدى السنوسى فى واحة جالوا ومن عادة السيد عمر المختار التنفل فى أوقات الفراغ بما يتيسر له ، أما سنة الضحى فقد ألزم نفسه بها حتى أصبحت ضمن الفروض التى يؤديها يومياوكان يحافظ على الوضوء حتى فى غير أوقات الصلاة ، ومما يروى عنه أنه قال : لا أعرف إنى قابلت أحدا من السادة السنوسية وأنا على غير وضوء منذ شرفنى الله بالانتساب عليهم

كان رحمه الله ينام مبكراً بعد إنتهائه من صلاة العشاء غالبا ، ويقوم مبكراً لصلاة الفجر حاضرا ، وكان فى حياته الشخصية والعائلية مثلا صالحاً وقدوة

حسنة وكان يحب أهله وخدمه ويحبونه وكان يصحح أخطاء خدمه ومن حوله بالحكمة والموعظة الحسنة دون اللجوء إلى بذىء القول ، فقد كان عف اللسان ولم يعرف عنه أنه ينطق بفواحش الكلام مهما يشتد به الغضب ، وكان يفضل أن يضرب الخاطىء من خدمه وأولاده ضربا خفيفا دون السب والشتم كما يجرى على ألسنة الكثيرين ، وكان فى عيشه متوسطاً فلم يعرف عنه أنه أثرى أو عمل للإثراء ، كما ولم يعرف عنه أنه افتقر إلى حد الادقاع ، وما كان ليهتم فى وقت من الأوقات ليترف أو ليكسب ، ولم تكن لديه أملاك يستغل ريعها أو تجارة .. ينميها وإن كانت لديه تجارة لن تبور يعمل دائما على إنمائها منذ أن عرف طريقها من قول الله تعالى : (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) . اتخذ من قوله تعالى دليلا يسلكه طول حياته وشعاراً عرف به .

(٤)

لقد عرفنا أنه التحق بالجغبوب لنيل العلم وهو صغير السن يتراوح عمره يومئذ بين الخامسة والسادسة عشر ، ولم يكن وراءه يومئذ مايشغل باله عن اكتساب العلم إذا استثنينا الأعمال التى كان يقوم بها فى الجغبوب أسوة بزملائه وتطبيقا للنظام المتبع ، ثم ليلتحق بخدمة السيد الإمام وكان قد ترك شقيقه السيد محمد المختار فى كنف شيخ زاوية جنزور ، وكانت الثروة البدوية يومئذ مقتصرة على كسب الماشية ، وقد ورث عن والده قسما منها تركه يرعى بواسطة أقاربه فى القبيلة ، وما ورثه من الأراضى الزراعية فهو ككل أملاك القبيلة لا يستفاد إلا بقسم ضئيل منه إذا ما زرع قمحاً أو شعيراً على ماء المطر عندما تجود السماء ، وكانت نفقاته فى الجغبوب على حساب الوقف السنوسى كما هو الحال يومذاك ، فأى شىء إذن يا ترى يشغل والحالة هذه بال عمر المختار ؟

إن الذى يشغل باله ويملك عليه تفكيره هو التوفيق الذى ينتظره ويتمنى إحرازه فى خدمة الحضرة السنوسية وفى خدمة إمامها الجليل على وجه الخصوص، لاشىء غير ذلك يصبو إليه عمر المختار. وعندما ترك التعليم دون أن يتم تحصيله الكامل التحق بالأعمال التى تراود نفسه والتى اختارها له والده قبلا. وبذلك أصبحت نفقاته التى تتطلبها ضرورة الحياة من غذاء وكساء وسكن مكفولة

ولنذكر الآن عن زواجه فنقول تزوج السيد عمر لأول مرة من نجوى بنت المبروك بن سعيد بوزوير ثم تزوج بعد وفاتها للمرة الثانية من شقيقتها زينا وقد توفيت بعد استشهاده بالمهجر وتزوج للمرة الثالثة بونيسة بنت السيد عبد الله الجيلانى شيخ زاوية توكره فأنجب منها عددا من البنين والبنات ماتوا صغارا ولم يعش له من أولادها إلا ابنه السيد محمد صالح الذى لايزال على قيد الحياة، ويتمتع الآن برعاية وعناية خاصتين من ملك ليبيا المعظم إدريس الأول حفظه الله، ثم تزوج للمرة الرابعة من كريمة الحاج محمد أبوفروه (أحد السرات الليبيين) وطلقها ثم تزوج للمرة الخامسة من كريمة صديقه وزميله فى الجهاد القائد السنوسى السيد محمد بونجوى الفحاصى وقد لقيت وجه ربها شهيدة أثناء معركة المحيريقة مع الطليان اشتركت فيها الطائرات فأصيبت الشهيدة برصاص إحدى الطائرات ولم تنجب منه، فتزوج — للمرة السادسة — بشقيقتها الصغرى وأنجب منها بنتين لاتزالان على قيد الحياة. هذا وبما أننا ذكرنا عن زواجه فلنذكر الآن عن الصورة التى كان يعيش بها أهله أنهم يعيشون كما ذكرنا عيشا وسطا طابعه القناعة وقوامه الكفاف، وكان مورد الرزق هو مايتحصل عليه من نتاج الحيوانات القليلة التى كان يمتلكها عمر المختار، ومن محصول الزراعة التى كان يقوم بها أهله ووكلاؤه عليهم إذ إنه لم يكن فى يوم من الأيام متفرغا لأهله ولتدبير شئونهم، ولهذا فإننا لم نذع سراً إذا ما قلنا أنه عاش طيلة حياته فقيراً ولكنه كان فى طليعة الأغنياء بستر الله وبالقناعة التى اختارها لحياته، وهكذا فقد كانت نفسه الكبيرة مملوءة بالإيمان وبالصبر وبالعفة

و بالنزاهة مما يفوق كل حصر ووصف . وكان دائما يردد بين ضيوفه العبارة التالية (إننا لا نبخل بالموجود ولا نأسف للمفقود) وكان يتمتع بصحته منذ عهد الطفولة إلى أن لقى وجه ربه شيخاً شهيداً ، ولم يعرف أن مرضا ما لازمه أو أقعده عن العمل ، وإن كان يشكو أحيانا ألم الروماتزم الخفيف الذى قال عنه بعض رفاقه أنه إرهاق لا روماتزم ، ويقول هو عن نفسه أن ما يشكوه فى بعض الأحيان هو نوع من الزهرى اعتقادا منه بأنه ورثه عن والدته عائشة بنت محارب التى كانت — كما قال — مريضة به ، وفى الواقع فإن هذا النوع الذى يظن أنه ورثه عن والدته لم تبدو عليه أعراضه وإن كان دائما يستطب بأنواع مختلفة من الأعشاب البرقاوية ، كما كان يتناول مشروبا سائلا يعرف باسم (اليادور) وكان يتجنب الملح الكثير فى الطعام ، أما رياضته فقد كانت هى ركوب الخيل التى لم يفارقها منذ صباه

فقيد المملكة الليبية صاحب السمو الملكي الأمير محمد رضا المهدى السنوسى
« ولى العهد السابق توفى ١٣٥٤ م »

الإخوان السنوسيون ، إستنكار دفع الأتاوة ، عمر المختار فى السودان ، عمر المختار يعين المركز الإصلاحى (الزاوية)

(١)

انقطع السيد عمر المختار — كما سبق ذكره — عن مواصلة التعليم ليدخل ميدان العمل لا لنفسه ، ولا من أجل قبيلته التى انسلخ عنها ولا ليخدم أهله ومصالحهم ، ولكنه ليعمل خالصاً مخلصاً من أجل المجموعة فالتحق بالنسب الجديد الذى عوضه نسب القبيلة ، انتسب للإخوان السنوسيين وكان هذا النسب الجديد يكسب صاحبه صفة العمومية بدلا من الخصوصية ، ويخرجه من الحصر الضيق ومن الصفة الخاصة التى تخضع لعادات البيئة المعينة ، وتخضع لتقاليد القبيلة ليجد نفسه فى أفق واسع لا يعرف الحدود ولا يؤمن بالقيود ، فبدلا من أن يكون عمر المختار إبنا للقبيلة أو وقفاً على التقاليد أو ملكا للعادات أوخاضعاً للنزعات قطع مابينه و بين كل ذلك ليوصل مابينه و بين هدفه الأسمى بالإنتساب إلى الإخوان السنوسيين ، وهكذا أخذ ينظر إلى قبيلته بنفس النظرة التى ينظر بها إلى جميع القبائل الأخرى ، وكان الإخوان يشكلون ثلاثة طبقات هى :

(١) طبقة العلماء التى تقوم بإلقاء الدروس العلمية فى المعهد الجغبوبى ، وتتكون من هذه الطبقة هيئة استشارية تعرف باسم (مجلس الإخوان) ومقر هذه الهيئة يكون بالقرب من السيد الإمام .

(٢) طبقة مشايخ الزوايا ، وغالبهم يكون من الطبقة الأولى .

(٣) الطبقة الاحتياطية وهى التى تتكون عادة من صغار خريجى المعهد السنوسى ، ومن حفظة القرآن ، ومن مهاجرى البلاد الإسلامية ، وممن يتجردون عن أعمالهم الخاصة للإلتحاق بخدمة الحضرة السنوسية . وتقوم هذه الطبقة الثالثة بأعمال ذات بال ولها أهميتها فى الحقل الاجتماعى . وكان العضو من هذه الطبقة يوفد إلى الخارج حاملا رسالة الحركة السنوسية ويوفد البعض منها لإجراء الصلح بين المختصمين ، والبعض منها يقوم بجلب المؤن والبضائع من الزوايا السنوسية أو من الأسواق الخارجية ، والبعض منها يقوم بأعمال شيخ أى زاوية عندما يكون شيخها خارج عمله

كان السيد عمر المختار فى مقدمة هذه الطبقة ، فذهب موفدا إلى مصر ثم إلى السودان ، كما كان يوفد إلى بعض الزوايا لنفس الغرض ، وعهد إليه ذات مرة ليقوم بأعمال شيخ زاوية القصور السيد محمد المبخوت التواتى عندما كان هذا خارج محل عمله ، ولقد تجلت نجابة عمر المختار فى كل عمل قام به .

(٢)

فى سنة ١٣١٧ هـ تحول الإمام الأعظم السيد المهدى السنوسى من الكفرة إلى السودان ، وكان السيد عمر المختار من بين المرافقين الكثيرين ، واتخذ الإمام مقره بزاوية (قرو) واضطربت فرنسا التى لم يقف فى وجهها واقف أثناء غزوها لتشاد ، وشعرت بالخطر المحدق بها فحشدت عدداً كبيرا من قواتها لمجابهة المجاهدين السنوسيين ، لاسيما وأن روح الجهاد الإسلامى قد أخذت تغلى فى النفوس ، وتنذر الفرنسيين بالويل والانفجار ، وزحفت القوات الفرنسية على بعض المواقع السنوسية ، والتقى الجمعان فى معارك دموية كان أثناؤها الكر والفر من نصيب كل من الطرفين فى فترات مختلفة ، وكان السيد عمر المختار من بين من اشتركوا فى قتال العدو بشجاعة نادرة . وفى هذه الأثناء أصيبت

الإبل التى كانت تحمل الأثقال السنوسية بمرض الجرب ، وكان عددها لا يقل عن أربعة آلاف بعير ، والإبل — كما هو الواقع — فى ذلك الوقت وفى جميع الأوقات المماثلة تعد بلا شك هى قوام الحياة بالنسبة للمجاهدين الذين تركوا ديارهم وأهليهم فى سبيل نصرة الحق وأصبحوا بعيدين عن أوطانهم فهى التى تحمل أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من المؤن والعتاد وماء الشرب إلى غير ذلك من كل ما يتطلبه الموقف ، واهتم السيد الإمام بشأن علاج الإبل من مرض الجرب ووقع اختياره على السيد عمر المختار ليكون المسئول عن هذه المهمة التى شغلت بال السيد الإمام ، فأمره بأن يذهب بالإبل إلى موقع (عين كلك) نظرا لوفرة مائه ولصلاحيته ، وكان على السيد عمر مهمة أخرى فى هذه الحالة لا تقل عن المهمة الموكولة إليه إن لم تكن فى المكان الأول من الأهمية ، تلك هى الاحتياط والحرص الشديد واتخاذ التدابير اللازمة للدفاع فيما إذا علمت فرنسا بموقع الابل وشنت عليها الغارة ، واختار عمر المختار رفاقه من المجاهدين وذهب إلى حيث أمره الامام المعظم ليقوم بالتنفيذ ولازمه التوفيق بدرجة جعلته ينال رضا وتقدير وعطف السيد الإمام الذى ما لبث أن عينه شيخا لزاوية القصور حيث وصل خبر وفاة شيخها السيد محمد مقرب حدوث (شقيق شاعر الحضرة السنوسية العلامة الجليل السيد بوسيف) وكان قد عين شيخا للزاوية المذكورة بعد وفاة شيخها الأول السيد محمد المبخوت التواتى .

وقع اختيار السيد الإمام على أن يكون خادمه الأمين المخلص الشجاع المسلم النزيه الحازم شيخا لتلك الزاوية التى تحتل مكانا حساساً فى موقعها بين القبائل ، وعاجلت المنية السيد الإمام المعظم فى نفس السنة التى عين فيها عمر المختار (١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م) قبل أن يذهب عمر المختار ليتولى عمله الجديد ، وكان أول عمل قام به المجاهد الكبير السيد أحمد الشريف

بعد وفاة عمه الإمام أن نفذ الأمر ووجه السيد عمر لعمله الجديد ، وهكذا انتقل السيد عمر المختار من الطبقة الثالثة الاحتياطية إلى الطبقة الثانية

لم تكن الطبقة الثالثة المذكورة أقل صفة وعملا من الطبقة الثانية ، ولم تكن هـــذه أقل من الطبقة الأولى ، كما لم تكن الأولى أهم من الطبقتين (الثانية والثالثة) من حيث التفاضل أو الأهمية ، ولكنه النظام وهو الذى أوجد تقسيم الأعمال إلى الفئات الثلاثة من الإخوان ، ولم يكن هذا التفصيل الذى أردنا أن نقرب به الحقيقة إلى الأذهان فى بحثنا هـذا معروفا يومذاك باسم الطبقات كما أوضحناه هنا للتعريف بأعمال الطبقات حيث لم تكن هناك طبقات تحمل أرقام الأول والثانى والثالث ، ولكنها معروفة بمعانى وواقع الحال فى العمل الذى وضحناه دون أن تحمل طبقة من هـذه الطبقات صفة تميزها عن أختها ، وإذا كان هنـاك تمييز فرده إلى الأعمال التى يقدمها الفرد حسب مقدرته واستعداده ، وهكذا كانت الأعمال موزعة بين الاخوان على الوجه المذكور ، وكان وجوب تفصيل ما كان يقوم به الفرد من الاخوان هو الذى وصف كل فريق بعمله فاقتضى التقسيم تسهيلا لتفهيم القارىء الذى يتطلع لمعرفة الأوضاع يومذاك ، إن عضو الطبقة الثالثة (التى اقتضى الحال بأن نسميها كذلك) لا يقل فى أهميته عن عضو الطبقة الثانية وهـذا لا يقل عن أخيه عضو الطبقة الأولى إذ أن الأخوان يتساوون كأسنان المشط فى الأعمال والحقوق والواجبات . ونظرة الامام إليهم نظرة واحـدة ولذلك أسماهم بالاخوان ، وكل فرد منهم يقوم بعمل حسب الاستعدادات والمؤهلات وكل منهم جزء متمم للآخر

(٣)

بمناسبة ذكر إيفاد السيد عمر المختار إلى السودان نرى وجوب ذكر هذه الواقعة التالية ونرويها كما سمعتها من الشيخ خليفة الدبار الزوى أحد

إخوان زاوية واو بفزان وهو شاهد عيان للواقعة ، قال : عندما تقرر سفر السيد عمر المختار إلى السودان قبل رحلة السيد إلى الكفرة بسنة (الرحلة كانت سنة ١٣١٢ هـ) تقرر أيضاً أن يكون معه سيدى خالد بن موسى وسيدى محمد السمالوسى وقرجيله المجبرى وأنا ، وبمرورنا بالكفرة وجدنا بعض تجار من قبيلتى زويه والمجابره وأحد تجار طرابلس يقال له بن خليف وتاجر من بنغازى من قبيلة الجهمة ، الجميع يتأهبون إلى السفر للسودان ورأينا أن ننضم إليهم للتعاون على مشقة وأتعاب السفر ، والرفيق قبل الطريق كما يقال ، وفى قلب الصحراء بالقرب من السودان قال بعض رفاقنا من التجار الذين تعودا المرور من هذا الدرب إننا سنمر بعد وقت قصير بطريق وعر لا مسلك لنا غيره ، ومن العادة ـ إلا فى القليل النادر ـ يوجد فيه أسد ينتظر فريسته من القوافل التى تمر من هناك ، وتعودت القوافل أن تترك له بعيرا كما يترك الانسان قطعة اللحم إلى الكلاب أو القطط ، وتمر القوافل بسلام ، وفى بعض الأحيان يكون الدرب خاليا من هذا الأسد فتمر القوافل دون أن تترك شيئا وعلينا أن نشترك فى ثمن بعير يكون هزيلا فنتقاسم ثمنه ونتركه إذ ما وجدنا الأسد ، فاحتد السيد عمر المختار وعارض بشدة وقال : إن الأتاوات التى كان يفرضها القوى منا على الضعيف بدون حق منعها سيدى المهدى رضى الله عنه ونحن من خدمه ومنسوبيه كيف يصح لنا أن نعيد إعطائها للحيوان ، إنها علامة الهوان والمذلة ، إننا سندفع الأسد بسلاحنا إذا ما اعترض طريقنا ، وصمم السيد عمر المختار على تنفيذ رأيه ، وحاول بعضنا أن يثنيه خوفا على سلامتنا من الأسد ، فأجاب سيدى عمر بقوله إننى أخجل عندما أعود وأقول أننى تركت بعيرا إلى حيوان اعترض طريق وأنا على استعداد لحماية ما معى وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، إنها عادة سيئة يجب أن نبطلها ، وما كادت القافلة تقترب من الممر الضيق حتى رأينا الأسد يتطلع إلينا فى مكانه الذى اتخذه على إحدى شرفات الممر فقال أحدنا وقد ارتعشت

فرائصه خوفا أنا مستعد اتنازل عن بعير من بعائرى ولا تحاولوا مشاكسة السبع ، وانبرى السيد عمر المختار ببندقيته وكانت من نوع السلاح اليونانى وهو أحسن نوع عندنا يومذاك ورمى الأسد بالرصاصة الأولى فأصابته ولكن فى غير مقتل واندفع الأسد يتهادى نحونا فرماه بأخرى صرعته ، وارتبكنا جميعا خوفا من أن هناك بعض الأساد تفاجؤنا ولكن الله سلم ، وأصر السيد عمر على أن يسلخ جلده ليراه غيرنا من أصحاب القوافل فكان له ما أراد

هذه الحادثة الصغيرة فى نظر السيد عمر المختار كان لها الوقع البالغ المعبر عن شجاعة عمر المختار ، وكان لها معناها ومغزاها الكبيران فتناولتها الألسن يومذاك بمنتهى الإعجاب ، ولقد سألت سيدى عمر المختار ونحن يومذاك فى دور المغاربة بخيمة السيد محمد الفائدى عن هذه الواقعة فأجاب بقوله تريدنى يا ولدى أن أفتخر بقتل صيد فيقال لى ما قاله قديما أحد الأعراب لمنافسه وقد قتل أسداً (أتفتخر على بأنك قتلت حشرة) ولم يشأ أن يحدثنا السيد عمر عن التفاصيل مكتفيا بقوله وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

(٤)

برزت شخصية السيد عمر المختار بين زملائه مشايخ الزوايا ، وبين شيوخ وأعيان القبايل ، ولدى الدوائر الحكومية ، وتجلت مقدرته فى مهمته الجديدة بصورة تلفت النظر ، وأصبح حزمه فى إدارة الزاوية وفى تعاونه مع زملائه الآخرين وفى معالجته للمشاكل القبلية ، وفى ميدان الاصلاح العام مضربا للأمثال ، وكانت تربطه صلات شخصية مع عدد كبير — عدا زملائه — من زعماء وأعيان القبائل فى برقة وكذلك زعماء الحواضر وكان زعماء قبائل البراعصة يرتبطون بصلات ودية صادقة مع السيد عمر المختار فى حين أنهم

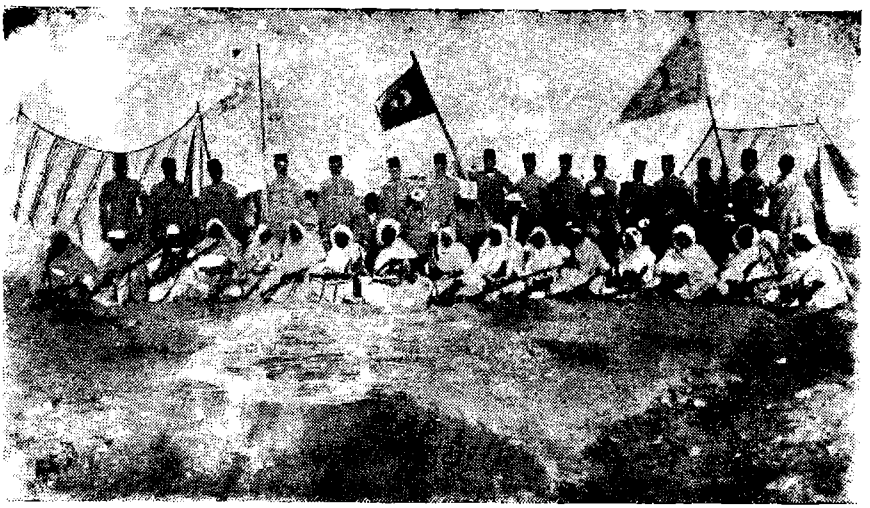

بعض من الإخوان السنوسيين أعضاء لجنة تنظيم المقاومة (١٩١٢)

تجمع هذه الصورة بعضا من الإخوان السنوسيين من لجنة تنظيم المقاومة ضد إيطاليا ١٩١١ م وهم من اليمين السادة : عمران السكورى الأمين الفهارى ، عبد الله الجيلانى ، الحسن الفهارى ، عبد الله الأشهب

لم يكونوا من القبائل التابعة لزاويته ، وارتبط أيضا السيد عمر المختار بصلات ودية وثيقة خاصة مع بعض من شيوخ الزوايا كالسادة :

السنوسى الأشهب (شيخ زاوية مسوس) وعمران السكورى (شيخ زاوية المرج) وعبد ربه بوشناف الشيخى ، والحسن الغمارى (شيخ زاوية درياته) وفى أواخر رجب من سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م قام السيد عمر المختار بزيارة الكفرة (المركز الرئيسى الثانى للحركة السنوسية) ولم يكن يومئذ فى حسابه أن حدثا خطيرا سيعقب رحلته هذه ، وأن عملا جسيما ينتظر عودته ، وأن زملاءه سيكونون فى مسيس الحاجة لوجوده بينهم ، أن الحدث المشار إليه هو الغزو الايطالى . أتم السيد عمر المختار زيارته للكفرة وعرض هناك من الشئون ما وجب عرضها ووصل إلى واحة جالو وهو فى طريق عودته إلى محل عمله واقامته ، وفى هذه الواحة فوجىء بخبر الحادث المحزن فخف مسرعاً ليجد أن إيطاليا قامت بغزو ليبيا إذ لم يمنه شهر أكتوبر سنة ١٩١١ حتى كانت قد احتلت مدائن طرابلس وطبرق وبنغازى ودرنه ، وهى ترنو بعينيها الغادرتين إلى احتلال أماكن أخرى ، وكان سرور عمر المختار عظيما إلى جانب مايحز فى نفسه ، فقد اطمأن لما علمه من أن إيطاليا لم تتمكن من احتلال هذه المدن حتى تكبدت من الخسائر الفادحة ما هوّن المصاب ، وأن الشعب الليبى الأبى قام قومة رجل واحد للدفاع عن الوطن والدين والشرف بصورة أرغمت الحكومة التركية التى كانت قررت الانسحاب دون أن تطلق رصاصة واحدة على أن تراجع ما كانت قررته وتعلن البقاء إلى جانب المجاهدين نتيجة للاجتماع الذى عقد بين حاكم بنغازى العثمانى وقائد الحامية العثمانية (الضعيفة) من جهة وبينهما وبين السيد أحمد العيساوى (شيخ زاوية بنغازى) وعبدالله الأشهب (وكيل شيخ زاية مسوس) من جهة أخرى ، وعقب هذا الاجتماع قررت الحكومة العثمانية البقاء إلى جانب المجاهدين الوطنيين لشد أزرهم فى مهمتهم التى عقدوا العزم للقيام بها غير مكترثين بقوى البغى الغاشمة وكل ما يأتى به العدوان الايطالى الأثيم .

فى ميدان الجهاد

تنظيم حركة الجهاد ، عمر المختار وعزيز باشا المصرى ، الهدنة المؤقتة ، تسجيل المتطوعين ، عمر المختار فى مصر ، وسطاء إيطاليا ، معركة بئر الغنى ، تنظيم معسكرات الجبل الأخضر .

(١)

وصل عمر المختار إلى مراكز تجمع المجاهدين (جنوب مدينة بنغازى) واشترك مع زملائه فى تأسيس دور (معسكر) بنينة التى اتخذ مركزه بالقرب من بنغازى المحتلة وعلى أبوابها ، وساهم مع زملائه من شيوخ الزوايا وأعيان القبائل والضباط العثمانيين فى تنظيم حركة الجهاد والمقاومة فى جميع أنحاء برقه ، وكانت القوة التى يعتمد عليها هؤلاء ويعتدون بها هى الايمان بالله والتمسك بالمبدأ السنوسى الذى يحث على الجهاد ، وبعدالة القضية الوطنية التى تعد جزءا مكملا للعقيدة الدينية ، وبنفس هذه العقيدة انضم عمر المختار إلى رفاقه وحل بينهم فى أبرز مكان ، وتكونت جبهات الدفاع ومراكز القتال فى جميع أنحاء برقة ، ومن بين هذه المراكز كان دور (معسكر) البراغيث (العبيد والعرفا) الذى تقرر إنشاؤه بموقع (الخروبة) تحت قيادة السيدين : عمر المختار وعمران السكورى ، واشترك عمر المختار فى عدد كبير من الوقائع وذلك فى الفترة المبكرة من تنظيم حركة الجهاد ، فساهم فى الاشتباكات التى حصلت إبان الاحتلال جنوب وشرق بنغازى وغربها ، وساهم عدة مرات فى الهجوم الليلى على مدينة بنغازى نفسها ، وعلى عدد من الحصون الايطالية

الأمامية ، وأخذ يجابه الكر والفر حسب الظروف التى تقضى ذلك واستمر هكذا إلى أن وصل سيد المجاهدين السيد أحمد الشريف إلى ميدان القتال وكان وصوله من الجنوب إلى جهات درنه (مايو ١٩١٣) وذهب السيد عمر المختار فيمن ذهبوا لاستقباله

(٢)

بما أننا أخذنا نتحدث عن السيد عمر المختار فإن الحديث عنه يجرنا أحيانا إلى ذكر أحداث لها التصاق به ومن ذلك حادثة انسحاب عزيز على المصرى من الميدان

كان عزيز المصرى قد وصل إلى برقه ضمن الضباط الكبار الذين أرسلتهم الدولة العثمانية لمساعدة المجاهدين ، وعين عزيز قائدا لدور بنينه كما كان مصطفى باشا كمال (أتاتورك) قائدا لدور درنه ، وكان أدهم باشا الحلبى قائدا لدور طبرق ، وجميع هذه القيادات مرتبطة بالقائد العام أنور باشا ، وما كان هؤلاء القاده يستطيعون الاتيان بشىء دون الرجوع إلى هيئة تنظيم الجهاد المؤلفة من مشايخ الزوايا وأعيان القبائل ، وتركت هذه الهيئة شؤون التدريبات العسكرية وتنظيم التشكيلات ، وتدبير ورود الأسلحة والذخائر إلى القادة المذكورين وأخذ هؤلاء الضباط فى التعاون مع المجاهدين إلى أبعد الحدود لاسيما أنور باشا وفى أواخر ١٩١٢ تقرر أن يعود أنور باشا إلى استانبول فذهب إلى الجغبوب لمقابلة السيد أحمد الشريف الذى كان يتولى قيادة الحركة السنوسية بالوكالة عن السيد أدريس السنوسى خليفة والده الإمام السيد محمد المهدى ، وتقرر فى الجغبوب أن يحل عزيز على المصرى محل أنور باشا ، ووجه السيد أحمد الشريف نداءاً بذلك إلى المجاهدين وطلب منهم التعاون مع القائد الجديد ، وبعد ذلك وصل السيد أحمد الشريف إلى ميدان الجهاد ، وكان وصوله أولا إلى جهات درنه حيث يوجد مقر القيادة ؛ وكان الجو

قائما بين رؤساء المجاهدين وعزيز على المصرى نتيجة اتصالات سرية حصلت بين عزيز وإيطاليا بواسطة رسل معينين اتضح منها أن عزيز باشا المصرى قد رسم خطة يمكن اعتبارها أنها عمل لانهاء الحرب مع إيطاليا دون أن يكون لأصحاب الشأن رأى فيها ، وقد فسر البعض هذا التصرف من عزيز بمبادرة سيئة هى الخروج عن السنوسيين والاستئثار بالسيطرة على البلاد ، وهذه لا تكون مهما فكر فى شأنها من ملأ رأسه الغرور ولن تكون ولن تتم لأن سلطان السنوسية لا يمكن أن يتغلب عليه أى سلطان ولو كان ذلك — كما يقول سليمان باشا البارونى — من الملائكة ، أما الشىء الذى يمكن أن ينجح به المتآمرون مبدئيا ، قد يكون هو إنهاء القتال ولو موقتاً وذلك بطريقة التغرير بالمجاهدين واستعمال النفوذ العسكرى الممثل فى شخصية القائد ؛ وعلى كل حال فإن عزيز باشا كان يرسم — أو رسم فعلا — خطة خفية تراءات أعراضها بمجرد وصول السيد أحمد الشريف ، وكان مجرد وصوله للميدان كاف لاحباط كل مؤامرة وللقضاء على ما كان يفكر فى تنفيذه عزيز المصرى ولذلك قرر عزيز أن ينسحب من الميدان ويذهب إلى مصر ويترك السنوسيين وحدهم فى الميدان ، وقد وجه انذاره إلى السيد أحمد الشريف باستحالة مواصلة القتال وحاول السيد أحمد الشريف أن يقنع عزيزا بالاقلاع عن هذا التشاؤم وكان لا يزال يظن به خيرا ، واتضح أن عزيزاً قد أصر على رأيه فأعلن السيد أحمد الشريف فصله من القيادة . وانسحب عزيز إلى طبرق وليته اكتفى بانسحابه شخصياً دون أن يسحب معه المهمات الحربية . لقد باشر فعلا فى الانسحاب بعد أن تبودلت بينه وبين إيطاليا بعض الاتصالات بواسطة الرسائل والرسل وسحب معه عدداً من الضباط والجنود النظاميين بعد أن اتلف ما ثقل عليه حمله من المؤن والسلاح والذخيرة والأدوية . وشق تصرفه هذا على المجاهدين وعلى سيد المجاهدين ، وبدأت اتصالات بعزيز حول الموضوع على أمل أن تدفعه العاطفة الإسلامية والحمية العربية فيترك

للمجاهدين الشيء الذى كان مخصصاً لميدان الجهاد ، ولكن عزيزا تمادى فى إصراره . وتحول بأثقاله التى هى فى الحقيقة أثقال المجاهدين إلى طبرق .

ورأى السيد أحمد الشريف بأن يذهب السيدعمر المختار مصحوباً ببعض الأعيان لمقابلة عزيزعلّه يثنيهعن عزمه . وكان الأمل محصوراً فى أن يترك عزيز ماسحبه من الجنود النظاميين إلا إذا رفض هؤلاء البقاء وكذلك الضباط ليساعدوا المجاهدين على تنظيم كتائب المتطوعين ثم لعله يترك الأسلحة والذخائر التى كانت قدخصصت للمجاهدين . وقد أتلف الكثير منها فبدلا من أن يحمل ما بقى بيده من الأسلحة إلى مصر أو إلى تركيا وهى التى سبق أن جادت بها على المجاهدين يتركها لهم . وتعنت عزيز الذى أظهر بذلك التعنت أن نفسه تحمل غرضا وقلبه يحمل غيضـــاً ومرضا . فرفض جميع الرجاءات بل أنه جعل هذا الرفض مشفوعاً بتصرف يخجل القلم العربى من أن يسطره منسوباً لرجل عربى . وقدفصّل تلك الأحداث السيد أحمد جاويش (المصرى) فى كتاباته وهو شاهد عيان . ولم أدر عما إذا كان السيد أحمد جاويش شقيقاً للأستاذ الكبير عبدالعزيز جاويش أم هو ابن عمه . ولقد كان اثنان من أسرة جاويش هما أحمد وحسن قد حضرا إلى برقه إبان المرحلة الأولى من الجهاد وبقيا بدور (معسكر) بنينه حيث كان قائده هو عزيز على المصرى ثم تنقلا بين مختلف الأدوار الأخرى ببرقة . وكان السيد أحمد جاويش حاضرا عندما وصل السيد أحمد الشريف من الجغبوب ووقف شخصياً على موقف عزيز باشا المذكور ونشره فى عدة مناسبات ومنها مانشره فى مجلة الهداية . وقد نقلنـــا عنه بعض التفاصيل فى كتابنا (برقة العربية أمس اليوم)

(٣)

عاد السيد عمر المختار ورفاقه إلى معسكر المجاهدين دون أن تسفر مقابلتهم

لعزيز المصرى عن نتيجة وأخبر السيد أحمد بما حصل ومن ثم عاد إلى مقر قيادته بدور الخروبة ، واستمر المجاهدون فى قتال الطليان ، وكان من أشهر الوقائع المعروفةهى واقعة (يوم الجمعة ١٦ مايو ١٩١٣) وهكذا كان اسمها ، وقد حصلت يوم وصول السيد أحمد الشريف إلى معسكر درنة وقد اشترك فيها عمر المختار الذى جاء لاستقبال السيد أحمد الشريف ، ولم ينقطع الاحتكاك بالطليان زاحفين أم مزحوف عليهم ، وكان عمر المختار دائما فى طليعة من يشار إليهم فى تلك المجالات إلى أن تسلم السيد إدريس المهدى السنوسى سلطانه وآلت إليه أمور البلاد بعد عودته من الأراضى الحجازية حيث كان يؤدى فريضة الحج لأول مرة (سنة ١٩١٤) وأصبح السيد عمر المختار ـ كما كان دائما ـ فى مقدمة الذين يعتمد عليهم السيد إدريس السنوسى أمير برقه يوم ذاك (ملك المملكة الليبية المتحدة) فاصطفاه بين من اصطفاهم سموه واختاره لمهام الأمور السياسية والعسكرية والإدارية ، وفى هذه الفترة كانت الحرب السنوسية الانجليزية التى قامت فى حدود مصر الغربيـة قد توقفت بمساعى السيد إدريس السنوسى ، وكان نورى باشا (شقيق أنور باشا) يعمل مع السيد أحمد الشريف كضابط اتصال فتحول من منطقة السلوم حيث كان مركز القيادة السنوسية فى موقع (مساعد) إلى جهة طبرق ، واقتضت الظروف التى أرغمت السيد إدريس السنوسى للتفـــاهم مع الانجليز أولا ، ثم للتفاهم مع الطليان ثانيا بأن لا تسمح لنورى باشا بالبقاء فى المنطقة ، وأخذ الانجليز يطالبون بتسليمه إليهم كأسير حرب وأبت شهامة السيد إدريس الخضوع لهذا الطلب ، فاقتضى رأيه بأن يحتفظ لنورى باشا بحريته وبعزته ، وأوفد السيد عمر المختار والسيد خالد الحمرى والشيخ إبراهيم المصراتى الكزة إلى نورى باشا لاستدعائه إلى جدابيه (مركز السيادة السنوسية يومذاك) ليخيره السيد إدريس فيما إذا أراد نورى البقـــاء بجانبه فى جدابيه بغرض حمايته من الوقوع فى أحد الأسرين (الانجليزى والإيطالى) أم عودته إذا شاء (معززاً

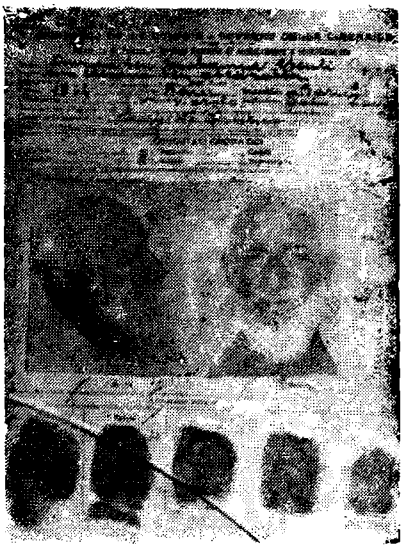

السيد عمران السكورى أحد القادة السنوسيين « توفى بليبيا ١٩٣٤ »
وقد أخذ الطليان صورته هذه أثناء اعتقاله سنة ١٩٣٠

أدهم باشا الحلبي قائد دور طبرق وقد جلس عن يساره الأمير شكيب أرسلان
(المعسكر السنوسى ١٩١٢)

مكرماً) إلى تركيا ، ووافق نورى باشا فحضر إلى جدابيه وشمله سمو الأمير بعطفه الكريم ، وأبدى نورى باشا رغبته فى الذهاب إلى تركيا عن طريق مصراته ليستقل منها الغواصة الألمانية فكان له ما أراده ، وقد فصلنا عن ذلك فى ردودنا على ما أسماه عبد الرحمن عزام بمذكراته أو ذكرياته التى نشرها تباعا بمجلة المصور الغراء سنة ١٩٤٩ م وكان ردنا على ما جاء فى تلك المذكرات أو الذكريات من أخطاء مقصودة وافتراءات مغرضة منشوراً فى جملة أعداد من جريدة (التاج) التى كانت يومذاك تصدر فى بنغازى .

استمر السيد عمر المختار يقوم بواجباته الكثيرة الملقاة على عاتقه فى تلك الفترة العصيبة من تاريخ ليبيا تحت قيادة سمو الأمير السيدمحمد إدريس المهدى السنوسى .

نقول إن الظروف كانت عصيبة لأننا لم نجد عبارة نصف بها تلك الظروف أكثر من ذلك ، وإلا فلوردد نا كل العبارات التى تستعمل لوصف قسوة الظروف لما وجدنا عبارة تصف الموقف كما هو ولذلك اقتصرنا على وصفها بأنها عصيبة ، إن البلاد الليبية التى كانت تعانى ويلات الحروب غير المتكافئة فى جهـــات ثلاثة : (معالفرنسيين فى الجنوب ومع الانجليز على الحدودالليبية المصرية ، ومعالطليان فىالدواخل) يضاف إلى هذه الجبهات المذكورة جبهة أخرى هى أشدها خطراً وفتكا وأعنى بها حرب الطبيعة فكان القحط الذى وطد أطنابه فى جميع أنحاء البلاد شاملا وقد تفشت أنواع الأوبئة الماحقة كالطاعون والحمى التيفودية وزحوف إرجال الجراد وتسبب عن هذه الجبهة الرابعة فوضى وقلق واضطراب يكاد ينتج عنها القنوط واليأس داء لا دواء له الشىء الذى كان يسهل مهمة إيطاليا فى الاستيلاء على البلاد وكانوا عاجزين أمام موقف المجاهدين طيلة الخمس سنوات التى سبقت فتح هذه الجبهة الرابعة ، وشاء الله العلى القدير أن تنتصر السياسة الادريسية الحكيمة (نسبة لإدريس) فتغلبت على جميع العقبات . وكان السيد عمر المختار من أبرز الشخصيات التى ساهمت فى تطبيق وتنفيذ هذه السياسة ، وتقلب فى عدة مناصب رئيسية حساسة ولها مسئولياتها

الكثيرة المتشعبة سياسياً وإدارياً واجتماعياً ، فعين فى فترة من الزمن نائباً لسمو الأمير فى المنطقة الغربية من برقة ولهذا المنصب سلطات عامة واسعة ثم تولى نفس المنصب فى برقة الشرقية وذلك إلى جانب عضويته (بالمجلس الخاص) الذى كان يضم عدداً من علية القوم (الإخوان وأعيان القبائل) وهو مجلس شورى له سلطات خوله إياها سمو الأمير ، وهو بمثابة المجلس التشريعى يومذاك ، وفى هذه الأثناء كانت قد عقدت هدنة بين القائد الأعلى للمجاهدين السيد إدريس السنوسى والانجليز من جهة ، وبينه وبين إيطاليا من جهة أخرى وكان الانجليز قد اشترطوا فى تفاهمهم مع قائد المجاهدين على عقد هدنة بينه وبين الطليان ، يضاف إلى هذا الشرط الانجليزى ضغط الطبيعة القاسى الذى لا يرحم ومهدت هذه الهدنة للاتفاقات والمعاهدات السنوسية الايطالية التى نظمها اجتماع الزويتينة فى ١٤ أبريل سنة ١٩١٧ ثم اجتماع الرجمة فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢٠ وكان قد حصل قبل كل ذلك اجتماع سابق بين الطرفين (السنوسى والايطالى) فى عكرمة مهد لاجتماع الزويتينة المذكور الذى ضم أعضاء من الأطراف الثلاثة المعنية بالأمر (السنوسية والانجليز والطليان) واتخذ سمو الأمير مركز جدابيه عاصمة للإمارة ولحكومته الوطنية وهى أول حكومة تنشأ فى البلاد ، وقد نصت اتفاقية الرجمة على اعتراف إيطاليا بالامارة السنوسية وبموجبها تنسقت الاتصالات والعلاقات بين الطرفين وكان السيد عمر المختار ـ مع اعتراف إيطاليا بالإمارة ـ حريصا على أن لا تكون له أية صلات بها ، وكان الطليان يحاولون الاتصال به ـ كما أخذوا يتصلون بغيره وإن كان الاتصال بالغير يبدوا بريئاً فى ظاهره ويعتقد هذا الغير البراءة بالفعل إلا أن إيطاليا ترمى من ورائه إلى إغراء كل من يتصل بها كما ترمى بذلك الاتصال للوقوف على نقاط الضعف ، ولكن عمر المختار كان أحذر من أن يقع فى الشباك المنصوب له ولأمثاله ، فنستمع إليه وهو يقول فى إحدى رسائله للمرحوم الشارف باشا الغريانى : « نحن هنا لا حاجة عندنا

إلا مقاتلة أعداء الله والوطن وأعدائنا ، ثم يقول : « ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش والسبايس ولا نخاف حتى من السم الذى وضعوه فى الآبار ووضعوه على الزروع النابتة فى الأرض ، نحن من جنود الله وجنوده هم الغالبون »

كان عمر المختار يتوقع دائما وبين لحظة وأخرى الخديعة من إيطاليا ولذلك تجده يتحفز دائما للوقوف عندما تبدو الخيانة الإيطالية التى يتراءى له شبحها من قريب ، وما كان نكث الطليان عهودهم بالأمر الغريب عند المختار فهو عنده لم يكن مفاجأة

(٤)

فى أواخر سنة ١٩٢٢ اشتدت وطأة المرض بعاهل البلاد سمو الأمير المعظم ، وتقرر سفره إلى مصر طلباً للعلاج المزدوج ، علاج المرض الذى ألم بصحته الغالية لاسيما وأن الاشاعات قد ترددت بصورة تجعل من الشك يقينا وهى أن بعض الطليان قد أقدم على دس السم لسمو الأمير ، وعلاج الموقف السياسى فى ليبيا وعرض قضيتها على رجالات العرب والمسلمين وعلى الصحافة العربية ، وكل من يهتم بقضية العدل والسلام من الأجانب أنفسهم إذا ما وجد هذا النوع أملا فى الحصول على مساعدات تشد من أزر المجاهدين الذين بدءوا يتهيئون لاستئناف الجهاد بعد أن كشفت إيطاليا عن سوء نيتها فى كثير من تصرفاتها عقب الاجتماع الليبى الذى انعقد على بيعة سمو أمير برقه أميراً على ليبيا جمعاء ١٩٢٢ م) وكان الفاشيست قد استولى على مقاليد الحكم فى روما ومنذ ذلك الوقت أخذت السلطات الايطالية فى برقة تستفز الحكومة الوطنية وتأتى بتصرفات مرتجلة لا تقرها الاتفاقيات التى أشرنا إليها ، وبدأت القوات الإيطالية تصل إلى الموانى البرقاوية زرافات ووحدانا ، وغيرت الإدارة الايطالية الكثير من مسلكها مع الحكومة الوطنية ، وبدأت بعض التحرشات الفعلية كهجوم إيطاليا على دور الآبار وإلقاء القبض على الزعيم السنوسى

السيد صالح العوامى غدرا ونقله إلى سجن بنغازى حيث توفى إن لم يكن قد قتل ، وكوصول الباخرة الإيطالية إلى ميناء الزويتية فى نفس الميعاد التى كانت تصل فيه عادة تحمل البريد وبضائع للتجار ومؤن خاصة بضابط الاتصال الإيطالى ، وعند ماصعد إليها السيد محمد عبدالله اللذيد أحد الموظفين الوطنيين مصحوبا بضابط الاتصال الإيطالى قام بعض الجنود الإيطاليين باطلاق الرصاص على الموظف الوطنى فأرداه قتيلا وأقلعت الباخرة فكأنما كانت مهمتها هى نقل الضابط الايطالى وقتل الموظف الوطنى، كان هذا التصرف بمثابة الانذار الشديد اللهجة بإشعال نار الحرب ، وتأكد المسؤلون من وقوع ما ستسفر عنه الأيام القريبة ، وهـذا ما كان يتوقعه — على الأخص — عمر المختار .

هذه العوامل منفردة ومتجمعة كان لها الأثر الفعلى فى الإسراع بسفر سمو الأمير إلى القاهرة أملا فى الوصول إلى نتيجة يتلافى بها الموقف الذى أصبح ينذر بإشعال نار الحرب ، ورسم الخطوط العريضة قبل مغادرة البلاد وأناب عنه سمو شقيقه سيادة السيد رضا بوصفه الوكيل العام ، وحدد الاختصاصات، وعين رؤساء القيادات التى أنيط بها ممارسة حركة الدفاع الوطنى فعين السيد صفى الدين السنوسى بلقب نائب الأمير ليشرف على قيادة طرابلس العامة بالتعاون مع القيادة الطرابلسية المعينة فى مصراته وترهونه من قبل هيئة الاصلاح المركزية التى اعتمدها سمو الأمير فى رده على كتاب البيعة وكان القائد الطرابلسى هو محمد سعدون السويحلى ، كما تتبع هذه القيادة قيادة واحات الجفرة ومنطقة سرت ، ويشرف على هذا الجانب القائد السنوسى أحمد سيف النصر مستعينا بأخويه عبد الجليل وعمر(هذا الأخير عين واليا لولاية فزان سنة ١٩٥٤ بعد وفاة شقيقه السيد أحمد سيف النصر والى فزان) وعين سمو الأمير أيضا صالح باشا الأطيوش لقيادة منطقة برقه الغربية كما عين قجه بك عبد الله لقيادة منطقة برقه الوسطى، واتخذت هذه القيادة مركزها بموقع (البدين) أما السيد عمر المختار فقد عين لقيادة برقه الشرقية (الجبل الأخضر

والبطنان) وهذه القيادة هى أهم القيادات المذكورة من حيث مواجهة العدو الرابض على طول الساحل الشرقى من برقه ، ومن حيث استيلائه على غالبية المدن الجبلية الهامة فى الدواخل ، ومن حيث اهتمام الطليان عسكريا وسياسياً بهذه المنطقة ، ومن حيث اعتقادهم الخاطىء أن قبائل هذه المنطقة ستكون موالية لهم بحكم الاحتكاك المباشر ،وكل هذه الاعتبارات جعلت لهذه المنطقة أهمية كبرى فى نظر المجاهدين الوطنيين وفى نظر أعدائهم الايطاليين ،'وبما أن حديثنا الآن مقتصر فى هذه الحلقة من كتابنا هذا على السيد عمر المختار فإننا سوف لن نذكر عن القيادات الأخرى إلا ما كان متصلا بالمترجم له ، وسبق أن فصلنا بعض الشىء عن هذه القيادات فى كتابنا (برقه العربية أمس واليوم) بمجرد أن تلقى السيد عمر المختار أمر تعيينه لهذه القيادة الهامة وهو يومئذ يشغل منصب نائب الأمير بالمنطقة الشرقية أخذ فى تهيئة الأفكار لمجابهة العدو فى المرحلة الثانية من الجهاد الوطنى المقدس . وبدأ جولاته فى أنحاء المنطقة الموكول إليه أمرها للاتصال بالأهالى وزعمائهم ، بل وبالأفراد كخطوة أولى للعمل الجديد والشاق فى نفس الوقت . واطمأن للنتيجة بعد أن قام بالاتصالات الواسعة . وبدأ الخطوة الثانية بأن فتح سجلا لقيد أسماء المتطوعين الذين أقبلوا على ذلك بوجوه مستبشرة وقلوب مطمئنة وتلهف على مجابهة العدو الغادر ، وكانت ترافقه هيئة مكونة من بعض أعيان وشيوخ قبائل المنطقة (البراغيث والحرابى والمرابطين) لمساعدته فى مسؤليته الوطنية الكبرى ذات الطابع العسكرى نذكر منهم السادة : على باشا العبيدى . السيد يوسف بورحيل المسمارى . بوشديق بومازق حدوث . الصيفاط بوفروه . محمد بو بلقاسم جلغاف ، حمد الصغير حدوث دلاف بو عبد الله ، محمد العلوانى . سويكر عبد الجليل . موسى بوغيضان . الغريانى عبد ربه بوشناف . عبدالله الخرسانى عوض العبيدى . رجب بوسبحة ، رواق بودرمان . كريم بوراق . قطيط الحاسى . وغير هؤلاء من علية القوم مع (مفرزة) صغيرة من الجيش النظامى

بضباطها فزار أغلب مناطق الجبل والبطنان ، وكان سمو الأمير قد وصل إلى مصر (يناير ١٩٢٣) وما كاد السيد عمر ينتهى من جولته هذه ويطمئن لما أسفرت عنه حتى قرر الالتحاق بسمو الأمير فى مصر ليعرض على سموه نتيجة عمله ويتلقى منه التوجيهات اللازمة ، وكانت عيون الطليان تتبعه بمختلف الوسائل فسافر فى شهر مارس سنة ١٩٢٣ يصحبه على باشا العبيدى وترك رفاقه بموقع بئر الغبى ريثما يعود إليهم ، ووصل إلى مصر فاهتمت المفوضية الإيطالية هناك وكلفت بعض المتصلين بها من أولئك الذين تربطهم علائق مادية بإيطاليا الاتصال بالسيد عمر المختار ونصحه بالعودة إلى ليبيا على حسابها على أن تقطع على نفسها عهداً بأن ستقدم له كل مساعدة إذا ما تعهد باتخاذ سكنه فى مدينة بنغازى أو المرج ، وملازمة بيته تحت رعاية وعطف إيطاليا ، أما إذا أراد أن يخدم بلاده ـ نوع هذه الخدمة تقررها إيطاليا نفسها ـ وينصح الأهالى بالإقلاع عن فكرة القيام فى وجه إيطاليا ـ وهو عمل كما نقول إيطاليا لاناقة للأهالى فيه ولا جمل ـ ويتخلوا عن الانقياد لإدريس السنوسى فإن حكومة روما على استعداد بأن تجعل من عمر المختار الشخصية الأولى فى ليبيا كلها وتتلاشى أمامه جميع الشخصيات الكبيرة التى تتمتع بمكانتها (عند إيطاليا) فى طرابلس وبنغازى ، وإذا ما أراد البقاء فى مصر فما عليه إلا أن يتعهد بأن يكون لاجئا ويقطع علاقته بإدريس السنوسى وفى هذه الحالة تتعهد حكومة روما بأن توفر له راتباً ضخماً يمكنه من حياة رغد ، وأبدت المفوضية الإيطالية على ألسنة رسلها الاكتفاء بالوعد من عمر المختار فيما إذا قبل ما لوحت به المفوضية الايطالية ، وهى تنتظر منه عهدا يقطعه على نفسه أمام شخصية مصرية لها ضلع فى الموضوع ، وهذه الشخصية تنتظر إيماءة من عمر المختار وعندما تتفق منه على قبوله زيارة محلها بصورة سرية ويحضر الاجتماع مندوب عن المفوضية وشخصية أخرى من سراى عابدين مبالغة فى تطمين عمر المختار وكى لا يذهب شخصياً للمفوضية الايطالية فى أول مراحل التفاهم ويتم كل شىء بدون ضجيج تطميناً لعمر المختار .

هذا الموضوع أطلعنى عليه كما نقلته بالحرف الواحد فى سنة ١٩٤٤ الكولليو انجلو عيدان وهو من كبار الموظفين بقلم الترجمة فى ديوان والى بنغازى الايطالى يومذاك . وكان من نسختين إحداهما بالخط العربى وهى الأصل الذى وصل إلى المفوضية الايطالية بمصر فى شهر يوليو سنة ١٩٢٣ وقد أرسلته المفوضية إلى حكومة روما التى تولت تحويله إلى الجنرال بونجوانى والى بنغازى كما قال الكولليو انجلو عيدان ، أما النسخة الثانية فكانت باللغة الايطالية وعليها توقيع المترجم (خورى) وبعد أن سمح لى الكولليو عيدان بأن أنقل النسخة العربية ، سلمنى ملفاً به هاتان النسختان مرفقتان بنسخ من بعض الردود التى وصلت من بعض الشخصيات البرقاوية على أسئلة الوالى التى أشرنا اليها ، قائلا ربما تفيدك هذه الموضوعات للتاريخ ولدى العدد الكثير من مثل هذه الوثائق السياسية المتصلة بتاريخ إيطاليا فى بلادكم سنبحث عنها وسنسلمها لكم، وحاولت أن ينى الكولليو عيدان بوعده ولكنه انقطع عنى وعلمت أنه مريضاً فزرته لأضرب زرزورين بحجر واحد، فقصدته فى بيته لأعوده وهو مريض ولأغتنم الفرصة فأذكره بوعده لى حول الوثائق ، وقبل أن أفاتحه قال : إننى لم أتمكن من فحص الوثائق والتفريق بين المهم منها وغيره ، وأنا كما ترونى مريضاً وإننى سأجمع ما تحصلت عليه من الوثائق التى تهم ليبيا وسأغتنم أول فرصة تتشرف فيها برقة بزيارة سمو الأمير وأعمل من عندى لأتشرف بزيارته وسموه يعرفنى شخصياً وسأرفع اليه تلك الوثائق ؛ ولقد سألت فقيد ليبيا الكبير السيد ابراهيم أحمد الشلحى فى مصر بعد أن أطلعته على النسختين العربية وهى خلوة من التوقيع فى صورة مذكرة ، والايطالية وهى ترجمة للعربية موقعة من الترجمان (خورى) سألته عما يعلمه عن هذه المعلومات فقال : « إن إيطاليا أوعزت إلى السيد عمر المختار بواسطة أشخاص معينين ، وسئل السيد عمر المختار وهو فى مصر عن صحة ذلك فأكده وتحاشا كعادته

أن يذكر لسائليه عن اسم الشخص أو الأشخاص فقال (كل شاة معلقة بكراعها) وثقوا أنى لم أكن لقمة طائبة يسهل بلعها على من يريد ؛ ومهما حاول أحد أن يغير من عقيدتى ورأيي واتجاهى ، فإن الله سيخيبه ، ومن (طياح سعد) إيطاليا ورسلها هو جهلها بالحقيقة . وأنا لم أكن من الجاهلين والموتورين فادعى أنى أقدر أعمل شيئا فى برقة ، ولست من المغرورين الذين يركبون رؤسهم ويدعون أنهم يستطيعون أن ينصحوا الأهالى بالاستسلام ، انى أعيذ نفسى من أن أكون فى يوم من الأيام مطية للعدو وأذنابه فأدعوا الأهالى بعدم الحرب ضد الطليان ، وإذا لا سمح الله قدر على بأن أكون موتوراً فإن أهل برقة لا يطيعون لى أمراً يتعلق بإلقاء السلاح إنى أعرف أن قيمتى فى بلادى إذا ما كانت لى قيمة أنا وأمثالى فإنها مستمدة من السنوسية ومن هذاك الرجل الذى يقبع فى مصر الجديدة (يقصد سمو الأمير الذى اتخذ مسكنه يومذاك بمصر الجديدة من القاهرة) فهو الذى إذا ما نفخ فى الحبل (يصير حنشاً) ، مساكين الطليان ، إن جهلهم بالأمور جعلهم يجهلون من هو صاحب الأمر فى بلادنا . إنه سيدى ادريس الذى يحركنا فنتحرك ويوقفنا فنجمد ، هذا ما قاله السيد عمر المختار عند ما سئل قبل أن يغادر القاهرة عائداً إلى ليبيا ، وأردف السيد ابراهيم الشلحى قائلا إن السيد حسن الغريانى (أحد المهاجرين من مجاهدى برقة وكان من رفاق عمر المختار وأخصائه) قد اتصل كتابياً بالسيد عمر المختار وطلب منه تفاصيل مارددته الاشاعات عن أسماء معينة كانت تحاول أن تلعب دوراً لمساومة إيطاليا على حساب السيد عمر المختار فأجابه السيد عمر قائلا : تأتيك الأسماء وأرجوك أن تستر عوراتهم فإنهم منا ولنا ، وقد لا تكون نيتهم أو نية بعضهم سيئة إذا استثنينا واحدا فقط ، والله سبحانه وتعالى ساتر ويحب الستر ، وقال السيد ابراهيم أيضاً إن هذه النسخة العربية التى سلمها الك الكواللير عيدان أعتقد أنها طبقاً لأختها التى تحصل عليها السيد حسن الغريانى وكان يبحث عن كل

أحد المعسكرات السنوسية (دور) ١٩١٢

شيء يتعلق بقضية بلادنا لأنه يضع فى تاريخ الحرب الليبية الإيطالية وقد باشر فى تدوين ذلك إن لم يكن قد فرغ منه وقد توفاه الله قبل أن يخرجه حيث اعترضته عقبات شتى ، ومن المحتمل أن يوجد مؤلفه المخطوط عند إحدى ابنتيه وإحداهما هى زوجة الوجيه البنغازى الحاج عبد الكافى السمين (أحد مهاجرى المجاهدين وعضو مجلس الشيوخ الآن) ثم أردف السيد إبراهيم قائلا إن الذى أعرفه هو أن السيد عمر المختار عند ما كان فى القاهرة لم يمتنع من مقابلة من يريد مقابلته ، وقد لبى كثيراً من الدعوات وأقيمت له حفلات خاصة ، ومن ضمن الدعوات التى قبلهـــا دعوة السيد عبد الرحمن عزام فى حلوان ، وفجأة رفض مقابلة أية شخصية ما لم تكن من حاشية سمو الأمير ، عرفنا الآن كيف فشلت جميع المحاولات التى قام بها الوسطاء الذين قال عنهم السيد عمر المختار أن نيتهم حسنة أو هكذا يعتقد طالباً التستر على ذكر أسمائهم ، وعرفنا أنه رفض بعد ذلك مقابلة أى إنسان لا يكون من حاشية سمو الأمير مهما تكن الشخصية التى ترغب مقابلته وكيفما تكن صلته بها ، ونفذ ما قرره إلى أن غادر مصر فى طريقه إلى بلاده .

سبق أن ذكرنا عن سفر سمو الأمير إلى مصر من أجل العلاج المزدوج الذى أوضحناه ويجدر بنا أن نتناول ما أشيع يومذاك عن وضعية دس السم لسمو الأمير : لم يكن مصدر هذه الاشاعة هم الليبيون فحسب ، ولا جرم إذا ما صدّق الليبيون هذه الاشاعة وذلك لسوء ظنهم بالحكام الايطاليين المستعمرين نتيجة لرعونة هؤلاء وسوء تصرفاتهم المصطبغة بالارتجـــال الصبيانى ، ولكن اشترك الايطاليون أنفسهم فى نشر هذه الاشاعة على لسان الكمندتور زيدًا الذى كان يشغل منصباً سياسياً هاماً فى بنغازى سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ وبحكم عمله كان على صلة تمكنه من الوصول إلى هذا الفعل الشنيع إذا ما أصبح مقرراً عند حكومته أو كان يدور فى تفكيره الشخصى وسواء تكون هذه الاشاعة صحيحة أم مكذوبة فإن هذا الشخص قد لبث

بها نفسه ولطخ بها سمعة حكومته التى تدعى (كذبا) إنهـا جاءت إلى البلد تحمل مشاعل المدنية والسلام والعدل ، وعليها أن تتحمل بفعلته هذه العيوب اللانسانية ، كان الـكمندتور زيدًا يشغل منصبه السياسى كما قلنا فى بنغازى ونقل إلى طرابلس سنة ١٩٢٢ م على غير ما يرغب وهناك أظهر امتعاضه وسخطه من النقل للـكثير من المتصلين به من العرب ، وقد صارح أحد الأعيان الطرابلسيين من ذوى المكانة يومذاك بقوله : إننى خدمت حكومتى بصورة لا يستطيع غيرى أن يقدمها ، وهى أننى استطعت أن أعمل عملا إيجابياً لإزالة العقبة الكأداء عن طريقنا حتى لا يكلفنا احتلالنا لجميع مناطق برقة شيئا ، وما علينا إلا تحضير الأعلام الايطالية المثلثة الألوان لرفعها فى جميع المدن والقرى البرقاوية ، لقد تمكنت من دس السم للسيد ادريس السنوسى الذى نعتبره أخطر عدو لدود وأعند خصم لنا ، فبدلامن أن يكون جزائى هو الترقية وإبقائى فى برقة حتى نشهد ثمرات عملى ونشهد علمنا يخفق فى آخر معقل من معاقل السنوسية كالـكفرة والجغبوب ، بدلا من ذلك فقد عاملتنى حكومتى بالنقل إلى طرابلس وبنفس الدرجة ، هذا ماسرده الـكمندتور زيدًا ممتعضا ومستاءا على مسامع الشخصية الطرابلسية الـكبيرة التى أخذت تستمع فى ضيق وتألم وانقباض لأقوال الـكمندتور زيدا أثناء المأدبة التـكريمية التى أقامتها هذه الشخصية للمتحدث الوقح وقد أخبرنى بتفاصيل هذه الواقعة كما ذكرناه شقيق الشخصية المشار إليها والذى كان حاضراً بنفسه وكان يتألم من ذلك باعتبـاره أحد المتصلين بالسنوسية برابطة قديمة

(٥)

غادر السيد عمر المختار ـ كما سبق ذكره ـ القاهرة فى طريقه إلى ليبيا ليجد أن الطليان قد زحفوا على أماكن المجاهدين فى برقه ، وإنهم احتلوا مواقع بعض

المعسكرات ، وأنهم زحفوا على دور (معسكر) العواقير بموقع البدين وبعد معركة شديدة كبدت الطرفين خسائر فادحة انسحب الدور إلى جدابيه ، واستمر الزحف الإيطالى يقفوا أثره حتى اشتبك مع طلائع دور المغاربة فى الزويتينه ؛ ولم يطل الدفاع عنها حتى احتلها العدو وواصل زحفه إلى جدابيه حيث احتلها فى (إبريل ١٩٢٣) عاد عمر المختار ليجد هذه الأحداث المحزنة قد وقعت بعد سفره لمصر ، وليجد أيضاً أن استعدادات إيطالية كبيرة اتخذت للحيلولة دون وصوله إلى بلاده إن لم يتم إلقاء القبض عليه حينما يتجاوز الحدود المصرية . كنا ذكرنا أن السيد عمر المختار ترك رفاقه بموقع بئر الغبى ريثما ينتهى من مقابلة سمو الأمير بمصر ويرجع لهم ، وفى طريقه إليهم ترصدته العيون الإيطالية ولكنها فشلت فى اللقاء به قبل أن يصل إلى رفاقه وما كاد يصل إلى بئر الغبى حتى فوجىء بعدد من المصفحات الايطالية وفيما يلى نذكر القصة كما رواها لنا بلسانه ، قال

كنا لا نتجاوز الخمسين شخصاً من المشايخ والعساكر وبينما تجمع هؤلاء حولنا لسؤالنـــا عن صحة سمو الأمير وأخذت أنا ورفيق على باشا العبيدى نشرح لهم عن صحة سمو الأمير ، وكنا صائمين رمضان وإذا بسبعة سيارات إيطالية قادمة صوبنا فشعرنا بالقلق لأن مجيئها كان محل استغرابنا ومفاجأة لم نتوقعها وكنا لم نسمع عن هجوم الطليان على المعسكرات السنوسية واحتلالهم جدابيه فأخذنا نستعد فى هدوء والسيارات تدنوا منا فى سير بطىء فأراد على باشا العبيدى أن يطلق الرصاص من بندقيته ولكننى منعته قائلا : لابد أن نتحقق قبلا من الغرض ونعرف شيئاً عن مجىء هذه السيارات كى لا نكون البادئين بمثل هذه الحوادث وبينما نحن فى أخذ ورد وإذا بالسيارات تفترق فى خطة منظمة المراد منها تطويقنا ، وشاهدنا المدافع الرشاشة مصوبة نحونا فلم يبق هناك أى شك فيما يرادبنا فأمطرناهم وابلا من رصاص بنادقنا ، وإذا بالسيارات قد ولت الأدبار إلى منتجع قريب منا

وعادت بسرعة تحمل صوفا ، ولما دنت منا توزعت توزيعاً محكماً وأخذ الجنود ينزلون ويضعون الأصواف (الخام) أمامهم ليتحصنوا بها من رصاصنا(١) وبادرنا بطلق الأعيرة فأخذ على باشا يولع سيجارة وقلت له رمضان ياعلى باشا منبهاً إياه للصوم فأجابنى قائلا (مو يوم صيام المنشرزام)(٢) وفى أسرع مدة انجلت المعركة عن خسارة الطليان وأخذت النـــار تلتهم السيارات إلا واحدة فرت راجعة ، وغنمنا جميع ما كان معهم من الأسلحة ، وكان الفضل الأكبر فى تعطيل السيارات لسلاحنا الذى كان من النوع الألمانى هذا ماسمعناه من السيد عمر المختار وقد نقلناه الآن من كتابنا (برقه العربية أمس واليوم) وقد سمعنا من أحد رفاق السيد عمر المختار يومذاك وهو الضابط السنوسى على أفندى مبارك اليمنى مالا يختلف عما نقلناه عن السيد عمر المختار ولم يزد عن ذلك إلا قوله « بعد انتهاء المعركة وصل البريد من سيادة الوكيل العام إلى هيئة المجلس يأمرهم بأن يخبروا السيد عمر المختار لمجرد وصوله من الإسكندرية أن يلحق به فى جالو وصادف وصول البريد وصول السيد عمر المختار نفسه وعلمنا من البريد أن الطليان قد احتلوا جدابيه . فأمر السيد عمر المختار رفاقه من المشايخ بالذهاب إلى أهليهم والمباشرة فى جمع المتطوعين ريثما يعود من جالو أما الشهداء فى هذه المعركة — كما قال على أفندى مبارك — ثلاثة من الجنود بينهم مرجان أفندى ضابط المعية ، وقال : ذهبت مع السيد عمر المختار فمررنا بآبار الشعفة ووجدنا هناك منتجعات من قبائل البراعصة وبعضاً من العواقير وأهل

---

(١) ثبت من التجارب أثناء الحرب الليبية الإيطالية أن الصوف الخام من أحسن الحصون التى لا يخترقها رصاص البنادق عندما يكون كثيفا ، فاحتمى به الطليان دون سباراتهم التى كان الرصاص الألمانى يخترقها .

(٢) هذا المثل باللهجة البدوية ومعناه لم يكن اليوم من أيام الصيام حيث أن صوت البنادق أخذ يدوى وكلمة المنفر هى اسم لنوع من البنادق وكلمة زام معناها دوى من الدوى .

السيد عمر كما وجدنا بعض الجنود برئاسة القمندان حسن أفندى بصرى التابع لقيادة السيد محمد بو نجوى الفحاصى وصحبنا الضابط وجنوده إلى جالو وكذلك عائلة السيد عمر المختار . وبعد وصولنا بأيام قليلة أمر سيادة الوكيل العام بأن يتوجه السيد عمر المختار لإتمام مهمته بالجبل وهى تأسيس الدور وكان فى معيته السيد حسين الجوينى والسيد الفضيل بو عمر — كلاهما من القادة السنوسيين المغاوير — الذى جند من قبيلة زويه مائة جندى متطوع فتوجهنا من جالو فى أواخر مايو ١٩٢٣ (اعتقد يونيو) وكان معنا قجه بك عبد الله الذى وصل إلى جالو بعد معركة بلال الأولى فسافرنا أولا إلى دور المغاربه المخيم بموقع المرير وهناك حضرنا معركة بلال الثانية ومن ثم توجه السيد عمر المختار مصحوباً بالسيد محمد بونجوى والغمارى أفندى الصغير (أحد كبار الضباط الأبطال) وهذان يريدان معسكر العواقير أما السيد حسين الجوينى والسيد الفضيل بوعمر وعبد السلام أفندى بونصيره كانوا بمعية السيد عمر المختار (فى طريقهم إلى الجبل) وواصلنا السير إلى آبار الشعفة حيث هناك منتجعات البراعصة وأولاد الشيخ وكان فى استقبالنا الشيخ الصغير بوبكر حدوث وابنه يونس وأخذا فى الانفاق علينا طيلة المدة التى مكثناها بمنتجعهم وبعد أن تمكن السيد عمر المختار من جمع المتطوعين انتقلنا إلى موقع (الشبيكة) وهناك تأسس أول دور (معسكر) واشتبكنا مع الطليان فى معارك كبيرة وعندما قويت شوكة الدور انتقلنا إلى آبار تيلزم الواقعة جنوب المرج ، لقد كانت واقعة بئر الغى التى نقلنا الحديث عنها من السيد عمر المختار نفسه والتى حدثنا عنها أيضاً رفيقه على أفندى مبارك هى فاتحة المعارك التى خاضها عمر المختار فى المرحلة الثانية من الجهاد بعد أن غدر الطليان بالمعاهدة السنوسية الإيطالية فكانت أول البداية لعمل طويل شاق كان عمر المختار لحمته وسداه .

في الجبل الأخضر

توقف القتال فى طرابلس ، احتلال برقه الغربية حصر الجهود الايطالية ضد عمر المختار ، الخاضعون لايطاليا يتعاونون مع المجاهدين

(١)

فيما يلى ننقل بعض ما جاء فى كتابنا « برقه العربية أمس واليوم » بتعديل طفيف لا يتعدى أن يكون تصحيحاً للاخطاء المطبعية التى حرفت بعض الكلمات وذلك بعدم وجود من يشرف على التصحيح المطبعى يومذاك . وبالعودة إلى الأصل المخطوط ظهرت الأخطاء .

سبق أن ذكرنا بأن السيد عمر المختار قد عين قائدا لمنطقة الجبل بما فى ذلك منطقة البطنان ، وكان ما كان من سفره إلى مصر لمقابلة سمو الأمير ثم العودة إلى ليبيا وحصول معركة بئر الغبي واشتراكه فى واقعة بلال الثانية ، وانتقاله إلى آبار الشعفة ، والآن يجد ربنا أن نواصل الحديث عن بعض ماقام به عمر المختار فى أول بداية العمل من هذه المرحلة فنقول وصل السيد عمر المختار إلى آبار الشعفة حيث كانت تخيم متجمعات بعض قبائل البراعصة والبعض من قبائل العواقير والعبيد وأولاد الشيخ والعوامة والشهيبات والمنفا والمسامير وهناك قام الشيخ الصغير بوبكر حدوث وأبنه يونس بتموين كتيبة المتطوعين المرافقة للسيد عمر المختار من مالهما الخاص إلى أن تم تنظيم الدور (المعسكر) الأول وانتظمت فيه طائفة كبيرة من المتطوعين، وهناك أخذ الدور (المعسكر) أول مقرله بموقع (الشبيكة) وبدأ الدور يقلق بال الطليان ويبعث فى نفوسهم الرعب بالهجمات التى أخذ يشنها على مراكزه المحصنة تارة وعلى نقاطه الأمامية

تارة أخرى ، وقد زحف العدو على الدور بقوات كبيرة فردعلى عقبيه خاسئا خاسرا ؛ ثم انتقل الدور إلى موقع آبار تيلزم ونظم طلائعه ونقاط المرابطة على مراكز العدو ، واطلق على هذا المعسكر أسم دور البراغيث ، وذلك على الرغم من وجود متطوعين آخرين من مختلف القبائل الأخرى (غير البراغيث) إلا أن هذه التسمية جاءت من وجود الدور فى منطقة البراغيث ، وبلا شك فإن الأكثرية فيه كانت من أبناء البراغيث، واشتبك هذا المعسكر مع القوات الإيطالية فى معركة كبيرة (أغسطس سنة ١٩٢٣) كان العدو يعلق عليها الأمل وقد عرفت بمعركة جردس ، وعين السيد يوسف بور حيل قائمقاما لدور البراغيث إلى جانب منصبه كنائب للسيد عمر المختار فى جميع المنطقة ، وهذه المعركة كانت يومذاك هى الأولى من نوعها شدة بعد معركة (الحيران) التى كانت بين المنتجعات من جهة والطليان من جهة أخرى (١٩ ابريل سنة ١٩٢٣) وكانت غنائم المجاهدين فى معركة جردس مكونة من مدفعين ميدان وخمسة مدافع خفيفة وعدد كبير من الأسلحة والأدوات والذخيرة الحربية ، أما الشهداء فكان عددهم (فى هذه المعركة) حوالى المائتين، وكانت خسائر الطليان فى الأرواح جسيمة وعقب هذه المعركة تأسس دور البراعصة بقيادة السيد حسين الجوينى، وعين عصمان الشامى قندانا به ، وكان أول عمل قام به هذا القائد الجديد هو مهاجمة مركزى مراوه وسلنطة فى آن واحد ومحاصرتهما عدة أيام ، وفى هذه الأثناء التحق مدير المركزين المذكورين السيد محمد السركسى بالمجاهدين وقد كان موظفاً مدنياً تابعاً لإيطاليا وبانضمامه للمجاهدين قويت المعنوية والعكس بالعكس بالنسبة لإيطاليا وكان من المخلصين الذين أبلوا فى الجهاد بلاء حسناً ، واستشهد بعد ذلك فى إحدى المعارك وهو يشغل منصب القائمقام بدور البراعصة (بدلا من السيد حسين الجوينى) وتألف هذا المعسكر من قبيلتى البراعصة والدرسا ومرابطى منطقتهما ، واتخذ المعسكر مقره بمنطقة شحات ، ثم تأسس دور ثالث بمنطقة درنه يعرف بدور الحاسا وأسندت قيادته إلى السيد الفضيل بو عمر ؛ وقام هذا الدور بمتطوعى العبيدات والحاسا وعيت فائد ومرابطين المنطقة

بما فيها البطنان . ومما جاء أيضا فى كتابنا «برقه العربية أمس واليوم» مايلى :

كان معسكر البراغيث هو مركز الرياسة العامة ومقر القائد العام عمر المختار ، وهو النواة الأولى وحجر الأساس لمعسكرات الجبل الأخضر الثلاثة وكان السيد عمر المختار يلقب يومئذ بنائب الوكيل العام ؛ وكان السيد يوسف بور حيل يعرف بوكيل النائب وهكذا فقد تنظم الجهاز الحكومى فى هذه المنطقة الواسعة بتشكيل المحاكم الشرعية والصلحية وإدارة المالية (المحاسبة والأرزاق وجباية الزكاة الشرعية والخمس من الغنائم) واستمر التعاون بين هذه المعسكرات الثلاثة وفروعها فى السراء والضراء وأخذت تقوم بحركات عظيمة ضد العدو وشن الغارة عليه فى معاقله ، كما كانت تتصدى لزحفه عليها فتكر حينا وتفر حينا آخر حسب مقتضيات الحرب

(٢)

كان لهذه الأدوار الثلاثة فروع تعرف بـ (لقارغولات) مهمتها المرابطة على المراكز الإيطالية لتحصى على العدو حركاته وتنقل إلى الأدوار (المعسكرات) خبر ذلك أولا بأول ، وأضطر العدو بأن يحجز لحسابها قوات كبيرة فى كل من المرج ودرنه والباردية وشحات وطبرق وسلنطة وفى هذه الأثناء كانت الحرب الليبية الإيطالية قد توقفت فى طرابلس إن لم تكن قد انتهت حيث أصبحت مسراته واورفلة وترهونه وزواره وجميع منطقة الجبل الغربى من طرابلس فى حوزة الطليان ، واستسلم قسم كبير من المجاهدين تحت ضغط الظروف القهرية التى أجبرته على الاستسلام ، وفر قسم آخر مكنته ظروفه من الفرار مهاجراً إلى مصر عن طريق برقة وفى مقدمة هؤلاء رئيس هيئة الأصلاح المركزية أحمد بك المريض والسادة سوف غومه المحمودى وخالد بك القرقنى (أبو الوليد) وعثمان القيزانى ومصطفى الترجمان ، وحمد شتيوى السويحلى والمختار كعبار ، كما هاجر قسم آخر إلى تونس عن طريق فزان وفى مقدمته

السيد محمد بك فكيني والسيد فرحات بك الزاوى ، وهكذا انتهت أعمال القيادة وانسحب السيد صفى الدين السنوسى إلى برقة ، ولم يبق أمام الطليان سنة (١٩٢٣ و ١٩٢٤) فى منطقة ولاية طرابلس دون احتلالهم إلا منطقة صحراء سرت وواحات الجفرة حيث كان يرابط أحمد بك سيف النصر ومنتجعات قبائل أولاد سليمان ، أما فزان فلم تكن من الأهمية — فى نظر الطليان مكرهين يومذاك — بمكان كبير يجبر الطليان على أن يغامروا لمواصلة الزحف إليها وذلك بالنظر لما تعانيه القيادة الإيطالية العسكرية لضمان مركزها فى المواقع التى احتلتها ، وتطهيرها على حد قولهم من فلول المجاهدين الذين لم يستسلموا أو لم يتمكنوا بعد من الهجرة ، وكذلك صعوبة اختراق الصحراء الشاسعة التى تفصل بين فزان والمناطق المحتلة ثم لخلو فزان فى نظر الإيطاليين من حركة كبيرة تشكل خطرا فعالا على القوات الايطالية فى ولاية طرابلس ، وكل ما هنالك أن بعضا من فلول المجاهدين المنسحبين تحت ضغط الزحف الإيطالى بعد الاشتبكات العنيفة التى كبدت الطرفين خسائر فادحة قد لجأت إلى فزان ، ولهذه الاعتبارات أصبح الطليان لا يحسبون للخوف من إجهة فزان حسابا يذكر ، وقد أصبحت يومئذ فى نظرهم لا تزيد عن كونها مصدر قلق بسيط يمكن تلافيه باتخاذ ما تراه القيادة الايطالية على أسلوبها ، وإذن فقد أصبح تفكير إيطاليا محصورا فى برقة التى لم يتمكن الطليان منذ زحفهم على جدابيه سنة (١٩٢٣) من احتلال مواقع تذكر عدا مدينة جدابيه ، ولذلك ولت إيطاليا وجهها شطر برقة فأولتها بالدرجة الأولى كل عنايتها ، وقد ذكرنا إنها زحفت على معسكرات وسط وغرب برقة فانسحب أمامها دور العواقير من موقع البدين كما سبق ذكره ، واحتلت نقطة الزويتينه ومركز جدابيه (إبريل ١٩٢٣) وبعد شهرين على وجه التقريب من ذلك زحفت على موقع بلال حيث تحتشد قوات المجاهدين بمعسكر المغاربة ، وكان زحفها هذا بالسيارات المصفحة من النوع الكبير والمتوسط ، كما كانت فى نفس الساعة تزحف أيضاً من جدابيه بقوة كبيرة من المشاة والخيالة على ميناء البريقة ، وانقض

المجاهدون على الطليان فى موقع بلال فأفنوا تلك القوة بأجمعها والتهمت نيرانهم جميع المصفحات وسيارات النقل ولم يستطع الفرار إلا حاكم جدابيه المدنى الكمندتور رولينى وترجمانه محمود الهرش ، وعقب المعركة مباشرة وصلت المعلومات إلى المجـــاهدين بأن قوة أخرى زحفت إلى موقع البريقة فنفر المجاهدون خفافا وثقالا وكان خبر معركة بلال قد وصل من جدابية برقيا إلى القوة التى أرسلت إلى البريقة وأشير عليها بالعودة مع نفس الطريق التى كانت سلكته والتقى الجمعان خارج البريقة وفعل المجاهدون بهذه القوة مافعلوه بأختها فى موقع بلال، وفى نفس السنة زحفت قوة إيطالية أخرى لجمع رفات الجيش الايطـالى من بلال وكانت معززة تعزيزا كبيرا فاشتبك بها المجاهدون فى معركة لم يكن النصر فيها من نصيب أحد الفريقين وهـــذه المعركة تسمى بمعركة بلال الثـانية وهى التى حضرها السيد عمر المختار كما سبقت إليه الاشارة ، وفى نفس الوقت وصلت بارجة حربية إلى ميناء البريقة واستمرت فى إطلاق قذائفها يوما كاملا ثم نزل الجنود تحت حماية مدافع البارجة لجمع أشلاء الجيش الأيطالى من البريقة وعادت كما عادت القوة التى زحفت لنفس المهمة على موقع بلال ومنذ ذلك الحين تحصنت القوات الايطالية فى جدابيه ولم تحاول إجراء تجربة أخرى بعد تجربتها الأولى فى بلال والبريقة.

(٣)

انحصرت مجهودات إيطاليا فى الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢٣ وبين ١٩٢٧ على أدوار عمر المختار الذى لم يخرج يوما من معركة إلا ليدخل فى معركة أخرى تنتظره ، وفى سنة ١٩٢٧ حشدت إيطاليا جهودها العسكرية والسياسية فى جدابية عن طريق البر والبحر مصممة على احتلال جميع أنحاء برقة — كما قد أشار الوالى الايطالى فى الأسئلة التى وجهها لعدد من الشخصيات منذراً بما تنطوى عليه النية من استعمال جميع الامكانيات للقضاء على ما أسماه بالثوار ، وقد أشرنا إلى تلك الرسائل — الوسطى والغربية مغتنمة فرصة

قسوة الطبيعة التى كشرت عن أنيابها فى هذه السنة والتى سبقتها ، وكانت الخطوة الأولى بعد تلك الحشود هى الدخول فى مفاوضات مع الأهالى الذين مزقهم القحط شر ممزق فالتجأ منهم فريق إلى مواقع الخشة شرق مركز سرت الإيطالى بزعامة المجاهد الكبير صالح باشا الأطيوش الذى دخل ومستشاره الشيخ الفضيل المهشهش فى المفاوضات مع حكومة طرابلس لايجاد هدنة مؤقتة ، واغتنمت إيطاليا هذه الفرصة فرحبت بها كتكملة للخطوة الثانية التى تنوى اتخاذها ، وفى نفس الوقت دخلت مع بقية المجاهدين فى منطقة جدابيه لنفس الغرض ، وفى هذه السنة — كنتيجة للوضع — وقع سيادة الوكيل العام السيد رضا المهدى السنوسى فى الأسر بطرق الخديعة والخيانة والغدر ، وسقطت مناطق برقة الحمراء والبيضاء (أوتوماتيكيا) وكانت قيادة الجيش الايطالى فى برقة قد بدلت وتولى أمرها لتنفيذ الخطة الجديدة الجنرال (ميزتى) كما استبدل والى بنغازى الايطالى (موميلى) بخلفه الجنرال (تيروتسى) وهو من كبار أقطاب الفاشيست، أما الجنرال ميزتى فقد زود بعدد كبير من الجنرالات وكبار الضباط وأركان الحرب لمساعدته فيما أسماه بالحرب (التخبيطية) وفى نفس السنة تقدمت القوات الايطالية من طرابلس بقيادة الجنرال غرسيانى فاحتلت واحات الجفرة والقسم الأكبر من فزان واشتبكت قبائل المغاربة بزعامة صالح باشا الأطيوش وقبائل أولاد سليمان بزعامة عبد الجليل سيف النصر ، ودور حمد بك سيف النصر ، وبعض اللاجئين إلى تلك الجهات من قبائل العواقير بزعامتى عبد السلام باشا الكزة والشيخ سليمان رقرق ، ودخلت هذه المجموعات فى معارك بجهات الخشة ، وكانت الغلبة مع الأسف للجيش الايطالى الزاحف فالتجأ المجاهدون إلى منطقة الهاروج من الصحراء . ومن ثم اشتركوا مع العدو فى معارك عنيفة منها معركة الهاروج ومعركة جبل السودا ومعركة قارة عافية وكان من بين من حضروا هذه المعركة الأخيرة السيد محمود بوقويطين (أمير اللواء وقائد عام قوة دفاع برقة الآن) والسيد السنوسى الأشهب وعلمنا منهما عن هول تلك المعركة وما قاساه المجاهدون

وتكبده الطليان الذين كانت لهم الغلبة مع الأسف ، ونكاد نقول بعد هذه المعارك لم يكن هناك ما يلفت النظر غير بعض المناوشات التى أسفرت عن احتلال الطليان لجميع أنحاء فزان فهاجر السيد محمد بك الفكينى إلى تونس والسيدان حمد وأخيه عمر سيف النصر إلى السودان وصالح باشا الأطيوش وعبد الجليل بك سيف النصر إلى مصر عن طريق الكفرة حيث اشتركا فى المعركة التى أسفرت عن احتلالها من قبل الطليان

لقد ذكرنا عرضا ما قامت ولاتزال تقوم به معسكرات عمر المختار فى الفترة المذكورة بين سنتى (١٩٢٣ و ١٩٢٧) كما وإننا ذكرنا شيئا موجزا عن أعمال دور المغاربة وما كان يجرى فى تلك المنطقة الغربية من برقة ، وذكرنا عما كان فى قيادة المجاهدين بولاية طرابلس وكيف تم احتلالها ثم احتلال فزان ، ولنذكر الآن عن معسكر العواقير فى برقة الوسطى

بعد أن انسحب هذا الدور عقب معركة البدين واشتراك المنسحبين منه فى المعارك التى جرت فى الزويتينة وجدابيه (إبريل سنة ١٩٢٣) أعيد تنظيمه فى موقع ساونو بقيادة قجه بك عبدالله ، واشتبك مع الطليان فى معارك طاحنة لاسيما ما كان منها بواسطة شن الغارات التى كان يقوم بها هذا المعسكر على المراكز الايطالية فى كل من سلوق وقمينس والآبار ودريانه والرجمة وبنينه وذلك فى فترات متفاوتة ومن أكبر المعارك التى اشتبك فيها هذا الدور مع الطليان معركتى المعيزيل والحقيفات بقيادة السيد أبو القاسم عبدالعزيز العيساوى الذى خلف قجه بك عبدالله فترة من الزمن ، ومن أهم ماقام به قبلا معسكر العواقير هو قدومه على غزو مركز سلوق الإيطالى وتمكنه من إخراج منتجعات قبائل الفواخر تحت مرأى ومسمع من القوات الإيطالية التى جمدت فى مكانها وكان ذلك بقيادة قجه بك عبد الله وكبار الأبطال من قبيلة العواقير من أمثال عبد الحميد العبار ومنصور الكزة وبن على اللواطى وسليمان رقرق وغيرهم ممن هو على شاكلتهم ويضيق المقام عن ذكر أسمائهم . وقد تصدى معسكر العواقير

لمختلف الهجمات الإيطالية ، وكان من بين الأبطال المساهمين فيما قام به دور العواقير هم السادة : عبدالحميد العبار ، محمد بو نجوى الفحاصى ، الغمارى الصغير البرعصى ، الفالح الدرسى ، عمران بوالشويخ ، فرج القرعانى ، وكانت معركة الحقيفات فى أواخر سنة ١٩٢٤ ، ومنذ ذلك اليوم أصبح الإحتكاك بين إيطاليا ومعسكر العواقير لايتجاوز تبادل شن الغارات الوقتية (كما هو الحال بالنسبة لدور المغاربة) إلى أن تم إحتلال الجبهتين (المغاربة والعواقير) واضطر كبار المجاهدين للهجرة إلى الله ورسوله فهاجر إلى مصر عدد كبير منهم : محمود بك أبو هدمه (رئيس مجلس الشيوخ الليبى الآن) وعبد الله العبار والحاج حسن الضريف ، سعيد شلبى جلغاف ، عبد النبى مذكور ، عبد الله حويل ، بن على اللواطى ، عبدالسلام باشا الكزه ، الفضيل المهشهش ورفض السيد عبدالحميد العبار الهجرة بعد أن صودرت أثقاله أثناء معركة مع الطليان فى موقع غيزل فالتحق فى قسم من رجاله بدور السيد عمر المختار بغية مواصلة الجهاد إلى آخر ما تسفر عنه إرادة الله سبحانه وتعالى وهناك تولى قيادة معسكر الجبارنه .

(٤)

الآن وقد عرفت أيها القارىء الكريم أن الاهتمام الإيطالى أصبح منصباً على منطقة الجبل الأخضر (قيادة عمر المختار) منذ ٩٢٣ إلى ١٩٢٧ ولكن لانستطيع أن نقول إن منطقتى برقه الوسطى والغربية كانتا أسعد حظاً ولكنها بالنسبة للجهود العسكرية الإيطالية الجبارة المبذولة ضد عمر المختار يومياً على وجه التقريب يجعلنا نعتقد أن الحالة فى أدوار المنطقة الغربية حالة وسط بين الاستقرار والاضطراب الشىء الذى مكن هذه المنطقة من تعاطى بعض الزراعة (على ماء المطر) المحدودة والمحدودة جدا إذا ماجادت السماء ، ويتمكن أيضاً سكان هذه المنطقة من تصدير ماشيتهم وإن كان الطريق طويلا ومحفوفا بالمخاطر إلى مصر وشراء حاجياتهم من الأرز والدقيق والسكر والشاى والقماش بقيمة المبيوعات ، ويتمكنون أيضاً من استيراد

الثمور من منطقة فزان وطبعاً قبل احتلالها وواحات جالوا والكفرة ، ولكن مع كل ذلك لا نستطيع أن نجزم بأنهم فى رغد من العيش . أنهم كانوا يتوقعون من وقت لآخر زحفا مفاجئاً من إيطاليا خصوصاً وأن المجاهدين ما فتئوا يشنون الغارة تلو الأخرى على طريقة حرب العصابات الموجهة للمراكز الإيطالية والمتجمعات المستسلمة لإيطاليا ، وعلى هذه الصورة يمكن التمييز بين الحياتين المضطربتين حياة معسكرات أواسط وغرب برقه ، وحياة معسكرات الجبل الأخضر ، وهذه الأخيرة كانت تعانى أسوأ الحالات فلا توفير للقوت الضرورى لأن المنطقة فى حالة حرب قائمة يومياً على قدم وساق بحيث لا يتمكن معها الأهالى من مزاولة مهنة الزراعة ، ولم يكن لديهم مايصدرونه إلى مصر فى حين أن أسواقها مفتحة الأبواب ، إلا أن الماشية وهى أهم مايمكن تصديره أصبحت كلها بأيدى الأهالى الواقعين تحت النفوذ الإيطالى ، والشىء الوحيد الذى يمكن تصديره فى بعض الأحيان إلى مصر هو مايفيض على حاجة المجاهدين من المغانم كبعض الخيول والبغال والأثاث ، ثم لم تكن فى هذه المنطقة (الجبل الأخضر) أسواق تجبى منها المكوس والضرائب ، وإنما كانت هناك بعض المساعدات الخاصة تصل من سمو الأمير ومن قلة ضئيلة من الخيرين إلى السيد عمر المختار ، وهذا النوع من المساعدات يكون بطبيعته محدوداً ، وكان الجانب الأكبر من تموين المجاهدين هو مايجبى من الزكاة الشرعية عن حيوانات وحبوب الأهالى الواقعين تحت السلطان الإيطالى وما كانوا يبخلون بذلك ، وإن كان بعضهم غالباً يقع تحت طائلة العقاب الإيطالى عندما يتضح أنه قدم زكاة أمواله إلى عمر المختار ، وكانت المعارك لاتهدأ يوماً فى الغالب إلا لتلتحم فى اليوم الثانى ، وهكذا إن لم تكن مع الأدوار الثلاثة فمع واحد أو اثنين منها حتى أصبح تحديد حصر المعارك وتحديد تاريخها متعذر ، وسوف نذكر أسماء بعض الوقائع المعروفة بالمواقع التى التحمت بها فى كتاب خاص بالوقائع

هذا العسر الذى يعانيه المجاهدون بالجبل الأخضر كما أوضحناه ، وذلك اليسر الذى لا يقل فى حقيقته عن العسر وقد وصفنا به الحالة فى المناطق الغربية من برقة كان دليلا واضحاً على أن المجاهدين كانوا يتذرعون بالصبر فقط ولا شىء آخر غير الصبر وكانوا يجدون لذة الحياة مقترنة بهذا الصبر ما داموا يقاتلون عدواً أراد أن يسلبهم وطنهم ودينهم ولغتهم وسيادتهم ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد .

كان التعاون سائداً بين جميع الجبهات الوطنية ، ومع ما عرفناه عن حالة العسر التى كان يعانيها المجاهدون فى منطقة الجبل الأخضر فإن إخوانهم من مجاهدى المناطق العربية مابرحوا يهرعون إلى معسكرات الجبل للحصول على بعض الأقوات بواسطة الأهالى الواقعين تحت النفوذ الإيطالى ومساعدتهم وفيما يلى نورد بعض الأمثال عن ذلك :

فى كثير من الأحيان يذهب الأهالى من سكان برقة الغربية إلى معسكرات الجبل الأخضر بقصد الميرة عن طريق الأهالى الخاضعين لإيطاليا والمتعاونين مع إخوانهم المجاهدين وكانت سلعة الأهالى هى الإبل والأصواف الخام وبعض المنقولات من حلى وفضة وسجاد ونحاس وهذه السلعة يتولى بيعها الأهالى الواقعون تحت إيطاليا فى أسواقهم كالمرج ودرنة وشحات وتستبدل قيمتها بالمأكولات والملبوس ، وأذكر أنى ذهبت شخصياً ضمن عدد كبير من إخواننا المغاربة كان من بينهم صميدة الشيحى وخير الأطيوش وعبد القادر مختار الشريف ، وإبراهيم الخرم الصبحى وذلك لنفس الغرض المذكور فوصلنا إلى دور جردس وبقينا به عدة أيام دون أن نصل إلى نتيجة وكنا نتناول نصيبنا من الأرزاق كما يقال عنها وهى من اللحم فقط ، وفى بعض الأوقات النادرة يصرف للفرد القليل من الأرز وذلك من العنبر (المخزن) سواء بسواء كحال أفراد المجاهدين ، ورأى السيد المختار أن إقامتنا قد

طالت ، وإن أهلينا فى انتظار ما نعود اليهم به . ولم يكن طلبنا فى الدور موجودا . وكانت الاشتباكات مع الدور مستمرة لذلك رأى أن أذهب شخصياً إلى منتجعات المسامير بموقع الغريب قرب مدينة المرج وقال لى : إن المسامير فيهم خؤلتك ، وفضلا عن ذلك فالخير كله فيهم ، وإننى أثق بهم وسوف يقضون مصلحتك فوق ماتتصور ، وأرفقنى بضابطين من المجاهدين هما مطير افندى وسعد الثوير (من قبيلة المسامير) وكذلك بخادمه الخاص مرسال السودانى ، وأخذنا ليلتنا كاملة من دور جردس إلى حيث منتجع المسامير فوصلناه مع الفجر تماماً ، وهناك استقبلنا الشيخ حامد عبد القادر المبروك ، (وهو شخص يتمتع بمكانته فى المنطقة ومن أثريائها يومذاك) وسلمناه رسالة السيد عمر المختار فربها على عينيه تبركاً وقبلها ثم ناولها لمن كان معه من الأعيان فعملوا بها نفس ما عمله ثم استلم الأشياء التى كانت معى وهى بعض من الحلى والسجاد وبعض النقود الفضية من فئة المجيدى العثمانى ، وخصص لنا محلا يقع على ربوة شاهقة محاطة بالغابات الكثيفة والمنعرجات الجبلية ، وكان يأتينا يومياً بما نحتاجه من المأكل والمشرب ، وفى المساء نذهب لنتناول العشاء فى خيمته البدوية ، وبهذه المناسبة نذكر الواقعة التالية وقد تضمنها كتابنا « برقه العربية أمس واليوم »

فى أحد الأيام — ونحن بمنتجع المسامير — لفت نظرى فى شىء من الإرتباك حركة غير عادية ، وسألت السيد حامد عبد القادر فقال لى : أن متصرف المرج (الإيطالى) يصحبه الكولير بتروش (أحد رجال الإدارة) وبعض من مشايخ العرفا قد جاءوا إلى نجعنا ولا نخشى أى شىء وسيغادرون المنتجع بعد تناول طعام الغذاء بمنزلى وكل ما أوصيك به هو أن رفاقك يجب أن يكونوا مختفين بهذا المحل (وقد عينه) أما أنت والضابط مطير لاحرج فى أن تتناولا معنا الغداء فكأنكما من أفراد المنتجع ، وقد صممت أولا على مخالفته ثم اقتنعت بأن الضيف فى يد المضيف كما يقال ، لاسيما وأن رفيقى مطير أفندى

قد وافق وبالفعل تناولنا طعام الغداء سويا وأخذ متصرف المرج يتحدث إلى السيد حامد عن أشياء تهم المتصرف ومن ذلك قوله أن الشيخ فلان (عينه) وهو أحد الأعيان بالمعسكرات السنوسية قد تمكنا من مواصلته وقد جاءتنا منه معلومات أفادتنا ونحن فى انتظار وصوله بأهله وسنبادله عطف بعطف ، وسجل السيد حامد هذا الحديث فى سره وسلمه إلى مطير أفندى (الذى كان حاضرا) ليخبر به السيد عمر المختار ، وانصرف المتصرف بعد طعام الغداء ، وفى اليوم التالى لذلك جاءنى السيد حامد ليقول لى أن العدو خرج بقوة هائلة إلى الدور وإننا الآن سنذهب لإعطاء الخبر للسيد عمر المختار ثم لنشترك فى الجهاد إذا التحم القتال فمن كتبت له الحياة سيعود وأنت تكون هنا فى انتظارنا فرجوته بأن لا يذهب هو ويكتفى بارسال جماعته وبعد محاولة بقى معى فى المنتجع وأرسل بجميع رجاله وبعد يومين من ذلك عادوا وقد استشهد أحدهم وجرح اثنان ، وعلمنا منهم أن القائد السيد حسين الجوينى كان من بين الجرحى

هذه الصورة المصغرة عن الوضع يومذاك هى بعض ما كان يقوم به الأهالى ، وهى فى الوقت نفسه تمثل لنا كيف كانت المنتجعات الخاضعة لإيطاليا تلعب دورها لمصلحة المجاهدين ، وقد رأينا هذه الواقعة رأى العين وهى قليل من كثير يقع على وجه التقريب يوميا

رجعنا إلى الدور بعد أن حضر لنا السيد حامد طلباتنا من الميرة ، وفى نفس اليوم الذى وصلنا فيه إلى الدور وصل أيضا قادما من مصر المدعو سليمان العميرى (من قبيلة أولاد على) وبو منيقر المنفى (من رفاق عمر المختار) يحملان رسائل من سمو الأمير المعظم ومعهما قافلة محملة من الأرز والدقيق والسكر والشاى وبعض الملابس ودخلت خيمة السيد عمر المختار وكان بمجلسه السادة : يوسف بورحيل وموسى بوغيضان ،

وشهاب بن السيد السنوسى الأشهب ، والسكورى بن السيد عمران السكورى والشيخ التواتى بو شنيف الكزه ، وبدأ السيد عمر يفض الرسائل ثم إذا به يضعها فوق رأسه ويمررها على عينيه ويأخذ فى تقبيلها بشغف ، ثم قال : هيا بنا إلى سيدى حسين الجوينى ننظر حالته اليوم ونطلعه على كتاب سيدى رضى الله عنه فذهبنا جميعا ووجدناه يستظل بشجرة فارعة وكان يتماثل للشفـــاء عقب إصابته بجراح وبين يديه طبق من [القلية] مخلوطة بالبطوم لحياه الجميع وأشركنا معه فى تلك [الفاكهة !!] ثم ناوله السيد عمر المختار تلك الرسائل ففعل بها نفس ما فعله السيد عمر من تعظيم وتبجيل وأخـذ فى تلاوتها بصوت جهورى [لم يفعل ذلك السيد عمر حيث كانت تلاوته سرية] وعلم الحاضرون أن الرسائل كانت تحوى سؤال سمو الأمير عن أحوال المجاهدين وتمنياته لهم كما أنها تحمل نصح سموه للسيد عمر المختار بأن لا يشترك شخصياً فى المعارك ذلك لأنه القائد الذى عليه فقط أن يقود المعركة برأيه وتفكيره وأبدى سمو الأمير شفقته وعطفه على صحة قائد المجـــاهدين موصيا بالمحافظة على شيخوخته ، وأشار فى بعض تلك الرسائل على أن الأشياء التى طلبها السيد عمر المختار قد كلف سمو الأمير بعض الإخوان بقضائها وهى مرسلة مع حامل الرسائل ، ومن بعض هـذه الرسائل علم الحاضرون أيضا أن سموه أمر وكيله بواحات جالو وأوجله وجخره بأن يسلم جميع ريع النخيل الخاص بسموه إلى السيد عمر المختـار أو من يحضر من عنده لينفق على المجاهدين ، وبينما نحن كذلك نشارك السيد عمر المختار فرحه ومرحه بوصول رسائل سمو الأمير دخل فرج القرعانى [أحـد الضباط] ليخبر السيد عمر بأن قوة إيطـالية خرجت من مراوة ومن المحتمل أن يكون إتجاهها هو الدور وتحفز المجـــاهدون على صوت النفير وجىء للسيد عمر بجواد مسرج فالتفت إلى السيد حسين الجوينى

الذى لا يزال مريضاً وإن كان قد أخذ يتماثل للشفاء وقال له أسألك بحق سيدى أن لاتخالف فرج القرعانى وأن تحافظ على صحتك و(الجايات أكثر من الفايتات) والطليان لا يبطلوا خروجهم لمحاربتنا ونحن لا نبطل الهجوم عليهم لمحاربتهم وستشبع من القتال فأيامه كثيرة ، وأوصى فرج القرعانى بأن يصحب السيد حسين إلى جهة عيّنها ليكون بها فى مأمن إذا ما اشتبك القتال ، ونفر المعسكر خفافا وثقالا لملاقات العدو وكان فى الأول السيد عمر المختار إلا أن أخبارا وصلت بأن القوة الإيطالية توقفت فى موضع خال جنوب مراوة ساعة من الزمن ثم رجعت ، فأمر السيد عمر بأن يذهب القمندان عبدالله بوسلوم فى كوكبة من الفرسان ليقضى الليلة كاملة على أبواب مراوة تعقبا لتحركات العدو وبعد صلاة المغرب من نفس اليوم استدعانى السيد عمر المختار لتناول طعام العشاء على مائدته وكان حاضرا قاضى الدور الشرعى السيد أحمد المسلاتى ، وكان العشا شيئا قليلا من [البرغل] مسلوقا على مرق اللحم وفى هذه الأثناء دخل خادمه مرسال ليخبره أن سرية من فرسان العواقير حضرت هذه الساعة فأمر بأن يقدم لها العشاء قائلا الحمد لله أن خير سيدى اليوم قد وصل (يقصد القافلة التى وصلت من مصر وسبقت إليها الإشارة) وانتهينا من تناول العشا [البرغل] فرفع يده وقال الحمد لله على هذه النعمة اللهم ابقها علينا مع طاعتك ، واسبل علينا ستر عفوك ، ووفقنا لرضاء سادتنا وأولياء نعمتنا ، واطل اللهم عمر سيدى ومولاى وقدوتى ورجاى سيدى أدريس وأحفظه بحفظك التام واحرسه بعينك التى لاتنام ثم التفت إلى وقال : إن والدك عالم وعامد وصاحب أوراد هل علمك شيئا من أوراده الكثيرة ، فأجبته بالنفى فقال خذ هذا الورد عنى واعترف بمشيختى عليك — قال ذلك ضاحكا فى قالب المزح — ثم أمرنى بأن أكتب هذا الدعاء وقال أنه وردى الخاص عقب صلواتى وبعد أكلى وهو

آخر ما أقوله قبل النوم وأول ما أذكره عندما أستيقظ فكتبته منه كما أملاه وحفظته من يومه ، وبينما نحن كذلك إذ دخل الخيمة أحد الضباط من قبيلة العبيد وأظن أن اسمه رمضان إن لم تخن الذاكرة ، وخاطب السيد عمر بقوله إن الداورية وصلت بشخص من (المطلينين) نسبة للطليان وقد ألقت عليه القبض صباح اليوم عندما أنزلته كرهبة [سيارة] إخارج المرج وأخذ طريقه نحو الجنوب وكانت الداورية تتعقبه حتى ألقت عليه القبض وبعد أن فتشه ضابط الداورية وجد عنده هذه الرسالة باسمكم ، وهذا هو البرميسو (تذكرة تعريف شخصية) وكذلك هذه القروش ونثرها بين يدى السيد عمر وهو بعض العملة المعدنية الإيطالية فاستلم السيد عمر الرسالة ووجد أنها من عبد السيد العدولى يذكر أنه وصل من بنغازى إلى المرج ومعه الكوالير بتروش صديق العرب [هكذا] وعمر الجروشى ، ويقول أن بتروش يعرفكم شخصيا ويتكلم لغتنا بفصاحة وكلنا نريد مقابلتكم شخصيا لأمر هام وفيه المصلحة للأهالى وننتظر منكم تحديد الموعد الذى تريدونه والمكان الذى تحبون أن يكون فيه الاجتماع وظننا فيكم هو أن تكون حياتنا محفوظة حتى نعودوا بعد مقابلتكم ويهديكم السلام محب الجميع الشيخ مراجع بوعين قرأ السيد عمر المختار هذه الرسالة وناولنى إياها لنقرأها قائلا أنت مسافر صباح الغد أعرف محتوياتها لتقول للجماعة عنها [يقصد قجة وصالح الأطيوش] ليكونوا على حذر من جماعة الطليان ، ثم أمر باستدعاء السيد يوسف بورحيل وموسى بوغيضان وناولهما الرسالة ضاحكا فى تعجب وتساؤل . ثم سأل الضابط مستفسرا عما إذا كان لحق حاملها أذى وعما إذا كان تناول طعام العشاء ثم قال أئتونى به ، ودخل حامل الرسالة وعليه أعراض الارتباك والخوف فسكن من روعه السيد عمر وسأله عما إذا كان لحقه أذى فنفى ، ثم سأله عن أسباب مجيئه فقال

الفقيد الكبير
السيد عمر فائق شنيب
رئيس الديوان الملكي ومن
قادة الجهاد «توفى ١٩٥٣م»

صالح باشا الأطيوش
قائد دور (معسكر) المغاربة
« توفى بليبيا ١٩٤٨ م »

إنى أدعى محمد حسين الورفلى والأصل مسراتى وإنى أعمل كواش (فران) فى المرج وقد استدعتنى الحكومة — هكذا — دون أن أعلم وأمرتنى بحمل هذه الرسالة ، فسأله السيد عمر عما يقصد بكلمة الحكومة هل دعتك حكومة الطليان بجيشها وضباطها ؟ أم دعاك شخص واحد فقال دعانى القبطان باريلا بواسطة المدير عمر الجروشى وعندما دخلت على باريلا وجدت عنده رجل يلبس جرد وفى يده سبحة يقولوا له السيد ، وقالوا لى تأخذ هذه الرسالة وتذهب إلى دور سيدى عمر المختار وتجيب معك الرد منه والحكومة تكافئك على خدمتك وإذا جئت من غير رد سنعاقبك ونعرف أنك لم تصل إلى الدور فقال له السيد عمر مازحا : هل عشوك المحافظية وإلا تركوك من غير عشا ؟ أجاب : عشونى الحمد لله ، فقال له السيد عمر أنك صاحب حظ فمن عادات المحافظية عندما يجدوا مثلك يتعشوا به هو نفسه بدلا من أن يعشوه وهذه هى عاداتنا نحن الفلاقة كما تقولوا عنا ثم انتقل السيد عمر إلى الجدية بدلا من ممازحة صاحبنا وقال له خذ فلوسك ونم مطمئنا وستحملك الداورية إلى المحل الذى قبضت عليك فيه وقل لأصحابك ليس عندنا رد على رسالتهم ، وقل لهم إن مقابلتنا لا تحتاج إلى أخذ موعد منا فنحن كل يوم نتقابل مع كراهبكم (سياراتكم) وعساكركم فى الميدان ونترك الكلام للسلاح فإذا أرادوا جماعتك أن يقابلونا عليهم أن يحضروا إلى الميدان وباريلا يعرفه جيداً ، نحن لا نعرف الحيلة ولا نتخاطب بالأوراق ولا بيننا ما نقسمه ، أقلامنا هى البنادق وهى التى تسأل وتجيب وجماعتك الذين أرسلوك لا نعرفهم ولا علاقة بيننا وبينهم هذا بعض ما قاله السيد عمر المختار وأمّن عليه نائبه السيد يوسف بورحيل

لقد ذكرت هذه الواقعة إلى الشارف باشا الغريانى سنة ١٩٣٦ م فأجاب بقوله إن ردود سيدى عمر المختار كتابيا أو شفويا تحمل هـذا الطابع ولا تخرج عن هذا المعنى ، والطليان أنفسهم يعرفون ذلك ودوائرهم مليئة بمثل هذا ، ولـكن غباءهم وعبطهم هو الذى دفعهم لأن يوسطوا بتروش الفاسد (هكذا) وعبد السيد العدولى وعمر الجروشى والغريب هو أن يوسطوهم لعمر المختار ، وهم يعلمون أن أهل الحل والعقد من البادية والاخوان والحضور ممن يحترمهم عمر المختار لا تجدى عنده وساطتهم شيئا وسنطلعك على كتاب جاءنى منه ردا على كتاب لم أطلب فيه مستحيلا من عمر المختار ولم أخرج فيه عن حد المعقول ولولا الضغط الشديد الذى لم أستطع الفكاك منه لما كتبت لعمر المختار ، ماذا أكتب له ؟ وجاءنى بدفتر (سجل) يحوى كثيرا من هذا النوع فأطلعت فيه على ثلاث ردود من السيد عمر ، واحدة إلى الشارف باشا وأخرى إلى محمد أبو زيد الكوافى ومثلها إلى السيد ظافر المدنى وكلها تحوم حول موضوع واحد إلا أن تواريخ إرسالها تتفاوت ، وفيما يلى نثبت صورة رسالة السيد عمر المختار إلى الشارف باشا الغريانى قال بعد البسملة والتصلية على رسول الله القائل أن الجنة تحت ظلال السيوف .

إلى أخينا سيدى الشارف بن أحمد الغريانى حفظه الله وهداه ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومغفرته ومرضاته نعلمكم أن إيطاليا إذا أرادت أن تبحث معنا فى أى موضوع تعتقد أنه يهمها ويهمنا فما علينا إلا أن تتصل بصاحب الأمر ومولاه سيدى السيد محمد إدريس ابن السيد محمد المهدى ابن السيد محمد السنوسى رضى الله عنهم جميعا ، فهو الذى يستطيع قبول البحث معهم أو رفضه ، وأنتم لا تجهلون هـذا بل وتعرفون إذا شئتم أكثر من هـذا ومـكان سيدى إدريس فى مصر معروف عندكم وأما أنا وبقية الاخوان المجاهدين لا نزيد عن كوننا

جند من جنوده لا نعصى له أمراً ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن لا يقدر علينا مخالفته فنقع فيما لا نريد الوقوع فيه حفظنا الله وإياكم من الزلل نحن هنا لا حاجة عندنا إلا مقاتلة أعداء الله والوطن وأعدائنا وليس لنا من الأمر شيء إذا ما أمرنا سيدنا وولى نعمتنا رضى الله عنه ونفعنا به بوقف القتال نوقفه وإذا لم يأمرنا بذلك فنحن واقفون عندما أمرنا به ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش والسبايس المكسرين (هؤلاء الآخرين هم المجندون من بعض الليبيين) ولا نخاف حتى من السم الذى وضعوه فى الآبار وبخوا به الزروع النابتة فى الأرض نحن من جنود الله وجنوده هم الغالبون ونحن لا نريد لكم ما يدفعكم إليه النصارى وظننا بكم خير والله يوفقنا ويهدينا وإياكم إلى سبل الرشاد وإلى خدمة المسلمين ورضاء سيدنا رضى الله عنه وسلام الاسلام على من تبع الاسلام .

١٣ ربيع ثانى ١٣٤٤

خادم الحضرة
نائب المنطقة الجبلية
عمر المختار

هكذا كانت عقيدة عمر المختار ، وهكذا كان إيمانه ، وعلى هذه العقيدة وهذا الايمان كان يعتمد عمر المختار ، وكانت غالبية قبائل البراغيث والحرابى والمرابطين بالجبل الأخضر ومنطقة البطنان ممثلة فى أدوار (معسكرات) عمر المختار بالمتطوعين من أبنائها للجهاد ، كما كانت الغالبية المذكورة ممثلة أيضا ببعض من مشايخها وأعيانها الذين اتخذوا أماكنهم بين المتطوعين للمساهمة عمليا فى إبداء الرأى ، وفى القتال بصدق وإخلاص ، ومما لا شك فيه أن الأعمال كانت تتفاوت فيما لو أردنا أن ندخل فى التفاصيل إلا أن ذلك يخرج بنا عن الموضوع وهو

التحدث عن عمر المختار ، ومع ذلك فسوف لن نترك من المعلومات الهامة ما يعترض طريقنا مماله صلة بالمترجم له .

إننا عندما نلقى نظرة عامة نجد أن جميع القبائل الممثلة فى معسكرات عمر المختار كانت لها أياد تشكر وأعمال تذكر ، وكان عمر المختار هو القطب التى تدور عليه رحى الأعمال ، وهو ـ بلا شك ـ ذلك الشخص الذى استطاع أن يحتل مكاناً ممتازا من نفوس الجميع فجعل المجاهدين يلتفون حوله التفاف السوار بالمعصم ولا يحاولون الانفضاض من حوله ؛ وعلى هذا المنوال استمر العمل بقيادته ومساعدة معاونيه من الأبطال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فاتصلت أسماؤهم باسمه عندما يذكره التاريخ ، وعلى سبيل المثال نذكر منهم السادة يوسف بورحيل ، حسين الجوينى ؛ محمد بو نجوى الفحاصى الفضيل بو عمر عصمان الشامى ، محمد السركسى ، عوض العبيدى ، عيسى الوكواك العرفى ، عبد الله بو سلوم بن قويرش البنغازى ، محمد أبو خماده ، فرج القرعانى ، عبد الحميد العبار (هذا الأخير التحق بالسيد عمر المختار فى أواخر ١٩٢٧ م بعد أن وضعت إيطاليا يدها على جميع أنحاء أواسط وغرب برقة) إننا لا نستطيع أن نذكر أسماء الأبطال الذين سجل التاريخ أسماءهم بمداد من نور الإيمان والاسلام فى تاريخ الجهاد الإسلامى يومذاك ، ولا يزال الكثير منهم على قيد الحياة وقد اشترك قسم كبير منهم فى تحرير ليبيا من براثن الاستعمار أثناء الحرب العالمية الثانية إذ كانوا نواة الجيش السنوسى الذى تألف بمصر (٩ أغسطس ١٩٤٠) .

كانت أخبار المعارك وأحوال المجاهدين فى الجبل الأخضر ترسل بريدياً إلى سيادة الوكيل العام السيد رضا المهدى السنوسى ، وكان مركزه فى واحة جالو ، كما كانت ترسل أيضا ـ حسبما تسمح الظروف ـ إلى سمو

الأمير المعظم بالاسكندرية ، واستمر القتال بدون انقطاع ، ولم نكن من المبالغين إذا ما قلنا أن الوقائع كانت تقع يوميا على وجه التقريب بحيث أصبح من المتعذر أن نذكرها فى كتابنا هذا واقعة واقعة

وهكذا فتح تاريخ الجهاد الإسلامى أوسع وأنصع صفحاته ليسجل هذه المواقف الإسلامية العربية الخالدة بمداد من الفخر والتقدير إنها مواقف البطولة التى تتمثل فيها مواقف بطل الإسلام الأول عمر الخطاب للدفاع عن الحقوق المغتصبة . إنها المواقف التى يتمثل فيها صدق وإخلاص وبطولة خالد بن الوليد ، إنها مواقف المروءة والوفاء ، هكذا كانت مواقف المجاهدين المستمدة من مبادىء إمامهم وباعث هذه الروح فى نفوسهم السيد إدريس السنوسى الذى حمل رسالة أبيه وجده بأمانة وإخلاص .

كانت قبائل الجبل الأخضر واقعة تحت سيطرة الحكم الإيطالى ولكن هذا الواقع لم يقف حائلا دون أداء ما يجب عليها من واجبات يفرضها الإسلام الذى حث على وجوب الجهاد لإقرار السلام ونشر ألوية العدل تحت رايته التى رفعها منذ ثلاثة عشر قرنا رسول السلام والإسلام محمد بن عبد الله وتعهدها من بعده الخلفاء الراشدون . وقام ببعثها فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى محمد بن على السنوسى ، لقد كان الجند النظامى فى جيش عمر المختار — إذا ما استثنينا الكتيبة المكونة من السودانيين الليبيين وبعض أبناء المدن — من أبناء القبائل المشار إلى مواقعها وواقعها ، وكذلك المتطوعون وهم الأغلبية فى جيش عمر المختار فإنهم من أبناء هذه القبائل ، وأن أعضاء المجالس فى الأدوار الثلاثة هم من شيوخ وأعيان هذه القبائل وأن تموين الأدوار كان يقوم على المساعدات التى تقدمها هذه القبائل بقدر الإمكان وعلى ما تدفعه من الزكاة الشرعية عن زرعها وضرعها ، وهناك ناحية أخرى

لا يجب أن نغفلها لما لها من أهمية وهى : أن الكثير من المعلومات التى كانت تفيد عمر المختار عن تحركات الطليان فإنها تصل بواسطة هذه المنتجعات يضاف إلى كل ذلك أنه عندما تلتحم الواقعة بين المجاهدين وأعدائهم ينفر بطريق السر من منتجعات هذه القبائل عدد ليساهم فى شرف الجهاد ، وعلى هذه الصورة نستطيع القول بأن الأغلبية المطلقة فى ليبيا قد بذلت النفس والنفيس بقيادة عمر المختار للدفاع عن شرف الإسلام تحت لواء المجاهد الأول والبطل الأول والزعيم الأول الأمير السيد محمد إدريس المهدى السنوسى وبقيادة نوابه الأشاوس ، وكان فى طليعتهم عمر المختار الذى كبّد إيطاليا أفدح الخسائر فى الأرواح والأموال والعتاد وأكثر من ذلك فى السمعتين العسكرية والسياسية ، ولذلك فقد كان موقف القيادة الإيطالية فى ليبيا تجاه حكومة روما موقف العار والخزى لا سيما وأن إيطاليا اليوم — فى نظر شعبها وبقية شعوب أوربا — غيرها بالأمس ، حيث كان إستيلاء الفاشيست على مقاليد الحكم ، وأراد زعيم الفاشية موسلينى أن يظهر إيطالية بمظهر العظمة لتأخذ مكانها من الصف بجانب أختيها الإستعماريتين بريطانيا وفرنسا ولكن الشىء الذى لم يكن فى حسابه وما كان ليتصوره هو أن عجز إيطاليا اليوم أمام صلابة عمر المختار سوف لا يقل عن عجزها بالأمس ، لقد خانه التقدير وحالفت جيوشه الهزائم فى الوقت الذى كان موسلينى فيه يمثل الغطرسة وقد بلغت به العجرفة إلى حدّ جعله يدعى المقدرة على إرهاب العالم ، إنه لموقف يثير الدهشة ذلك الموقف الذى يقفه عمر المختار وحفنة من المسلمين محصورين بطبيعة واقعهم فى منطقة الجبل الأخضر وقد أسمتهم إيطاليا الفاشيستية (بعصابة الفلاقة) إنه لموقف مدهش وباعث على الخجل ، ولذلك أصبح تفكير حكومة روما ينحصر فى تقوية الحشود العسكرية وفى زيادة العتاد وفى فتح أبواب الخزانة

على مصراعيه مما كان غنيمة للمجاهدين الذين مثل لسان حالهم شاعر النيل حافظ إبراهيم فى قوله

حاتم الطليـــان قد قلدتنا ... منـة نذكرهـا عاما فعاما
أنت أهـديت إلينـا عـدة ... ولباساً وشراباً وطعاماً
وسلاحاً كان فى أيديكم ... ذا ملال فغدا يفرى العظاما
أكثروا النزهة فى أحيائنا ... وربانا إنها تشفى السقاما
لست أدرى بت ترعى أمة ... من بنى الطليان أم ترعى سواما

وتحدث بلسان المجاهدين أيضاً الأستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعى فقال

جاءوا إلينا كجيش النمل منسرباً ... وفيهم بعض أبطال ولا ضرر
يقود كل كمى منهم أمل ... فى طيه أجل يقظان ينتظر
خاطوا لاجسامهم من نقمنا كفناً ... فان أسيافهم فى حربنا ابر
هذا وذاك سواء فى طرابلس ... والكل فى مسمعى صحرائها هذر
إن البعوضة فى الصحراء أضخم من ... أسطولهم ولها من دونه أثر

وكانت إيطاليا لم تدخر وسعاً للقضاء على المجاهدين فقد قامت بأكثر مما قامت به فى المرحلة الأولى من الجهاد ولكنه لم يعد عليها بفائدة

لقد فشلت فى جولتها الأولى التى كانت تقول عنها جولة النزهة التى ابتدأت فى شهر أكتوبر سنة ١٩١١ باحتلالها مدينة طرابلس ولم ينته يوم ٢٤ منه حتى كان إحتلال طبرق ودرنة وبنغازى وكان إحتلال هذه المدن قد كلف إيطاليا خسائر جسيمة ، وكانت إيطاليا لم تحسب لليبيين أى حساب حتى كان يوم ٢٣ من نفس الشهر وفى نفس السنة حيث هب الشعب للدفاع عن حقه ووطنه فى معارك طاحنة قصر عنها تفكير

الغزاة الغاصبين ، ومن بين هذه المعارك معركة الشط والهانى وعين زارة والجديدة وهذه المعارك فى طرابلس دفع الإيطاليون أثناءها ثمن الغزو فادحاً ، وفى برقه خاض المجاهدون فى نفس الشهر معارك طاحنة ضد القوات الإيطالية المعتدية فى كل من درنة وبنغازى ، ومن تلك الوقائع معركة جليانة ، والبركة ، والصابرى ، وراس عبيده ، والفويهات ، والسلاوى وهواء الزرده وغيرها فى مختلف نقاط الإرتكاز التى نزلت بها القوات الإيطالية فى المدينتين (بنغازى ودرنة) مما أطلق لسان شاعر النيل حافظ إبراهيم يتحدث عن ذلك فيقول

عجز الطليان عن أبطالنا ... فأعلوا من ذرارينا الحساما
كبلوهم قتلوهم مثلوا ... بذوات الخدر طاحوا باليتامى
ذبحوا الأشياخ والعجزى ولم ... يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما
احرقوا الدور استحلوا كلما ... حرمت (لاهاى) فى العهد احتراما
كشفوا عن نية الغرب لنا ... وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
أطلقوا الأسطول فى البحر كما ... يطلق الزاجل فى الجو الحماما
فمضى غير بعيد وانثنى ... يحمل الأنباء شؤما وانهزاما
قد ملأنا البر من أشلائهم ... فدعوهم يملئوا الدنيا كلاما
أعلنوا الحرب واضمرنا لهم ... أينما حلوا هلاكا واختراما

ويقول الأستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعى يصف الجندى الإيطالى فى الحرب الليبية :

يلقى المهند خوفا أن يجد به ... جد الذهول فعند الخوف ينتحر

ويقول الأستاذ الأديب السيد حسن القاياتى

ببرقة وهد لا تعد تملأت ... بأشلاء قتلاهم فليس بها وهد

أمير اللواء محمود بو قويطين
« معركة قارة عانية ١٩٢٨ م »

وقال الأستاذ أحمد كاشف ذو الفقار :

يآل رومة تطلبون أمانياً ختالة أم تطلبون منونا
جئتم تجرون الحديد ورحتم بحديدكم فى اليم مغلولينا
ورقصتم فيه سكارى فارقصوا فى الليلة السوداء مذبوحينا
لئن استفزكم صليـــل سيوفكم فلقد تبدل زفرة وأنينا

إلى أن قال

هاتوا الذئاب إلى الليوث فخمسة منهم أبادوا منكم خمسينا
واستجمعوا حيتانكم ونسوركم فالصائدون هناك مرتقبون
واستكثروا الزاد الشهى فإنكم وسلاحكم والزاد مأخوذينا
لم يبق منهم معسر أو أعزل بعد الذى غنموه منتصرينا
واستكملوا المدد الكبير بفتية سيقوا إلى الهيجاء هيابينا
أحسبتم بطحاء برقة حانة لكم وغزو القيروان مجونا

وهنا فقط أدرك الطليان أن ليبيا ليست سلعة تباع أو تصح فيها المساومة ، وأن الشعب الليبي المسلم الأبي غير مستعد لأن يستسلم بالإرهاب والوعيد وأن يتنازل عن حريته وكرامته وشرفه دون أن يدافع دفاع المستميت ولذلك فإنه يستحلى الفناء فى سبيل وطنه ودينه وجندت إيطاليا خيرة رجالها العسكريين وشبابها استعداداً للمعركة التى ماكانت تحسب أنها هكذا عندما غزت ليبيا وكان الليبيون على ما هم عليه من الاستماتة رغم تفوق القوات الإيطالية التى استطاعت أن تحتل بعض المواقع الهامة فى الدواخل ، ولم يأت عام ١٩١٥ حتى كان الليبيون قد قهروا الإيطاليين فى كل موضع تمكن الايطاليون من احتلاله ، فى طرابلس مثلا حاصر المجاهدون إيطاليا عدة سنوات فى مدينتى طرابلس والخمس بعد أن كانت الجيوش الإيطالية قد

وصلت إلى منطقة سرت (خليج سدرة) وبعد أن تم لها احتلال مسراته وزليطن وبن وليد وترهونة وهكذا كان الحال فى منطقة فزان وواحات الجفرة التى كان العدو قد احتلها فأخرج منها مذموماً مدحورا واستولت قوات المجاهدين على جميع عتادهم ، بينما كانت قوات المجاهدين فى برقة قد أجلت القوات الإيطالية عن أغلب المناطق المحتلة فى الدواخل ومنها جدابية قاعدة برقة الغربية ، وانحصر الإيطاليون فى بعض المناطق الساحلية التى يتولى حمايتها الأسطول

لقد جمح بنا القلم إلى الدخول فى الحديث عن الفترة الأولى من الجهاد حيث تعرضت بالمناسبة والآن نعود للقول بأن إيطاليا فى هذه الجولة مع عمر المختار قد فشلت وجانب التوفيق جميع مقوماتها وقواتها العسكرية المعززة بأدوات الفنـــاء والفتك من الحديد والنار وأخيرا بالغازات السامة التى وصفها عمر المختار فى رسالته إلى الشارف باشا الغريانى حيث قال « لا تخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش والسبايس » وقد أشار عمر المختار فى رسالته هذه إلى استعمال إيطاليا للأدوات السامة القاتلة ووضعها فى آبار السقى وفى المزروعات .

كل ذلك لم يرهب عمر المختار وجنوده الذين قال عنهم فى نفس الرسالة المشار إليها — يراها القارىء فى غير هذا المكان — فقال إنهم جند الله وجنود الله هم الغالبون .

فشلت جميع المحاولات والمناورات والمؤامرات التى حيكت سراً وجهرة ، وإذن فلا بد لإيطاليا من تفكير آخر لإيجاد عمل يعيد لايطاليا ما ضاع من سمعتها ، فما هو يا ترى نوع العمل ؟ هل هناك من سبيل اخر يمكن به القضاء على عمر المختار ويعجل بالإستيلاء على برقه ؟ هل من عمل يأت بالفائدة المرجوة وقد فشلت عن الإتيان بها مجموعة

فيالق الطليان التى زخر بها البحر والبر والجو من أساطيل وطيارات ومدفعية ومصفحات وجواسيس وسماسرة وما إلى ذلك من أسماء ومسميات ومكائد متشابهات ، إنه وضع محير وموقف مدهش فهو نفس الوضع الذى سبق أن وصفه قائد جيش الغزو الإيطالى الجنرال (مرشال فيما بعد) كانيفا حينما سألته حكومة روما فقال « على الحكومة الإيطالية إن رغبت فى انتصار باهر أن تخير نفسها بين واحد من اثنين ، إما أن تعين قائدا غيرى ، وإما أن تبحث عن هذا الانتصار فى أرض غير طرابلس ، وكان هذا الاسم (طرابلس) هو الاسم المعروف به جميع القطر قبل أن يعرف الآن باسم ليبيا وقد نشرت هذا الرد العسكرى الصريح جريدة المؤيد الصادرة فى القاهرة بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩١٣ م ، لم يتغير الوضع الذى كان فى الفترة الأولى من مرحلة الجهاد عن الوضع الآن ونحن فى المرحلة الثانية من الجهاد ، ولم يطل تفكير زعيم الفاشيست كثيراً ، لقد اهتدى إلى حل جاء نتيجة الدراسات الواسعة التى اشترك فيها ـ مع المجلس الأعلى للحزب الفاشستى برئاسته ـ جميع القادة العسكريون والساسة من المسئولين وكان الحل الذى اقتنع موسلينى بفائدته هو الاسراع باحتلال الجغبوب الذى أكد الخبراء أن احتلاله إذا ما تم سوف يضمن لإيطاليا نصراً سريعاً وأنه سيضرب حصاراً محكماً حول عمر المختار فلا يفلت منه على أن يتم تنظيم خط عسكرى مهمته المراقبة للتحكم فى الطريق الممتد بين البحر الأبيض المتوسط مبتدئاً من نقطة باردیه ويكون انتهاؤه عند الجغبوب

وبذلك يحرم عمر المختار من فوائد الاتصال بمصر وفى هذه الحالة يكون عمر المختار — على زعم المفكرين الايطاليين مضطراً لأن يسلم نفسه وإلا فسيموت هو وعصابته جوعاً ، وفى غمرة هذا التفكير (المدروس) للخروج من المأزق الذي أذهل عقول (عقلاء) القادة

الايطاليين وساستها أرسل الجنرال (موبيلى) والى بنغازى الإيطالى يكتب إلى عدة شخصيات من الليبيين الذين أوقعهم سوء حظهم تحت سلطانه يخبرهم وينذرهم بأن إيطاليا قد صممت على إنهاء القتال فى برقه على أية صورة كانت ، وسوف تعمل للقضاء على عصابة (الفلاقة) وهذه الخطوة التى صممت الحكومة الإيطالية على اتخاذها سوف تعرض الأهالى إلى أخطار جسيمة ، والحكومة الإيطالية الرحيمة (هكذا) تود أن لا يلحق أهاليها أى ضرر وقبل أن تقوم قواتنا العسكرية بتنفيذ ماقررته مضطرة تود مخلصة أن تتلقى منكم آراءكم حول الموضوع بالصورة التى ترون إنها تحقق رغبتنا من حيث القضاء على عصابات الأشقياء وتجنيب الأهالى كل ضرر لاتريد الحكومة أن يقعوا فيه وقد أعذر من أنذر

هذا ما ورد فى كتاب الوالى للشخصيات التى كان من بينها الشارف باشا الغريانى ، عثمان باشا العنيزى ، حمد بك صوان ، حمد بك البنانى ، وقد وقع بين أيدينا عدد من الردود التى أجاب بها أولئك المساكين بحكم واقع حالهم وما هم فيه ، كانت هذه الرسائل التى تحمل رغبة والى بنغازى قد صدرت من ديوانه بتاريخ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ومن هذا الكتاب يستشف القارىء رائحة الفشل الذريع الذى منيت به جميع الحملات الإيطالية الموجهة ضد عمر المختار ورفاقه الأبرار ولذلك فقد أصبح من الضرورى أن تعمل إيطاليا لإحتلال الجغبوب كما سبقت الإشارة بذلك كمحاولة لانهاء القتال فى برقة فأخذت إيطاليا فى تجهيز حملة كبيرة كانت نقطة إرتكازها طبرق والباردية فانهالت على هذين المركزين الإمدادات العسكرية ، وهناك بدأت القيادة ترسم الخطة وتدرس أحوال الطريق الذى ستسلكه القوات الضخمة وفى شهر رجب سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٦ م تحركت هذه الحملة بقيادة الكلونيل رونكيتى الذى أصبح بالإنتصار الذى أحرزه جنرالا ، وتم الاحتلال فى ٨ فبراير سنة ١٩٢٦ بدون مقاومة ، وذلك من تحصيل

الحاصل نظراً لطبيعة الوضع فى الجغبوب ذلكم البلد الإسلامى المسالم الذى يصطبغ بطابعه العلمى الدينى المحض

لم يفت إحتلال الجغبوب فى عضد السيد عمر المختار ولم يهن من عزيمته ، ولم يغير من موقفه إن لم يكن قد زاده إيمانا على إيمانه وقوة فوق قوته وعزما أكيدا على المضى فى الجهاد الذى أخلص له .

(٢)

كانت إيطاليا قد نقلت عدداً كبيراً قبل وبعد إحتلال الجغبوب من كبار القادة والضباط العسكريين وعددا مماثلا من رجال السياسة والإدارة باعتبارهم لم يفلحوا فى القضاء على عمر المختار ، واستبدلتهم بمن رأت فيهم الكفاءة أو اعتقدت ذلك ، ولكن الحقيقة لم تتغير بتغير الأشخاص والمثل يقول (موسى الحاج هو الحاج موسى) وكان من بين المنقولين الكثيرين الجنرال بونجوانى والى بنغازى ثم خلفه الجنرال موميلى ، فالكولنيل لورنسينى قائد سلاح المصفحات ، ومن كبار السياسيين : الكمندتور روليني ، متصرف لواء بنغازى ، فالكمندتور سينسكالكى رئيس القسم السياسى ، ونقل باريلا من الجيش إلى السلك المدنى فعين متصرفا للمرج كما عين الصحفى الفاشيستى الكمندتور أولمى متصرفا للواء بنغازى وكان من بين من جاءت بهم إيطاليا بمنصب الوالى لبنغازى الجنرال تيروتسى وهو من كبار أقطاب الفاشيست ، فالجنرال مينرتى للقيادة العسكرية العامة ببرقه فالكلونيل ماليتى (قائد الحملة لاحتلال جالو) فالكلونيل روجيرى فالكلونيل سانتونى فالكلونيل بياتى فالكلونيل مارينونى فالماجور رولى وفى هذه الفترة كان السيد عمر المختار قد فقد عدداً كبيراً من رفاقه الأبطال الذين وقعوا شهداء فى ساحة الوغى وكان من بينهم السيد المختار ابن شقيقه محمد المختار فشق

عليه فقده رغم أنه لا يزيد مكانة عند عمه السيد عمر المختار أكثر من رفاقه المجاهدين ، وتكدر عمر المختار لا لأن الموت قد خطف ابن أخيه فالموت فى نظر عمر المختار أصبح شيئاً عادياً إذ لا يكاد يمر يوم بدون أن يفقد عمر المختار عدداً من خلاصة المجاهدين وخلصائهم ، ولكن الشيء الذى أوجد فراغا أحس به عمر المختار فى نفسه بفقده ابن أخيه هو لأنه فقد عائلا كان يهتم بشؤون عائلة عمر المختار وكان المشرف على شؤون عمر المختار الخاصة وخدمته الشخصية ولأنه أيضاً بمثابة الابن حيث لم يكن لعمر المختار ابن يتولى شؤون العائلة لأن محمد صالح المختار وهو الإبن الوحيد كان لا يزال طفلا ثم إن السيد عمر المختار تعود مصاحبة الفقيد منذ سنة ١٩١٦ وإلى جانب كل ذلك فإنه من أبطال الجهاد ومن الأبناء البررة الذين لا يجود بمثلهم الزمن دائما ، ولكن عمر المختار أظهر التجلد رغم ما شعر ويشعر به ، وصبر صبرا جميلا ، وكان يقول لكل من جاء لتعزيته إن كل فرد من رفاق المجاهدين هو عندى بمنزلة المختار إننى فقدت مختارا واحداً ولكننى أعيش بين عددا من المختارين كل منهم يملأ مكان ابن أخى .

وعلى الرغم من هذا التجلد الذى أظهره عمر المختار فإنه ما فتىء يذكره ويردد إسمه فى لوعة بالغة ويتسلى بقول الشاعر البدوى

الدنيا امْفِيتْ اللهْ مَنْ وَالِيهَا وِينْ الصحابا قبلنا أو نِبيها
وِين بُونَا يادم أوِين الشيوخ اللّى كبار مقاوم
اللّى يندهُوا للعبد هُو والخادم وَن جاهم الطالب حاجْتَا يقضيها

(ياعين كفّى رَاهْ يُومكْ قادمْ صيُّور البنّادم حفرتا ماليها[١])

كان الشعر البدوى يعجب السيد عمر المختار كثيراً وكان يحب أن يستمع إليه ولكنه لايعلق بذاكرته كثيراً ، وكان يردد منه المقطوعات الصغيرة فى المناسبات ليضرب بها المثل ويتخذ منها الشواهد ، وهى التى تكون من نوع الاغنيات القصيرة المعروفة عند بدو برقه باسم الغناوة ومنها قوله عندما وقف على قبر صديقه وزميله الشهيد حسين الجوينى قال :

(شهير لَسَمْ وَافِ الدين تمّا غفير فى فاهق خلا[٢])

(٣)

أجهزت إيطاليا ـ كما يفهم القارىء مما أوردناه ـ على أواسط وغرب برقة وتفرغت تفرغا كاملا لمجابهة عمر المختار وحده فى الميدان وكانت قد أبدلت (الطقم) الأول من رجال الجيش والساسة والإدارة فى برقة ثم جاءت بأشهر قادة جيشها المرشال بادوليو حاكما عاماً لليبيا وعينت الجنرال سيشلميانى خلفا للجنرال تيروتيسى والى بنغازى إلا أن الأخير ربطته بالمرشال بادوليو بدلا من الارتباط بروما كما كان الحال . وكانت الخطوة الأولى لهذه (التشكيلة) الجديدة من الحكام

---

(١) المفردات : وين (أين) بونا (أبونا) يادم (آدم) الى (الذى ، والذين والتى واللاتى) يندهوا (ينادون) ون (وأن) جاهم (جاءهم) راه صيور (مصير) البنادم (بنى آدم) .
المعنى : أن الله سبحانه وتعالى هو ولى الدنيا ووارثها ، وكل مافى هذه الدنيا مصيره الفناء ، فأين رسول الله وصحابته وهم أكرم خلق الله عليه ، وأين السادة الكبار الذين سبقونا وكان من شمائلهم المناداة للخدم من أجل خدمة الضيف وكل من جاء يطلب حاجة تقضى له ، والبيت الأخير هو من قول السيد عمر المختار نفسه يخاطب عينه بقوله كفى من البكاء فان أجلك فى طريقه إليك ومصير بنى آدم هو تلك الحفرة (القبر) التى يملؤها رفاته بعد الموت

(٢) المفردات شهير (من الشهرة) لسم (الإسم) واف (كامل) تما (أصبح) غفير (حارس) فاهق خلا (الأرض الخالية) .

العسكريين هى العمل للإتصال المباشر بالسيد عمر المختار وأسندت هذه المهمة إلى الكلونيل باريلا متصرف المرج وباشر هذا الأخير مهمته بأن طلب من السيد عمر المختار تحديد الزمان والمكان لاجتماع يضم الجانبين من أجل الدخول فى مباحثات قد تؤدى إلى إنهاء القتال وتضمن مصلحة الطرفين وكانت عبارة إنهاء القتال مبهمة ومطاطة فى نفس الوقت ، وكانت ـ طبيعياً ـ تخفى فى طياتها مالا تظهره ، وقد تركت هذه العبارة لعمل المختار مجالا يمكنه بأن يفسرها بما يرضيه كى لاينفر من الإتصال ، وكى يفهم منها أو يفسرها على الوجه الذى يرضيه والشىء الذى جعل عمر المختار يقبل الدخول فى البحث هو أنه والمجاهدون معه يفسرون إن البحث المزمع إجراءه سيكون بحثاً بين ندين متكافئين من حيث الحقوق وإن كانا غير متكافئين من حيث القوة ، وكانت النية الإيطالية تظهر مالا تضمر وتتعمد الإبهام والتعمية فى سبيل تحقيق الإتصال بعمر المختار معتقدة إنها سوف تتمكن ـ إذا ما تم الإتصال ـ من بث بذور الفتنة للتفريق بين عمر المختار ورفاقه ، وإن فتح الأسواق فى وجه المجاهدين الجياع سوف يكون له الكلمة الأخيرة فى الموقف ، وفى نفس الوقت ستكسب إيطاليا من الزمن ما يمكنها من تدعيم قواتها التى أعدتها للمعركة المقبلة التى سيخوضها أكبر قادة إيطاليا العسكريين المرشال بادوليو ضد عمر المختار .

وصل كتاب الكلونيل باريلا إلى السيد عمر المختار فى آخر أيام رمضان ١٣٤٧ هـ إبريل ١٩٢٩ وفى صبيحة عيد الفطر (اليوم الثانى من وصول الرسالة) زحف الطليان على المجاهدين بغتة بينما كانوا يؤدون صلاة العيد ، وكانت رسالة متصرف المرج لاتزال قيد الدرس ، واشتبك الطرفان فى معركة إستمرت إلى مابعد صلاة العصر من ذلك اليوم وأسفرت النتيجة عن مصرع قائد الحملة الإيطالية وارتدادها بعد خسارة كبيرة ، وبعد أسبوع

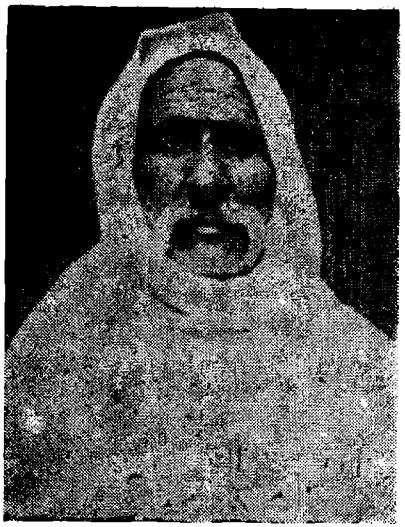

عبد الحليل بك سيف النصر
« مركة عافية »
توفى بمصر ١٩٤٣ م

عبد السلام باشا الكزة
توفى بمصر ١٩٤٠

من ذلك وصلت رسالة إلى السيد عمر المختار من متصرف درنه الكمندتور داود ياشى يحاول هو الآخر الإتفاق مع السيد عمر المختار على تحديد موعد للاتصال وتم الإتفاق بين الطرفين ، وحدد مكان الإجتماع وذهب إليه السيد عمر المختار بعد أن إحتاط للموقف بما يتطلبه ، ولم يسفر هذا الإجتماع عن فائدة ، وتم إتفاق آخر على إجتماع فى موقع (الشليوفى) والتقى الطرفان به يوم ٢٥ شوال وكان الوفد الإيطالى مكونا من بعض شيوخ قبائل العبيدات والبراعصة والحاسا والدرسا الواقعين تحت الحكم الإيطالى يتقدمهم متصرف درنه الكمندتور داود ياشى وعدد من رجال السياسة والجيش الإيطاليين ، وكانت مهمة هذا الوفد لا تتعدى التمهيد لإجتماع أو إجتماعات أخرى وكانت لهجة الطليـــان مشوبة بالوعود الخلابة والإغراء لكسب الوقت وفى الوقت نفسه لجس النبض عما إذا كان رفاق عمر المختار ـ وأكثرهم من القبائل التى يتكون منها الوفد الإيطالى ـ سيتأثرون بالوفد ، وهل أن المشايخ من أعضاء الوفد سيكونون مخلصين لإيطاليا فيعملون على نصيحة أقاربهم من المجاهدين بالتخلى عن عمر المختار . هذه هى الأمنية الإيطالية إذا ماوجدت لها سبيلا ، وبالتالى إبداء النصيحة لعمر المختار نفسه بإنهاء هذه الحركة المضرة ـ فى نظر الطليان والضرر المقصود هذا هو ضرر إيطاليا لا ضرر المجاهدين ـ وكانت وعود إيطاليا على ألسنة بعض الأشخاص هى أنها ستنظر إلى عمر المختار بعين الاعتبار ، وستحافظ على مركزه الشخصى ، وسترجع لمشورته فى المسائل التى تخص الأهالى وستخصص له مرتبا ضخما وقدره خمسون ألف ليرة إيطالية أى بما يقارب ستماية وخمسة وعشرين جنيها مصريا (كان أكبر مرتب تدفعه إيطاليا يومذاك للأشخاص الذين يحتلون المكان الأول عندها وعددهم ينقص عن عدد أصابع اليد الواحدة هو مايقرب من عشرة آلاف ليرة) فكان رد المجاهدين على أقوال أقاربهم هو التأييد المطلق لعمر المختار قائد المجاهدين ،

أما جواب عمر المختار فهو ينحصر فى قوله : إننى ماقبلت هذا الإجتماع مع الوفد الإيطالى لأستمع إلى هذه المهازل ، ولست أحارب الطليان من أجل الوصول إلى هذه الترهات ، إن موقف المجاهدين يغاير ما تعتقده إيطاليا من أن المسألة تقبل الجدل أو المساومات ، إنها فوق ذلك إنها مسألة حقوق أمة كاملة ضحت بأكثر من نصف عددها وفقدت الكثير من موطنها ، وديست كرامتها وجرحت فى دينها إن البحث يجب أن يكون حول قضيتنا الوطنية كاملة غير منقوصة وإلا فإننى سأضطر إلى إنهاء الإجتماع الذى ما كنت أتصور أنه سيكون هكذا وكان السيد عمر المختار فى منتهى التأثر والانفعال ، هذا هو الوضع كما وصفه الشارف باشا الغريانى فى مذكراته وفى الكثير من رسائله التى وجهها إلى حاكم ليبيا العام منتقدا ما اتخذته حكومة برقة الإيطالية من وسائل قد يكون لها أثرها فى إتساع شقة الخلاف بدلا من العمل على تقارب وجهات النظر ، وبما أن الشارف باشا الغريانى كان يرى ويعتقد أنه الشخصية الوحيدة فى برقة بين الشخصيات التى ترجع إليها إيطاليا لايرضى بأن يكون ملحقا فى وفد المباحثات هذا فحسب أو يكون رأيه فى هذا الموقف ثانوياً ، أو يدعى لحضور هذه الإجتماعات مستمعا فقط وبالفعل فقد كان موقفه فى هذه المرة يختلف عن موقفه عندما بدأ الإتصال بين إيطاليا من جهة وبينها وبين دور المغاربة فى جدابيه من جهة أخرى (١٩٢٧) فقد كان الشارف باشا يومذاك هو كل شىء بالنسبة لإيطاليا ، وكانت قد خولته صلاحيات مطلقة للوصول إلى التقارب الذى أرادته فأسفرت تلك الإتصالات عن إحتلال إيطاليا لجميع أنحاء برقه الغربية ، أما فى هذا الموقف فكان الشارف باشا كما ذكرنا ومن المحتمل أن يكون تجاهله هو الذى جعله ينتقد الوفد الإيطالى على الصورة التى سجلها فى مذكراته ويشتم منها رائحة الشماتة فى فشل الوفد ، ولقد سمعت من على باشا العبيدى وهو أحد أعضاء الوفد وتربطه صداقة قديمة بالسيد عمر

المختار كما تربطه مثل تلك الصداقة بالشارف باشا الغريانى سمعت منه يقول إننى إقترحت على نائب الوالى فى برقة بأن يكون الشارف باشا الغريانى رئيسا للوفد الذى سيدخل مع عمر المختار فى المباحثات فأجابنى الوالى بقوله إن الإتصال بعمل المختار قد بدأه متصرف درنه الكمندتور داود ياشى وكذلك فإن متصرف المرج الكمندتور باريلا كان له ضلع كبير فى الموقف وكلاهما ينفر من تدخلات الشارف باشا الغريانى الذى يتمتع بتقدير كامل من الحكومة ولكننى سأطلب من المتصرفين المذكورين موافقتهما على أن يحضر الشارف باشا إلا أننى لا أضمن موافقتهما ، وبالفعل فقد رفض داود ياشى متصرف درنه هذا العرض وبعد جهد جهيد قبله وأبلغت الحكومة الشارف باشا ورفض هو أيضا فكلفنى الوالى على أن أذهب إليه لأقنعه بالقبول واخترت أن يكون معى السادة رافع فركاش وبو شديق بومازق ومحمد أبو فارس ، وذهبنا إلى الشارف باشا وفى أثناء تبادل التحية والسلام التفت إلى وقال مازحا وموجها الكلام للجميع فى شخصى : أهلا بوفد الصلح الموفق ، وشعرت إنها كلمة لها ما بعدها فانتظرت إلى أن يتم حديثه ، وسكت قليلا ثم استأنف الكلام بقوله : إنكم يا أعضاء الوفد ستجابهون مشاكل كبيرة وسيحكم التاريخ لكم أو عليكم فأحتاطوا كى لا يكون الحكم عليكم فقلت له أن مشكلتنا لم تكن أقل من المشكلة التى صادفتكم فى جدابيه (١٩٢٧) فإذا مانجحنا فسوف تكون النتيجة إنهاء الحرب فى الجبل كما إنتهى فى برقة الغربية عندما نجح وفدكم ولم نأت بجديد ، أنتم أنقذتم السيد رضا من (عجاج) جالو إلى الحبس بإيطاليا ونحن ننقذ إبنه من برد الجبل وبرد وطن العبيد ، وإذا مافشلنا فسيأتى دورغيرنا ونحن نرضا بحكم التاريخ علينا ، ثم قلت له (وإيش رأيك) إننا رفضنا العمل دون أن تكون معنا لأنك مجرب والعرب يقولوا (اسأل مجرب ولاتسأل طبيب) ، وفهم الشارف باشا إننا جئنا لنعرض عليه الاشتراك فى الوفد فحاول التخلص وبعد جدال طويل حلفت له (بالطلاق) على أن يقبل .

نعود الآن إلى الحديث عن الاجتماع الأول . فبعد جهد جهيد ، وبعد محاولة إصلاح الموقف بما يتطلبه من تدخلات وتوسلات ومعاذر تم الاتفاق على اجتماع آخر حدد مكانه بموقع (قندولا) وفى يوم ٨ من ذى الحجة اجتمع الوفدان وكان يرأس الوفد الايطالى الجنرال سيشليانى نائب الحاكم العام فى برقه ، وطلب السيد عمر المختار من الوفد الايطالى أن يسلمه شروط حكومته ويستلم منه شروط المجاهدين ليتولى كل فريق دراسة وبحث تلك الشرائط ، وارفض الاجتماع على أن يعقد يوم ٢٨ ذى الحجة ولكنه أجل إلى اليوم الخامس من محرم الحرام سنة١٣٤٨هـ حيث وصل المارشال بادوليو حاكم ليبيا العام إلى موقع سيدى رحومة محاطاً بأركان حربه ومستشاريه من السياسيين والعسكريين وببعض من المشائخ والموظفين الأهليين ، وبعد محادثات طويلة مع السيد عمر المختار الذى حضر فى نفس اليوم إلى مكان الاجتماع والذى أخذ يوجه لذعات مرة قاسية لايطاليا فى شخص المارشال بادليو ، ومن بين ما قاله أن إيطاليا أثبتت أنها لم تكن حسنة النية فى أى عمل أقدمت عليه نحو أهل البلاد ، وأخذ مرشال إيطاليا يتلمس الأعذار عن نفسه حينا وعن حكومته حيناً آخر ، وهنا وقف السيد الفضيل بو عمر وقرأ على المجاهدين جهرة نص شروط السيد عمر المختار وقد وعد بادوليو بإرسال هذه الشروط إلى حكومة روما مع وعده ببذل مساعيه لقبولها وإن كانت الحكومة — على حد قوله — صاحبة الكلمة الأخيرة ، وارفض الاجتماع على أن يعقد فى موعد حدد بموقع سيدى رافع (البيضاء) يوم ١٢صفر من نفس السنة وتم ذلك الاجتماع الذى لم يختلف عن الاجتماعات السابقة ، وقال مندوب إيطاليا فى هذا الاجتماع إن الاتفاق النهائى الذى يرمى إليه الوفدان سيكون فى الاجتماع المقبل الذى يعقد فى مدينة بنغازى وعملت إيطاليا جهدها على أن يحضره السيد عمر المختار وهذا الأخير

(1) المرشال بادوليو (2) سيشليانى (3) قائد المجاهدين السيد عمر المختار (4) الجنرال رونكيتى ، ويرى السيد الحسن السنوسى قد وقف عن يمين السيد عمر المختار كما يرى فى الصورة أيضا من الشمال إلى اليمين السادة عبد الحميد العبار ، على باشا العبيدى ، السنوسى اللافى « سكرتير السيد الحسن » الفضيل بوعمر ويرى من اليمين إلى الشمال السيد عبد الله أبو العون والشارف باشا الغريانى من أعضاء الوفد الإيطالى « إجتماع سيدى رحومه ١٩ يونيو ١٩٢٩ »

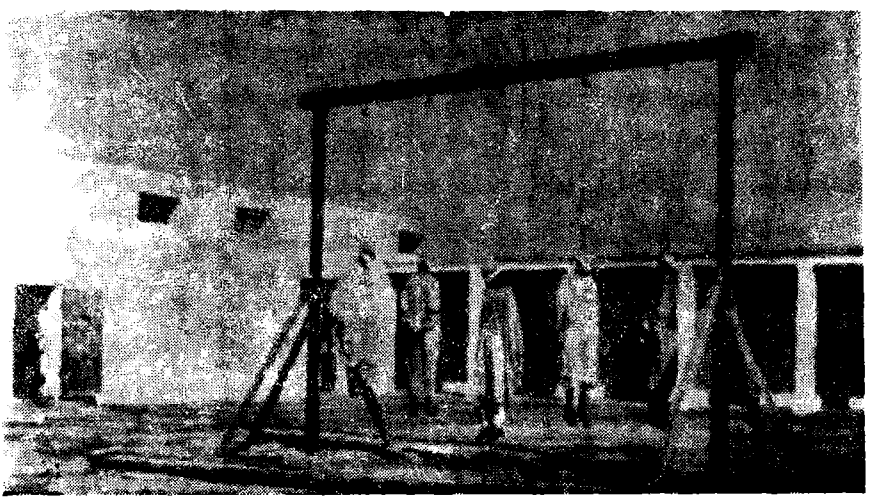

العدالة الفاشيستية والمدنية الرومانية يتمثلان فى هذا المنظر بليبيا ١٩٣٠ م

حاول جهده على أن لا يكون اجتماع آخر لأن النوايا لم تكن تضمر خيراً ، وإذا كان لا بد من الاجتماع يجب أن يكون خارج بنغازى ، وأصر الوفد الايطالى فى قالب الرجاء بأن يكون فى بنغازى ، ووقف عمر المختار موقفه الصلب بأن لا يحضره شخصياً ولكنه أراد أن يقطع حجة الطليان بسيره معهم فى المفاوضات إلى آخر الشوط وإن كان لا يجهل مقدما أن هذه المحاولات سوف لا تسفر إلا عن الفشل المرتقب ، غير أنه ما كان يريد أن يتحمل مسئولية هذا الفشل ، وقال المندوب الإيطالى : إننا سنصل بواسطة اجتماع بنغازى إلى حل جميع المشاكل بما يرضيكم . وافترق الوفدان على أن يلتقيا فى الموعد المحدد بمدينة بنغازى

اتفق المجاهدون على أن يحضر اجتماع بنغازى السيد الحسن رضا السنوسى فى حين أن السيد عمر المختار كان مقتنعاً بعدم جدواه وبأن الحالة ستؤول حتما إلى ما كانت عليه وليست هذه المحاولات إلا مماطلة لكسب الوقت فى صالح الأعداء، ولكنه اضطر مكرها بالموافقة على اجتماع بنغازى الذى سيحضره السيد الحسن السنوسى ، ولم يكن فى نظر عمر المختار أية فائدة وراء هذا الاجتماع غير شيئين اثنين هما : توريد ما يمكن توريده من الأسواق القريبة من الدور فى هذه الفترة ثم تنبيه بعض المتطوعين الذين ذهبوا لزيارة أقاربهم فى المنتجعات الخاضعة لإيطاليا بالعودة إلى الدور فى أقرب فرصة وكذلك عودة المأمورين المكلفين بجباية الزكاة من منتجعات برقه ، وكان تصرفهم هذا جهرة وبموافقة الطليان ، وتم ما أراده عمر المختار أثناء هذه الفترة التى وقع فيها اجتماع بنغازى وعاد السيد الحسن يحمل شروطا إيطالية مجحفة فرفضها عمر المختار والمجاهدون الذين قابلوها بالسخرية والاستهزاء ومرت أشهر لم يحدث أثناءها بين الفريقين أى احتكاك إلا أن كليهما يستعد

فى حيطة وحذر ، وكتب السيد عمر المختار إلى نائب الوالى يخطره برفض الشروط الإيطالية جملة وتفصيلا ، ويلفت فى هذه الرسالة نظر الحكومة الإيطالية إلى الشروط السابقة التى تسلمها المرشال بادوليو من السيد عمر نفسه وقطع على نفسه عهداً بالإجابة عنها بعد دراستها إذ لا يوجد سبيل لحل المشكلة بدونها ، وطلب السيد عمر فى نفس الرسالة تحديد موعد لمقابلة الجنرال سيشلياني نائب الوالى ، وفى حالة الرفض أو عدم الاجابة يكون السيد عمر المختار فى حل مما قيدته به آداب المجاملة فى انتظار نتيجة المفاوضات وسوف تعود الأمور لما كانت عليه وكان جواب إيطاليا هو أنها على استعداد ولا داعى للإنذار بإعادة الحرب

ويجدر بنا فى هذا الموقف الدقيق من تاريخ عمر المختار أن لا نترك أية حادثة تعرضها علينا الذاكرة ، أو إنها تقع تحت نظرنا ونحن نستعرض المذكرات والذكريات والمراجع التى وقعت بين أيدينا وإن كنا نريد أن نتوخى الاختصار الذى يفرضه ظرفنا الخاص ، إلا أننا لا نريد أن نترك ما نعتقده مهماً ومتصلا بعمر المختار ، ولذلك أردنا أن نشير باختصار إلى الواقعة التالية

كان بعض الأشخاص الذين ضمهم الوفد الإيطالى قد أساء إلى السيد عمر المختار أثناء البحث والجدل والنقاش وكان هذا البعض قد جرح عاطفة عمر المختار وهى التى ما كانت تؤثر فيها جراحات الألسنة من العدو لم تكن مثل هذه الاساءات تصدر عن السفهاء فكيف يتصور الإنسان صدورها عن شخص أو أشخاص جاءوا ضمن وفد يدعى أنه يعمل للإصلاح ، ونال هذا البعض سخط المجاهدين لاسيما من كانت تربطه صلة النسب والقربى بالمسىء وتحفز بعض المجاهدين ممن تربطه الصلة المشار إليها بالمسىء أن يتهجم عليه إنتقاما لشيخ المجاهدين عمر المختار الذى يحتل من نفوس المجاهدين مكانة لا يمكن انتزاعها إلا بانتزاع

الروح من الجسد ، واعترض السيد عمر المختار على ذلك تاسيا ومتناسيا ماوجه إليه من عبارات اعتبرها قشوراً لاصلة لها بالجوهر وقال عنها : إنها من تدبير العدو ويجب علينا أن نقدر إكراه صاحبها إذ قد يكون مضطرا فيقول بلسانه ما لايصدر عن قلبه ومن الغريب فى الأمر أن هذا البعض الذى أساء لعمر المختار منه من كانت تربطه صلة القربى والنسب والصداقة مع المسيء إليه ، ولذلك رأى عمر المختار أن يتجاهل هذه الصغائر وكبر على أقارب هذا البعض المسيء أن يكون قريبه مطية للأعداء فيوجه الإساءات إلى عمر المختار ومرت الأعوام ولكن مرورها لم يمح ما ثبت فى النفوس من السخط على هذا البعض ، وشاء الله أن يجمعنى بشخص كان من المسيئين يومذاك للسيد عمر فسألته فى منزل فضيلة الشيخ رافع القاضى سنة ١٩٣٦ بجدابية عن الدوافع التى دفعت المسيئين من أعضاء الوفد الإيطالى ليتصرفوا ذاك التصرف الذى لايصدر عن عاقل فأجاب — وعيناه تنهمر بدمع سخى — قائلا إننى من بين من تحرش بالسيد عمر المختار رحمه الله وأساء إليه ، ممّا سبب سخط الناس علينا ، وإننى شخصياً استهدفت لسخط أقاربى بما فيهم أولادى وزوجتى ، ولو جعل الله حق الطلاق فى يد النساء لطلقتنى زوجتى بغضا لى وكرها لصلتى بها ، ولكن الله وحده يعلم الحقيقة التى يجهلها الناس ، إننى كنت على اتفاق مع السيد عمر المختار نفسه ، والإساءات التى وجهتها له جهرة أثناء النقاش وجعلتنى عرضة للسخط كنت قد أبلغته عنها سراً فأذن لى بقولها على مسمع من مندوب إيطاليا وأمام السماسرة الذين طوقونا بآذانهم وعيونهم ومنهم (فلان) هذا ماحدثنى به الشيخ الوقور عندماسألته

إن الشيء المفهوم هو أن أعضاء الوفد لم يتصلوا فرادى أو جماعات بالسيد عمر المختار فى غير حضور الممثلين الإيطاليين والأشخاص المكلفين بالمراقبة والاستماع لكل شيء يقع ولكل كلمة تقال ، وهذه الحقيقة تجعلنا

نشك ونفكر قبل أن نقبل عذر صاحبنا إلا أن هناك شيء آخر لايغرب عن بالنا وهو الذى يجعلنا نتقبل ما أوضحه مصدقين هذا الشيء الذى يجعلنا نسلم بقول صاحبنا هو أن الإتصال بالسيد عمر المختار عن طريقة الوسطاء كان ميسوراً ، ثم إن محدثنا كان من الشخصيات التى يعرف عنها الصدق فى القول والإخلاص فيما قامت به من أعمال فى ماضى إشتراكها فى الجهاد .

(٤)

عندما فاتحت إيطاليا السيد عمر المختار للدخول معه فى المحادثات التى سبق ذكرها كان يرجع إلى السيد الحسن رضا السنوسى للتشاور معه فى جميع مايلزم ، وكان السيد الحسن يومذاك لا يرى رأيا يتعدى ما يراه المجاهدون وعلى رأسهم قائدهم عمر المختار ، وكان السيد الحسن يتمنى اغتنام فرصة المحادثات لو تفسح له بالتمكن من زيارة والده السيد رضا المهدى الذى وقع فى الأسر الإيطالى منذ سنة ١٩٢٧ وقد أبعد إلى إيطاليا لمدة لا تقل عن سنتين ، وكانت إيطاليا قد جاءت به من المنفى إلى بنغازى لتستغل مكانته فى النفوس أثناء المحادثات مع عمر المختار ولكنها أحاطته بالحراسة السرية والعلنية ، وجعلت من مركزه الكبير شخصية عادية بين أعضاء أحد وفودها فى بعض الاجتماعات التى عقدت مع السيد عمر المختار ، ومنعته من أن يجتمع اجتماعا خاصاً بأى شخص من المجاهدين لا سيما ابنه والسيد عمر المختار ، كما وأنه لا يشترك فى المباحثات التى كانت تدور بين الفريقين ، ولكنه حضر اجتماعا واحدا كمستمع فقط وساء السيد الحسن عدم الاتصال بوالده والتأكد من حالته ، لذلك رأى أن يغتنم فرصة الاجتماع المتفق عليه فى بنغازى — كما سبق ذكره — عسى أن يتمكن من تحقيق رغبته العاطفية وهى القيام ببعض حقوق الأبوة على البنوة ، وكان الطليان يشجعون حضور السيد الحسن إلى بنغازى ظنا بأنهم يستطيعون

— هم أم أذنابهم — التأثير عليه بالنظر لصغر سنه ، ولعدم التجارب التى لا تكون عادة إلا عند كبار السن الذين عركوا الحياة حلوها ومرها

أما السيد عمر المختار فقد رضخ لقبول إجتماع بنغازى ليقطع بقبوله حجج الطليان ، وألسنة المتفائلين وليذهب مع سياسة المفاوضات فى سبيل الاتفاق السليم إلى أقصى الشوط ، وكان يومن فى قرارة نفسه بالنتيجة الحتمية وهى الفشل . ولعبت الأيدى الخفية (الظاهرة) دورها بعد أن وصل السيد الحسن إلى بنغازى حيث وضع تحت الحراسة التى كان ظاهرها الاحترام وباطنها المراقبة ، وهكذا أخذت تترصده العيون والآذان ولم يتصل به إلا أذناب إيطاليا والداعون لها ، ففريق منهم أخذ يقول للسيد الحسن — تضليلا — إن إيطاليا على إستعداد لقبول شروط المجاهدين فى حين إنها لا تشترط إلا شرطا واحدا وهو إيقاف القتال ، غير أن الوقت لم يحن بعد لأعلان الموافقة ولا يزال دولة الولى يعمل لأقناع حكومة روما التى لاتزال مترددة بعض الشىء حول تعديل بسيط ترغبه فى شروط المجاهدين ، ويذهب هذا الفوج من السماسرة بعد أن يضع المخدر الكافى فى مجلس السيد الحسن ليدخل فوج آخر ويقول : إن السيد عمر المختار يقف حجر عثرة فى طريق التفاهم وذلك لأنه تعود سفك الدماء بعكس الحكومة الإيطالية التى تضمر لنا ولكم وللبلاد حياة الدعة والأستقرار ، ولكنها لا تستطيع التفاهم مع رجل متصلب لا يقدر المصلحة (هكذا) وعلى هذه الصورة التى نعرضها مصغرة لما كان يدور يومذاك فقد أصبح السيد الحسن يودع فريقا من هؤلاء السماسرة ليستقبل فريقا مماثلا ، وتأثر عدد من أفراد حاشيته بما شاهده من مظاهر حياة النفاق والاغراء وبريق الوعود المزيفة التى بذلت بسخاء ، وهكذا أخذ السماسرة يضربون على وتر التضليل فتردد المطامع صوت الآمال الواهية بنغمات تستهوى قلوب المخدوعين

أحيط السيد حسن الصغير السن والذى لا يعرف عن محدثيه إلا الظواهر

بعيون تترقبه وآذان تترصده وحرس يتعقبه ومظاهر كذابة تغمره ، وبعد أيام من إقامته فى بنغازى غادرها للاتصال بالسيد عمر المختار مصحوبا بشروط جديدة نمقتها سياسة الخداع والتفرقة ، وانخدع السيد الحسن الذى أسرف فى حسن الظن بأولئك الذين قالوا له بأفواههم ما ليس فى قلوبهم و (الحر غير كريم) ، ونقل السيد الحسن إلى السيد عمر المختار ما كان قد سمعه واقتنع به ، فكان جواب السيد عمر المختار — الشيخ المجرب — إن شروطنا التى قدمناها لايطاليا هى التى نالت موافقة مرجعنا الذى لا نتحرك إلا به وإننى لا أستطيع حذف شىء منها دون العودة إلى مرجعنا ، وأن المراوغة فى إعلان قبولها بعد الوعد بذلك أو رفضها يدل على أن وراء الأكمة ما وراءها ، ونحن أمناء على مصلحة الوطن فهى أمانة وضعها بيدنا سمو الأمير وحملنا مسؤليتها ولا يمكن أن نفرط فى مقدار شعرة منها ، وخير لنا أن نكون فى موقفنا فأرجلنا لا تزال فى الجفاف ولا يصح أن نزج بأنفسنا فى الوحل ومآزق الخديعة .

هذا هو رأى السيد عمر المختار الشيخ المحنك و (الثلب الذى شاب غاربه كما يقول البدو) فى معترك الحياة ، وذاق من سرائها وضرائها ماجعل منه مجموعة تجارب يصح الاعتداد بها والاعتماد عليها ، فى حين أن السيد الحسن كان يميل إلى جانب مجارات التسويف مستهدفا الوصول إلى تفاهم ما دامت هناك — كما يعتقد أو يظن — أذن صاغيته قبل أن يرجعوا إلى القتال ، ولما كان لكل شىء سبب ، والانسان عادة يسعى لما يريد والله وحده الفعال لما يريد فقد أوضح كل من السيدين رأيه الخاص مع احترام كل لصاحبه .

خيم السيد الحسن بحاشيته وحرسه الخاص بالقرب من معسكر السيد عمر المختار ، وكان من بين حاشية السيد الحسن من استهوته المظاهر وغرته

الأماني ، وعلى رأس هذا الفريق كان سكرتيره الخاص السنوسي اللافي الذي أصبح من أكبر العوامل لإيجاد ما يشبه التوتر ، واستمر السيد الحسن يسير وراء الخيال وخلف ما أسماه (الأمل) للتفاهم ، أما السيد عمر فقد أدرك حقيقة الموقف ، وسئم المراوغة والتسويف ، وأراد أن يكون من الآكلين لا أن يكون من المأكولين فصمم على مواصلة الجهاد حتى يأتي الله بأمر من عنده ، وفي أواخر أكتوبر سنة ١٩٢٩ وجه نداءه الذي أوضح فيه ما آلت إليه المفاوضات . وما أقدم عليه الطليان من العبث بالهدنة التي كانوا هم الطالبون لها ، والآن فعليهم وحدهم مسئولية استئناف القتال ، وفند جميع أقاويل وادعاءات الطليان ، وطلب من قومه كما كانوا ولا يزالون عليه بذل الدماء الزكية في سبيل الوصول إلى الغاية المنشودة وأردف يقول : « ليعلم إذن كل مجاهد أن غرض الحكومة الايطالية هو بث الفتنة والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك اتحادنا ليتم له الغلبة علينا ، واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة ولكن بحمد الله لم توفق إيطاليا إلى شيء من ذلك ، واستطرد يتحدث في ندائه للمجاهدين إلى أن قال : وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية ، أما مقاصد إيطاليا فإنها ترمي إلى القضاء على كل حركة تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسي وتقدمه فهيهات أن يصل الطليان إلى غرضهم مادامت لنا قلوب تنبض ، أنه في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال ، واستطرد عمر المختار يقول : لهذا نحن غير مسئولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هي عليه حتى يثوب أولئك الأفراد النزاعون إلى القضاء علينا إلى رشدهم ويسلكوا السبيل القويم ويستعملوا معنا الصراحة بعد المراوغة والخداع

قطع عمر المختار جميع العلاقات التي كانت موجودة في أضيق معانيها مع إيطاليا بواسطة الهدنة التي اتفق عليها أثناء المفاوضات وربما تنجلي هذه المفاوضات عن النتيجة المنتظرة أو المتوخاة ، وتتجلى هذه العلائق في

زيارة المجاهدين للأسواق لشراء وبيع ما يلزم بيعه وشراءه وفى تبادل الزيارات بين المجاهدين وبنى عمومتهم من القاعدين كل ذلك يقع فى منتهى الحذر والاحتراس .

هذا وقد حز فى نفس عمر المختار مايشعر به من الألم والحسرة لوجود شبه التوتر أوالنفور الذى أخذ يتسرب إلى نفوس مجموعة المجاهدين من تصرفات حاشية السيد الحسن وأصدقائها الحديثين أما فيما يتعلق بالسيد عمر نفسه فإن صورة من هذا الاستياء قد إستقرت فى نفسه انتقاداً للسياسة التى أخذ يسلكها السيد الحسن تحت تأثير رفاقه المخدوعين ، ورأى السيد عمر أن ينتقل بمعسكره من الموقع الأول ليكون بمعزل عن مخيم السيد الحسن وكانت قد وصلت إلى السيد عمر رسالة من سمو الأمير يطلب منه إرسال السيد الحسن إلى مصر ورآى أصحاب الرأى من المجاهدين ما ارتآه سمو الأمير فطلبوا من السيد عمر تنفيذ رغبة سموه التى تتمشى مع مصلحة المجاهدين العامة ومصلحة السيد الحسن الخاصة ولكن السيد عمر أجاب قائلا : إننى إذا ما عرضت ذلك على السيد الحسن فسيرفض متأثراً برأى الجماعة الذين أصيب بهم ، ويحصل من ذلك إتساع شقة الخلاف كما يريده الأعداء ، ونفسى لاتطاوعنى أن أقدم على إرغامه ولهذا فإننى لاأجد إلا الصبر . أن توجيهات سمو الأمير أعتبرها أوامر ، وأوامره يجب أن تطاع وأن تنفذ ، ولم أتعود مخالفته طول عمرى ، وإننى أعتبر مخالفة أمره معصية من المعاصى التى أتحاشى الوقوع فيها وأرجو أن يحفظنى الله منها إننى عندما استعرض جميع أعمالى فى هذه الحياة لا أذكر أننى خالفت إشارة من إشارات سيدى ومولاى وولى نعمتى وإمامى وأميرى السيد محمد إدريس ابن السيد المهدى بن السيد محمد بن على السنوسى وهذا ما اعتبره نعمة من نعم الله أحمده وأشكره عليها ولأقسم صادقا على ماذكرته من عدم المخالفة يجب أن أذكر حالة واحدة تخصنى شخصيا لا أقول إننى خالفت أمر مولاى

العدالة الفاشيستية ومدنية روما تتمثلان فى هذه المشنقة التى علق بها عدد من الليبيين

تمثل هذه المشنقة عدالة الفاشيست وما حملوه لليبيا من مدنية روما

ولكننى أقول التمست منه أن يسمح لى بالبقاء فى برقه فقد كتب لى مشيرا بأن أنيب عنى أحد الرفاق وأسافر إلى مصر وإلى الحجاز للحج وزيارة المدينة المنورة ، وأشار بذلك متمنيا لى أن أنال شيئاً من الراحة حفظا على صحتى ورعاية لسن الشيخوخة ، ولما تبين لى أن سموه لايريد من وراء ذلك إلا راحتى رأيت أن لا أقبل ولا أترك الميدان الذى وضعنى فيه إذ أننى لا أرى للراحة أية قيمة مادمت أبذلها فى سبيل الجهاد إبتغاء مرضاة وجه الله الكريم وأملا فى الحصول على رضاء سيدى رضى الله عنه ، هذه هى الحالة الأولى وأرجو الله أن لا يعتبرها سيدى مخالفة لأمره الذى أحرص على تنفيذه ولو كان ثمن ذلك هو رأسى . أما الحالة الثانية فهى هذه ، وإننى لاأسمح لنفسى وأنا على قيد الحياة بأن أجرح عاطفة السيد الحسن وهو فى الوقت نفسه ابن شقيق مولاى الأمير وحفيد سيدنا المهدى الذى هدانا الله به ، أما يكفيه مابه من جراح ، إن والده فى الأسر وآل بيته جميعا فى ديار المهجر ، إننى لا أسمح لنفسى بمحاولة ذلك فإذا مارضى أن يسافر إلى مصر فإننى أضع كل إمكانياتى تحت طلبه وإذا رفض فإننى لاأحرجه أو أحرج نفسى وأتركه لله وحده ولمبدأ جده الذى سنموت ونحن فى خدمته

هذا وقد بذل قادة المجاهدين ومن بينهم السيد عبد الحميد بك العبار جهدهم للتوفيق بين وجهات نظر السيد عمر المختار وهى التى أوضحها فى قوله المذكور وبين وجهات نظرهم التى كانت تميل إلى تنفيذ ما أمر به سمو الأمير إلا أنهم فشلوا لسبب واحد هو عدم رغبة السيد الحسن الذهاب إلى مصر

أمر السيد عمر المختار بأن يغادر المعسكر كل شخص جاء من المنتجعات الخاضعة لإيطاليا بغرض الزيارة حيث كان التزاور كما أسلفنا مباحا بصورة علنية أثناء المدة التى أوقف فيها القتال أملا فى الوصول إلى تفاهم شريف ،

كما أمر بأعادة جميع المتطوعين والجنود النظاميين الذين كانوا أيضا فى زيارة لأقاربهم خارج (الدور) وبمجرد عودتهم أمر بإنتقال المعسكر من موقعه هذا إلى موضع آخر وكان فى هذه الحالة يسير فى كوكبة من الفرسان ويتغنى بالأغنية البدوية التالية وكان الوجوم قد ساد الرفاق برهة من الوقت حتى إنطلق عمر المختار يقول :

أجواد راكبين الخيل عـــلى وطنا مانما ينو

ومعنى ذلك : إننا أبطال نمتطى صهوات الجياد ومهمتنا عدم التهاون فى حقوق وطننا

إنتهى الموقف بالسيد الحسن إلى ما إنتهى إليه وقبض عليه الطليان ونفوه إلى إيطاليا فبقى هناك أسيراً إلى أن توفاه الله غريبا عن موطنه وأهله وكان رحمه الله من أبطال الجهاد على صغر سنه ، وإلى هذا الحد أدى به إجتهاده المشوب بحسن النية ، وبسوء تصرف بعض رجال خاصته ومساعى سماسرة الاستعمار وعابدى الدرهم والدينار .

سفاح برقة

غرسيانى فى برقه ، فتح المتقلات ، احتلال الكفرة ، الأسلاك الشائكة

(١)

أسفرت المفاوضات التى إستمرت بين السيد عمر المختار وقادة المجاهدين من جهة ، وبينهم وبين الطليان من جهة أخرى على إستئناف القتال من جديد ، وطويت صفحات الهدنة المؤقتة التى إستمرت حوالى خمسة أشهر ، واشتدت المعارك العنيفة بين المجاهدين والطليان ، واضطر الأخيرون إلى تغيير عدد كبير من القادة العسكريين ببرقة وكان من بين المنقولين الجنرال سيشليانى نائب الحاكم العام ، والجنرال مينرتى القائد العام للقوات الايطالية ببرقة ، ورأت حكومة الفاشيست أن تعين الجنرال غرسيانى (المنافس الأول لمرشال إيطاليا بادوليو) نائباً للحاكم العام فى برقة ، وقائداً عاماً للقوات المسلحة ليتولى شخصيا عمليات القضاء على حركة المجاهدين بعد أن خولته الصلاحيات المطلقة بحيث لا يكون فى حاجة لمراجعة الحاكم العام ، وزودته بجميع طلباته من العدة والعدد ، فوصل إلى بنغازى فى شهر مارس ١٩٣٠ بواسطة طرادة حربية ، وتوسم فيه مستقبلوه حقدا وغضباً تملكا عليه جميع مشاعره (إن كانت له مشاعر) وتأهبت الدوائر الحكومية ببرقة فى شئ من الاضطراب والقلق والرهبة لتتلقى تعليماته الجديدة ، وكان معروفا لدى قومه بالعجرفة والطيش وبالجبروت الوهمى ؛ لذلك فقد كان خوف الايطاليين منه لايقل عن مخاوف الأهليين المسالمين الذين إستهدفوا لهذا الجنرال الأثيم سفاح برقة ، وكان

أول عمل قام به فى الدوائر المدنية هو إستبدال غالب الموظفين الإيطاليين بآخرين ممن يتمتعون بثقته عندما كان يعمل فى طرابلس ، كما جاء بقائد جديد للكرنبير (الضابطية) هو الكلونيل كاستريوتا ، وبالجنرال نازى ليكون مساعده الأول فى القيـــادة العسكرية ، واستعان بعصابة من المدنيين قد أخذوا ينفذون أغراضه الجنونية ، ويطبقون أفكاره الطائشة بكل الوسائل ومن هذه العصابة الكمندتور موريتى (السكرتير العام) الكمندتور أجيدى (متصرف لواء بنغازى) الكمندتور تونينتى (رئيس الحزب الفاشيستى فى بنغازى) ثم بدأ جولاته فى المناطق المحتلة ، وكانت السلطات تجمع لاستقباله جمع الأهالى بما فى ذلك النساء والأطفال والعجزة فيخطب فيهم متوعداً ومهدداً وكان يستهل خطاباته الجنونية بقوله (صموا أفواهكم وافتحوا آذانكم) ليلقى الرعب فى نفوس أولئك المساكين الذين لم يأتوا بذنب إلا إستسلامهم وخضوعهم لإيطاليا ، وكان قد ألقى كلمة تهديدية فى جموع حشدتها السلطات فى موقع (البريقة) إستهلها بقوله (ما أنتم إلا مثل سيجارة موقودة من الجانبين تلتهمها النار من هنا ومن هناك حتى تصبح رماداً وها هو ذا أنا أولع السيجارة من جانبى ويوقدها عمر المختار من جانبه حتى يؤتى عليكم) .

وقال فى خطاب ألقاه من شرفة قصره فى بنغازى(١) (تحت يدى وتصرفى باخرة تقف فى الميناء وبأقل إشارة منى تنقل كل من أرى من الصواب نقله إلى إيطاليا وهذا أخف مانعاقب به) وفى خطاب تهديدى آخر قال : (عندى لكم ثلاثة حالات ، الباخرة الموجودة فى الميناء، وأربعة

---

(١) شاء الله المنتقم الجبار أن يكون قصره مقراً للديوان الملكى الليبى وشاء العلى القدير أن تعهد به مكارم الإدريس ليكون مقراً للجامعة الليبية .

أمتار فوق الأرض — مشيراً إلى أعمدة المشنقة — ورصاص بنادق جندنا — مشيراً إلى القتل رمياً بالرصاص)

وهكذا أخذ الجنرال غرسيانى سفاح برقه يهدد ويتوعد ويرغى ويزبد ، وتحت يده خزائن حكومته لينفقها فى سبيل القضاء على عمر المختار وفى سبيل إفناء الشعب الأعزل ، وأخذ فى الإستعدادات كما لو كان يستعد لمجابهة حكومة تعادله عدداً وعتاداً ، ولم يكن يعلم غيبا أن تحضيراته هذه لم تفده وسوف لن يستطيع بها مجابهة الحلفاء فى برقه أثناء حرب مقبلة (الحرب العالمية الثانية) وأنه سيهزم ذليلا صاغراً يتلقفه الموت من كل مكان وما هو بميت ، وشاء الله تعالى أن يقوم غرسيانى بمثل التحضيرات التى استعد بها لمجابهة عمر المختار ، ولكن فى هذه المرة ليجابه المرشال ويفل ويمثل دور النعامة كاملا فيخفى رأسه بمغارة (كهف) فى شحات ويترك جيوشه ومعداته لجيش الحلفاء الذى لا يزيد فى عدده ومعداته عن ربع قوات غرسيانى ، وفى نفس الأرض التى أذل فيها غرسيانى الليبيين أذله الله ، ففر من شحات بشخصه وترك جنوده يلقون أمتعتهم وأسلحتهم للنساء والأطفال من العرب مقابل أن يتغاضى هؤلاء عنهم فيتركونهم يهيمون على وجوههم فى صحراء برقه

لقد بذل غرسيانى وحكومته من المجهودات الكبيرة للقضاء على عمر المختار بالصورة التى كلفت الخزانة الإيطالية فى سنة واحدة مالا يقل عن النفقات التى تتكبدها دولة عظيمة لمجابهة دولة تماثلها فى عدة سنوات

ولنستمع بهذه المناسبة إلى ماقاله السنيور فيتيتى وكيل وزارة الخارجية فى حديث له مع سماحة مفتى فلسطين الأكبر الأستاذ محمد أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ، وقد أورد سماحته هذا الحديث فى مذكراته التى أخذت تنشرها جريدة أخبار اليوم ، قال وكيل وزارة

الخارجية المذكور : حقا أن ماوقع فى ليبيا سبب لنا متاعب كثيرة ، فعندما كانت السياسة الإيطالية تتأثر فى الماضى كثيراً بالسياسة البريطانية قبل عهد الفاشيست خدعتنا إنجلترا وفرنسا فاستولت على أغنى وأغلى أقطار إفريقيا وأغرتانا باقتحام ليبيا عام ١٩١١ ؛ فلم نجد فيها رغم الجهود المضنية والخسائر الفادحة فى الأنفس والأموال غير الرصاص والرمال ، ولم نجن من ذلك إلا بغض العرب ومقت المسلمين انا » .

أخذ غرسيانى بأساليبه المشار إليها فى إرهاب العرب وأوجد المحاكم الوهمية للمحاكمات الصورية عن طريق محكمة طائرة تنتقل يومياً فى مختلف أرجاء البلاد لتنعقد بصورة سريعة ولتصدر أحكامها وتنفذ فى دقائق وبحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل أن تغادر الموقع الذى انعقدت فيه لتنعقد فى نفس اليوم بموقع آخر ومن نوع الإرهاب العملى أيضاً فتح أبواب السجن فى كل مدينة وبلدة وقرية ببرقه ، ومصادرة الأموال بدون مبرر ، كل ذلك يقع يومياً ولم يستطع سفاح برقه مجابهة عمر المختار ، ونصبت أعواد المشانق فى كل من العقيلة وجدابية وبنغازى وسلوق والمرج وشحات ودرنة وعين الغزالة وطبرق والبردية ، ولأتفه شبهة وأقل فرية يصدر حكم الإعدام وينفذ فى حينه شنقا أو رمياً بالرصاص تنكيلا بالليبيين ، ولم تميز إيطاليا والحالة هذه بين من كان إلى جانبها من أذنابها وبين من كان عليها من الوطنيين فعلى هؤلاء وأولئك انصبت نقمة غرسيانى ، وهكذا جاء تصرفه الأرعن كالسيل العرم أو النار الجامحة التى لم تأت على شىء إلا وتجعله رماداً تذروه الرياح ، ويجدر بنا أن نذكر عدداً قليلا من الشهداء الذين قتلوا شنقاً أو رمياً بالرصاص فى مدة لا تزيد عن شهرين من استلام غرسيانى مقاليد الحكم فى برقه : المشايخ بحيح الصبحى ، على بويس العريبى وابنه ، عبد ربه بوموصاخ ، خير الله هليل ، محمد يونس بوقادوم ، على حميد أبو ضفيره ، إثنان من قبيلة سعيط أشقاء حمد الرقيق ، وهؤلاء من منطقة

جدابية ، ثم محمد الحداد البنغازى وإبنه ، الحاج عبد السلام محبوب ، (من الإخوان السنوسيين) سليمان سعيد العرفى (المرج) إخوان بومريزه (شحات) خمسة عشرة شخص بينهم الشيخ سعيد الرفادى (عين الغزالة)

هذا العدد الضئيل من مجموعة الشهداء نذكره على سبيل المثل ، ثم جيء بجميع الإخوان السنوسيين من شيوخ الزوايا وأئمة مساجدها ومعلمى القرآن بها مع ذويهم جميعاً وكل من تربطه بأحد هؤلاء أية صلة ، وكذلك بمشايخ وأعيان القبائل، وبكل من يربطه أى نوع من أنواع الصلات بأحد المجاهدين أو المهاجرين لخارج ليبيا

جيء بهذه المجموعات يساقون إلى مراكز التعذيب ثم إلى السجون ولم يشفع فى أحدهم سن الشيخوخة الطاعنة أو الطفولة البريئة أو المرض المقعد أو الضرر الملازم ، ومن بين المعتقلات التى أنشئت حديثاً لهذا الغرض : (بنينة والرجمة ، وبرج شويليك) هذه هى إحدى عمليات الإرهاب التى تفتق عنها ذهن سفاح برقه الأثيم ، وقد اقترنت بعمليات أخرى تجاوزتها شناعة وقسوة .

(٢)

أمر غرسيانى بتخصيص مواقع العقيلة والبريقة من صحراء غرب برقه البيضاء ، والمقرون وسلوق من أواسط برقه الحمراء لتكون مواقع الاعتقال والنفى والتشريد والتعذيب لجميع سكان منطقتى الجبل الأخضر والبطنان بصورة جماعية ، وبغير سكان هذين المنطقتين ممن تحوم حولهم أية شبهة أو تلفق ضدهم أقل فرية ، وأمر بنقل قبائل المنطقتين المذكورتين إلى هذه المعتقلات الخاصة بهم ثمانين ألفا ، وما هى فى الحقيقة إلا مقابر يدفن فيها الأحياء وأداً تخصص معتقل العقيلة والبريقة لقبائل العبيدات والمنفا ، والقطعان والشواعر والمسامير ومن تضمه هذه المجموعات بحكم الجوار أو الولاء أو التبعية ،

وكذلك لبعض عائلات الإخوان السنوسيين مما فى ذلك سكان الجغبوب ، وأيضاً لبعض من سكان مدينتى بنغازى ودرنه ، وأسند حكم هذين المعتقلين لمثلى الوحشية والظلم الضابطين كسونى وباريلا (غير باريلا متصرف المرج) وخصص معتقلا المقرون وسلوق لكل من قبائل البراعصة والدرسا والعرفا والعبيد وأتباعهم وشطر كبير من عائلات الإخوان السنوسيين الذين سبق أن أبعد غرسيانى رجالاتهم إلى إيطاليا أو فرقهم بين السجون المختلفة ، جيء بهذه القبائل التى بلغ تعدادها الثمانين ألف نسمة يساقون زمراً إلى المعتقلات المذكورة فمنهم من جاءها عن طريق البحر حيث حشروا بالمراكب حشراً ، ومنهم من جاءها عن طريق البر بعد أن أتت إيطاليا على جميع المنقولات حرقاً بالنار كما أحرقت الزراعة ومحصولاتها ، وبعد أن أهلكت الحيوانات فيما عدا ما استعملته للنقل ، وقد أحيط القسم المساق عن طريق البر بجنود من الصوماليين والإرتريين ليتعقبوا كل من يتخلف من المساقين إلى حتفهم ، ولو كان سبب التخلف هو قضاء الحاجة البشرية فيرمى بالرصاص وكان الرامى غير مسئول عن عمله هذا . وهكذا أصبحت جميع مناطق الجبل والبطنان يبابا تلعب فيه الرياح ، وتعبث به جنود غرسيانى ذهاباً وجيئة ، ولكنها لا تقوى على الخروج من تلك المناطق إلى الأراضى البرية التى تكشفهم لجنود عمر المختار ، وخلت الديار إلا من جبهتين هما جبهة المجاهدين وجبهة الأعداء ولم تفتأ هاتان الجبهتان تتشابكان فى معارك طاحنة والسبب فى وقوعها هم المجاهدون الذين أخذوا يشنون الغارة تلو الأخرى على حصون ومعاقل الطليان وعلى نقاط الارتكاز الأمامية ، أما الطليان أنفسهم فقد كانوا — فى هذه الفترة — يتحاشون اللقاء مع عمر المختار وجها لوجه ، مكتفين بشن الغارات الجوية التى لم ينقطع سيلها لقذف المجاهدين بمتفجراتها تمهيداً لخطوة أخرى قد تكون الحاسمة فى نظر سفاح برقه ، وهذه الخطوة التى أخذ يمهد لها منذ توليته القيادة فى برقه لم يستطع الإقدام عليها قبل

القضاء على الأهالى ، أو على الأقل بما يشبه القضاء فيطمئن على أن ليس هناك أية مساعدة أو أخبار تصل إلى عمر المختار .

(٣)

عمد الجنرال غرسيانى بعد وثوقه من أن جميع الأهالى الذين لم يلقوا حتفهم قد أحيطوا بأسلاك شائكة داخل المعتقلات التى يحرسها عدد كبير من الجنود والضباط الوحشيين ، عمد إلى احتلال واحة الكفرة فى الوقت الذى أخذ فيه يستعد لمد الأسلاك الشائكة على طول الطريق من البحر الأبيض المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ليفصل بذلك برقه عن مصر فصلا نهائياً ، كى لا يستفيد المجاهدون من أسواق مصر ، وكى تنقطع علاقاتهم بالأمير السيد إدريس السنوسى وجمع الجموع الضخمة — لاحتلال الكفرة — من مختلف وحدات الجيش الإيطالى والجيوش الملونة من المرتزقة ومن المعدات الحربية ، وكانت مواقع الاحتشاد هى العقيلة ومرادة وجدابية وجالوا كما حشدت إيطاليا عدداً كبيراً من الإبل استعداداً لنقل المؤن إلى جانب سيارات النقل الكثيرة ، هذا ما كان عن استعداد القيادة الإيطالية ببرقه ، أما عن القيادة الإيطالية بطرابلس فقد جهزت هى الأخرى حملة مماثلة بقيادة الكلونيل قلينا (قتل هذا القائد فى معركة سيدى برانى سنة ١٩٤١ وهو برتبة جنرال) وكانت نقطة الارتكاز لهذه الحملة هى واحة زلة ، وبعد أن تمت جميع التحضيرات الكافية للقضاء على أكبر قوة فى أضخم ميدان عرفه تاريخ الصراع والحروب بعد أن تمت هذه التحضيرات تحركت الحملة من جدابية بقيادة الكلونيل ماليتى (الجنرال فيما بعد والذى قتل بمعركة سيدى برانى وهو الإيطالى الوحيد الذى عرف بالشجاعة) أما القيادة العامة للحملة الموحدة فقد كانت تتمثل فى شخص الجنرال رونكيتى تحت إشراف

الجنرال غرسياني مباشرة وتحركت الجيوش الإيطالية من طرابلس وبرقه في وقت واحد وبنظام موحد تسلك طريق الصحراء إلى الكفرة ، وتجمعت يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٤٩ هـ بموقع الهوارى ، وهناك إشتبكت مع الوطنيين فى أولى المعارك ولكنها كانت معركة غير متكافئة ، وقد إشترك قسم من الطائرات الإيطالية مكون من عشرين طيارة ، واستمرت المعركة ثلاثة ساعات قتل أثناؤها العدد الكثير من الايطاليين ومن المدافعين أيضاً الذين ماكانوا يفكرون فى صد العدوان طويلا ولكنهم كانوا يحاولون إيقافه بعض الوقت ريثما يتمكن من تكن عنده المقدرة على الفرار ليأخذ طريقه إلى السودان أو إلى مصر ، وقد إشترك فى المعركة كل من : صالح باشا الأطيوش وعبد الجليل بك سيف النصر الذين وصلا إلى الكفرة قبل الهجوم الايطالى بأيام ، وقد طاردت الطائرات الايطالية جموع المنسحبين من العرب إلى ما يبعد عن الكفرة بمسافة مائتى كيلو مترا فألحقت بهم وبجمالهم التى تنقلهم أضراراً جسيمة، وتم إحتلال واحة الكفرة وملحقاتها فعاث فيها الايطاليون فساداً لم يعرفه تاريخ العصور المظلمة ، وعبثوا بالزوايا السنوسية (التاج والجوف وغيرهما) وحرقوا المكتبات وهتكوا الحرمات ، ومثلوا بالعجزة والشيوخ والأطفال والنساء واستباحوا البلاد مدة سبعة أيام ليفعل فيها الجندى الايطالى ماتسوغه له نفسه ، ونصبوا المشانق ، وكان من بين القتلى شنقاً السادة : محمد بوعمر الفضيل (شقيق البطل المعروف الفضيل بو عمر) وابن عمه حميده الفضيل ، ومحمد الفضيل الديفار الزوى وجميع هؤلاء من الطاعنين فى السن ، وهكذا فقد كانت مأساة إحتلال الكفرة ، من أعظم المآسى التى مثلتها الوحشية على الصورة التى يذكرها لنا فى خجل تاريخ العصور الوسطى أو تاريخ شريعة الغاب وفيما يلى نورد ما ذكره الشارف باشا الغريانى الذى رافق الحملة قال :

عندما دخل الطليان إلى الكفرة طلبت أن أنزل ببيت السيد محمد صالح

منظر آخر للعدالة الفاشيستية وحضارة روما فى ليبيا

عدالة الفاشيست ومدنية روما تتمثل فى هذا المنظر الذى وقف فيه مرشال الكربتير جودشى ليجهز بمدسه على هذا العدد من المجاهدين بعد رميهم بالرصاص (جدابيه ١٩٣٠)

اليسكرى بقصد حمايته من التعدى ، وكان الجنود قد نهبوا جميع ما فى بيته قبل أن أصل إليه ، وطلبت من قائد الحلة الكلونيل مالينى أن يضع حارساً على البيت الذى أنزل فيه فأمر بذلك ، وذات مرة وأنا أتناول طعام الغداء مع السيد محمد صالح سمعت طرقا بالباب وخرج ليستطلع الأمر وطال إنتظارى وعاد بدون جلبابه الذى كان يرتديه ، وسألته عن سبب تأخيره وأين جلبابه ؟ فقال إن الطارقين كانوا من العساكر ، وقد قبضوا على وأدخلونى مكاناً منزويا لتفتيشى وأخذوا ردائى وساعة كانت فى جيبى وحذائى وتركونى هكذا فغضبت لذلك ، وخرجت فوراً لأقابل الكلونيل مالينى وقد سألت الحـــارس عن العساكر الذين دخلوا ولماذا تركهم يدخلون ؟ فأجابنى : بأنهم ما كانوا من الوحدة التى أنتسب إليها حتى أمنعهم ، وما كنت أعرفهم وأنى غير مسؤل عنهم ولا عن أى عمل يأتون به وقد أباح لهم القانون ما يريدون ، فذهبت إلى الكلونيل ووجدته على مائدة الأكل فاستغرب مجيئى فى هـذه اللحظة ، ولما فاتحته بالموضوع بواسطة الترجمان أجابنى بقوله لا تزال بأيدى العساكر ثلاثة أيام يعملون فيها ما يشاءون .

هذا وبعد الاحتلال مباشرة وصل إلى الكفرة كل من الجنرال ديبونو (وزير المستعمرات وقد قتله موسلينى أثنـــاء الحرب العالمية الثانية) وليسونا (وكيل وزارة المستعمرات) والمرشال بادوليو (حاكم ليبيا العام) والجنرال سيشلياني قائد عام القوات المسلحة فى طرابلس) .

عندما بدأت القوات الايطالية زحفها صوب الكفرة كان الجنرال غرسيانى يشرف شخصياً على جميع التحركات العسكرية فكان يستقل طائرة من بنغازى صباح كل يوم ليتصل بقواته ويعود للمبيت فى بنغازى ، ومن بين كبار الضباط الذين إشتركوا فى حملة الاحتلال هذه : الدوكادى لابوليا

(الدوكاداوست الذى عين فيما بعد نائبا لملك إيطاليا فى الحبشة ووقع أثناء الحرب العالمية الثانية فى الأسر الانجليزى) ثم الجنرال زوبيكيتى ، فالكلونيل روبيرتولورى فالماجور جوزيبى بوسيلى ، فالماجور أركوكامبينى فالماجور نيكولاردى فالماجور أورلاندو روسينى ، فالماجور روللى ، وهؤلاء من مشاهير ضباط الحملة ، عدا ضباط الحملة التى قامت من طرابلس بقيادة الكلونيل قالينا ، ومما يؤلم ويدمى الفؤاد هو عبث الجنود الايطاليين بالمكتبة السنوسية التى كانت وأيم الحق ثروة دونها جميع الثروات ، فعبثت بها أيدى الجنود وأخذت تبددها ذات اليمين وذات الشمال وتقد بها النيران للطهى ، وأخيراً صدرت الأوامر بجمع ما تبقى منها ونقله إلى بنغازى فنقلته أربعون سيارة شحن كبيرة وعدد كبير من الابل ، ولم تنج هذه المكتبة بعد وصولها إلى بنغازى من العبث فقد تسرب الكثير منها إلى أيدى الأفراد ، ونقل قسم كبير منه إلى إيطاليا ، وهكذا وصلت يد الفساد الايطالية إلى كل شىء فى ليبيا

(٤)

عندما تم اعتقال جميع أهالى برقه وحصرهم ، وتم احتلال واحة الكفرة . لم يعد إذن أمام سفاح برقه إلا شىء واحد هو إتمام وضعية مد الأسلاك الشائكة التى ستفصل بين برقه ومصر فصلا نهائياً ، فأخذ فى سرعة تتميمها مجنداً لذلك كل ما لديه من إمكانيات ، وكان قد استدعى شركات المقاولات الخاصة من إيطاليا فتعهدت كل شركة منها بإتمام الجزء المخصص لها تحت إشراف القيادة العسكرية التى وضعت مهندسيها تحت تصرف هذه الشركات وقد استوردت الحكومة الإيطالية معدات خاصة من ألمانيا فضلا عما جاءت به من إيطاليا لهذا الغرض المطلوب ، ووضعت تحت تصرف هذه الشركات عشرات الآلاف من العمال الذين جندتهم من المعتقلات

تلهب ظهورهم السياط ، وهكذا امتد خط الأسلاك الشائكة من البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب فكان طوله حوالى الثلاثمائة كيلو متر ، ثم وضع غرسيانى نقاط عسكرية مزودة بجميع المعدات الحربيـــة ؛ وربط بعضها ببعض من حيث الاتصال فيما إذا احتاجت نقطة منها لمساعدة الأخرى تهب بسرعة ، ومن ضمن هذه النقاط العسكرية نذكر : مساعد والشقة وبئر الغبى ، وقبر صالح ، وسيدى عمر ، وبئر حكيم ، ثم زوّد غرسيانى هذا السياج المحكم بمولدات كهربائية ، لمده بالنور حتى لا يستطاع الافلات منه مهما تكن الأحوال ، وإذا ما قدر لأى إنسان أن يصل إليه فسيواجه معركتين عسيرتين لا سبيل لافلاته من إحداهما إذا ما تيسر له الافلات من الأخرى ، وتتمثل المعركتان فى محاولة تقطيع الأسلاك ، وفى الدفاع عن النفس ، وتقطيع الأسلاك يحتاج إلى معدات فنية وإلى وقت من الزمن فكيف إذن لمن يتمكن من الوصول إلى هذا السياج إجراء عملية التقطيع وعملية الدفاع فى آن واحد

وفعلا فإنه لم يتمكن من اجتيازه إلا عدد قليل كتبت له السلامة بفعل المعجزات ، ومن بين هذا العدد القليل السيد عبد الحميد العبار ، وكان قد قاتل عند اجتيازه قتال الأبطال وتمكن من الخلاص بعد جهد جهيد ، وكان أيضاً السيد يوسف بورحيل حاول نفس المحاولة ولكنه لم يتمكن فعاد إلى موقع قريب منه ، وكانت قوة إيطاليا تتعقبه فحاصرته وقاتل إلى أن نفذت آخر رصاصة معه فقتل هو ورفاقه .

كانت هذه الخطة الجهنمية عاملا قوياً من العوامل التى قضت على حركة المجاهدين ، وإلا فما كان لغيرها من العمليات الأخرى التمكن من القضاء عليهم بهذه السرعة إذا استثنينا بطش المجاعة ، وعلاج بطشها كان ميسوراً بعض الشىء بوسيلتين : إحداهما هى زحف العدو عليهم فى الغالب كانوا يغنمون أقواته

فيسدون بهـا الرمق ، أما الوسيلة الثانية فهى هجوم المجاهدين أنفسهم على أية نقطة أمامية للطليان ، أو أية قافلة من قوافلهم التموينية فى تحركاتها من مركز لآخر ، وفى الغالب يتمكن المجاهدون من بعض المغانم يكتفون بها مؤقتاً ريثما تصلهم الميرة من أسواق مصر حيث يبيعون هناك سلعتهم ويبتاعون حاجياتهم ، وهكذا فبالرغم من الفصل النهائى الذى أوجده غرسيانى للقطع بين المجاهدين وبين المنتجعات التى أبعـدت عن المنطقـة وحوصرت داخل معتقلات محصنة ، بالرغم من هذا ما كان المجاهدون يقاسون أتعاباً شاقة من جهة المؤن كتلك التى أصبحوا يقاسون شدة وطأتهـا عندما تم وضع السياج الكهربائى فأصبح هو وحده الضربة القاضية .وعندما أصبح الحاجز المذكور محكما وضمنت إيطاليا النتيجة التى ستترتب على وضعه بدأت القوات الإيطالية المكونة من مختلف الوحدات التى كان منها — عدا أبناء إيطاليا نفسها — الصوماليون والاريتريون والمجندون من بعض الليبيين ، بدأت هذه القوات التى تعززها المصفحات والطائرات والمدفعية تهاجم المجاهدين هجوماً متواصلا وبدون انقطاع ، فما كان القتال يتوقف ساعة من يوم إلا ليبدأ مرة أخرى وقد أورد الجنرال غرسيانى فى كتابه أنه التقى مع عمر المختار فى مائتين وستين معركة داخل الثمانية عشر شهراً من ابتداء حكمه فى برقه إلى أن وقع عمر المختار أسيراً وقد ثبت المجاهدون فى حالتى الدفاع والهجوم (لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون)

كان المجاهدون يقضون جل أوقاتهم فى الميدان لا يتخلون عنه ولا يغادر الفرسان منهم ظهور الخيل

كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربى من شدة الحَزْم لامن شدة الحُزُم

وكثيراً ماتكون أقواتهم من حشائش الأرض ولسان حالهم يقول نأكل لنعيش كى نواصل قتال الأعداء ولا نعيش لنأكل فيأكلنا العدو ،

وحار سفاح برقة فى لغز هؤلاء الناس وفى السر العجيب الذى يكتنف عدوه عمر المختار الذى لم تؤثر فيه جميع هـــذه الإحتياطات التى إتخذها غرسيانى وكان يثق فى فائدتها ولـكنه رغم ذلك أصبح هدفا لليأس واستسلم للقنوط وأصبح كل أمله فى موت عمر المختار الطبيعى قائلا لـكبار مرؤسيه فى أكثر من مناسبة « إن عمر المختار شيخ كبير ولابد من موته عاجلا أوآجلا فعلينا أن ننتظر تلك الساعة ولعلها لاتـكون بعيدة » وفكر غرسيانى ذات مرة تفكيراً غريباً وإن كان لايستغرب على تفكيره أى شىء ، فكر فى إحراق جميع غابات الجبل الأخضر ، ودرس هذا الموضوع جدياً مع مستشاريه السياسيين والعسكريين وتسرب هذا التفكير عن طريق أحد الأطباء العسكريين بالطريقة التالية كما حدث بها السيد صالح بك المهدوى (أحد الزعماء البنغازيين) قال :

كنت أعالج عند طبيب عسكرى تربطه صلة شخصية بالجنرال غرسيانى ، وذكر الطبيب مسألة حرق الغابات عندما كنت أزوره فى منزله فتألمت لهذا التصرف الشاذ الذى لايستغرب على عقلية عسكرية طائشة ، وتـكلمت مع الطبيب فى الموضوع بصورة قصدت منها أن ينقلها الطبيب إلى غرسيانى ، وبعد يومين من ذلك إستدعانى غرسيانى بواسطة مركز الـكرنبير (الضابطية) وعندما دخلت عليه إستبقانى واقفاً بعض الدقائق دون أن يلتفت إلى لأنه كان يتظاهر بعمل مافى أوراق بين يديه ، ثم إستدعى الترجمان وهو البروفسور المستشرق يانوتا وانتقل من مكتبه إلى مكان آخر صففت به بعض الـكراسى وأمرنى بالجلوس وبدأ يتكلم فى عمر المختار محملا مسؤلية ذلك إلى جميع أهل البلاد ، وقال عنهم لو أنهم صدقوا معنا لما إستمر عمر المختار فى موقفه اليائس يقاتل جنودنا ، ثم إنتقل فجأة ليتحدث عن الموضوع وقال : إن الحكومة الإيطالية يهمها أن تنهض بهذه البلاد وإن عمر المختار

وقف عقبة فى سبيل النهوض ، وحاولت الحكومة أكثر من مرة أن تنصحه للاقلاع عن محاربتنا ولكنه رفض الانصياع إلى نصائح الحكومة معتمداً على إختفائه فى مغارات الجبل وغاباته ولقد صممت أن أزيل هذه الغابة التى يحتمى وراءها ساخراً بقوة الحكومة ، وسكت الجنرال قليلا ، ثم طلب أن أشاركه البحث فى هذا الموضوع فأجبته بقولى

إنّ عمر المختار سينتهى بلا شك فقاطعنى عند كلمتى هذه بقوله (إكُّو. إكُّو.. كويستا لفيريتا ... يانوتا ياتوتا ... سينتا ... سينتا سينتا... ديرى ... ديرى ... أوانتى ... أوانتى ...) ومعنى هـــذه الكلمات الإيطالية هو : هكذا .. هكذا .. هذه هى الحقيقة (... إسمع يايانوتا (الترجمان) إسمع ... إسمع ... قل ... قل... استمر... استمر) أنكم يادولة الوالى إتخذتم بحزم جميع الاحتياطات التى من شأنها القضاء عليه ، والمسألة مسألة وقت لا أقل ولا أكثر وهنا تحمس الجنرال لكلماتى هذه كأنها صادفت هوى فى نفسه ، أو كأننى قلت شيئاً كان يريد أن يسمعه .

وقلت له مواصلا الحديث : إن الدولة الايطالية فى حاجة لاستثمار كل شجرة فى هذه البلاد ، وسوف يكون فضل هذا الاستثمار المنتظر على أيديكم فإذا ما أقدمتم على حرق الغابات والكلمة الأخيرة لدولتكم فسوف يمر زمن طويل وطويل جداً دون إعادتها من جديد لما كانت عليه ، هذا إذا لم يكن إعادتها مستحيلا ، وإليكم يادولة الوالى نذكر مسألة لها وجه الشبه برأيكم هذا . فى عهد الدولة العثمانية قامت قبيلة البراعصة بعصيان ضد الحكومة وتعذر على الحكومة إنهاء العصيان ، واعتبرت أن غابات الجبل الأخضر كانت أكبر مشجع للقبائل على العصيان فتتخذ منه مخابىء لايقوى الجنود العثمانيون على إكتشافها . فأرادت الحكومة أن تقوم بحرق جميع الغابات وسمع السلطان بذلك فاعترض على هذه الفكرة قائلا : إذا كان الموجب

سفاح برقه الجنرال غرسياني في إحدى زياراته لموقع المقرون ١٩٣١ م

لعصيان الأهالى هو تمنعهم عن دفع العشور والعوائد الحكومية فإننى أدفعها عنهم من جيبى الخاص حماية للغابات فى الجبل الأخضر ولا أوافق على حرقها . وعندما إنتهيت من الحديث معه ودعنى شاكراً ،

رويت هذه الواقعة عن السيد سالم الوحيشى أحد الأعيان الموثوق بهم كما رواها ودونها بالحرف الواحد عن صاحبها صالح بك المهدوى ، وقال السيد الوحيشى سألت صالح بك المهدوى عما إذا كان صحيحاً أن الحكومة العثمانية فكرت فى إحراق الجبل فأجابنى بقوله : إن المسألة التى ضربت بها المثل للجنرال غرسيانى كان لها أثر فى عهد قديم والحديث عنها يطول ؛ والطليان لا يريدون ذكرها من وجهة سياسية محضة وعلى كل حال كنت أرمى بذكرها للجنرال غرسيانى إلى حماية جبلنا من عبث هذا المجنون الذى وضعوا فى يده سيفاً حاداً

فلننظر لما كان يعانيه سفاح برقة الأثيم صاحب القوات الكبيرة فى البر والبحر والجو ، وصاحب السلطان الغاشم المستبد فى برقة ، وصاحب الخزائن المرصوفة أموالا تحت يده ، وصاحب السجون والمعتقلات والمشانق كيف يستبد به الضعف ويسيطر عليه العجز أمام عمر المختار حتى يدفعه ذلك إلى التفكير فى حرق الغابات بعد أن تمكن من حرق الأكباد والأفئدة والأجسام . لقد وقع غرسيانى تحت تأثير عصبى كبير من جراء ما أصابه من الفشل الذريع ولذلك فقد أخذ أجازة وذهب إلى إيطاليا قبل أن يقع عمر المختار فى الأسر بدعوى الاستجمام بعض الوقت ، وليعرض ما أصابه من الانهيار العصبى على الأطباء ؛ وقد أكد المتصلون به يومذاك أنه كان فى طريق الاستقالة أو الاقالة لو لم يسعفه القدر بوقوع عمر المختار فى الأسر .

الأسد الأسير

عمر المختار يقع أسيراً ، أعصاب سفاح برقه تنهار ، عمر المختار يرد على سفاح برقه ، محاكمة عمر المختار ، تنفيذ حكم الإعدام ، نياب بالية ونفس كبيرة

(١)

كان السيد عمر المختار يقوم بين الفينة والأخرى بجولات استطلاعية على مراكز العدو ، وتفتيشية بالنسبة للأدوار ، وكان من عادته أن يصحب معه عدداً من المجاهدين ، وتستغرق عادة جولته بضعة أيام يكون أثناءها متصلا بمقر قيادته (دور البراغيث) ، ومن بين هذه الجولات التى تعودها كانت هذه الجولة التى قام بها فى الأسبوع الأول من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٥٠ هـ وكان مصحوباً بكوكبة من الفرسان واستغرقت هذه الجولة عدة أيام ، وكان قيام السيد عمر بها هو الاستجابة لرغبة قادة المجاهدين وفى مقدمتهم السيدان يوسف بورحيل وعبد الحميد العبار ، والغرض منها هو إبعاد السيد عمر المختار عن ميدان القتـــال حيث أصبح الدور هدفا للهجمات الإيطالية بصورة متواصلة ليلا ونهاراً ، ولذلك رأى قادة المجاهدين أن يطلبوا من قائدهم السيد عمر المختار القيـام بجولة كجولاته المعتادة ، وكان اتفاقهم السرى هو ما أشرنا إليه من غرض إبعاده عن القتال المتواصل ، فلو أنهم أوضحوا له حقيقة ما يرمون إليه لرفض ولثار عليهم بشدة ، إنه ألف ميدان القتال ولازمه ملازمة الظل للجسد منذ عام ١٩١١ ، ولذلك أسروا الاتفاق فى نفوسهم فجاء طلبهم مقبولا ، وما ذلك إلا شفقة بشيخوخته التى لم يرفق بها ، وبصحته التى تأثرت كثيرا من جراء المتاعب

المتلاحقة ، وزيادة منه فى الحرص على المصلحة خضع للاقتراح الذى رآه مساهمة فعالة ولها أثرها البالغ ما دامت جولته المقترحة لها أهميتها من حيث الاستطلاع والاتصال بالأدوار الأخرى . وحددوا له المواقع الذى يجب الرباط عليها خوفا من أن يفاجؤهم العدو منها ، بينما كانت هذه المواقع التى وقع عليها اختيارهم فى مأمن من العدو (حسب الظن)

قبل عمر المختار هذه المهمة وأخذها على عاتقه ، وقد اختاروا نخبة من الفرسان ليصحبوه إلا أنه أنقص العدد المقرر واكتفى ببعض الفرسان تحت رئاسة الضابط البنغازى الشجاع بن قويرش ، ووصلت الأخبار إلى الطليان بأن السيد عمر المختار غادر المعسكر إلى جهة ما داخل المنطقة ، وعهد الطليان إلى شخص من خدمتهم الجواسيس الخونة بتتبع أخبار عمر المختار وتحديد المنطقة التى يتجول فيها ، واصطحب هذا الجاسوس ستة أشخاص ممن هم على شاكلته ،وكانوا جميعا خبراء بمسالك المنطقةوأوعارها ، ووصل هؤلاء إلى نفس المنطقة التى تضم عمر المختار وهى خالية من كل إنسان وفى إحدى الأمسيات شاهد الجواسيس كوكبة من الخيالة تأكدوا أنها من المجاهدين ولكنهم لم يستطيعوا الظهور خوفا من اكتشاف أمرهم إلا أنهم استطاعوا تحـــديد الطريق الذى ستمر منه السرية فاختفوا حتى أرخى الليل سدوله وخفوا إلى محل معين اعتقاداً بأن هذه السرية ستمر به حسب تخمين خبراء الطرق ، وما أن لاح الفجرحتى أخذ الجواسيس مكانهم الذى أرادوه ، وقبل شروق الشمس سمعوا صهيل الخيل ثم صوت وطىء حوافرها على الحجر ،فأمعنوا فى الاختفاء والإنصات ومرت السرية بالقرب منهم وهم مختفون واكتشفوا من وراء الأشجار التى أخفتهم سرية المجاهدين وتمكنوا من إحصاء عددها ، واستمعوا جيداً إلى الكلام الذى كان يدور بين الفرسان ، وتحققوا من وجود السيد عمرالمختار بين الفرسان وعرفوا الاتجاه والطريق الذى يسلكه السيد عمر المختار والمدة التى سيقضيها خارج الدور .

وهكذا فقد تحقق الخونة من كل شيء ، وما كادت السرية تبتعد عنهم حتى قام أحدهم مسرعا بهذه الأخبار إلى أقرب نقطة إيطالية ، أما بقية الجواسيس فقد أخذت تتبع عمر المختار فى حيطة وحذر، وأسرعت إيطاليا بإرسال قوات عديدة لمحاصرة جميع المنطقة وللإستيلاء على جميع المنافذ ، وفى الصباح التالى (من استراق السمع) قام عمر المختار بزيارة لضريح الصحابى الجليل رويفع بن ثابت (البيضاء) ثم أخذ طريقه إلى الدور ماراً بالمنعرجات الصعبة فى وادى (الجريب) ولم يشعر إلا وقد أحيط بجيش العدو من كل جانب ، وعرف أن جميع المسالك التى يمكن اجتيازها بصعوبة أصبحت فى أيدى الأعداء ، وحاولت سرية عمر المختار الخروج من هذا المأزق بقوة السلاح . ولكنها أخفقت والمثل الشعبى يقول (إذا جاء الأجل تغيب الدبارة) لم يتمكن السيد عمر المختار ورفاقه من شق طريقهم فى تلك الأرض الجبلية الصعبة ، وقد اشتد ضغط الأعداء وحصارهم ، ثم إنه لم يجد مسلكا للعودة من حيث جاء ، وقرر منازلة الأعداء وجهاً لوجه فأما أن يشق طريقاً يمكنه من النجاة أو يلقى ربه شهيداً فى الميدان الذى ألف فيه مصارعة الأعداء وجهاً لوجه وفى الغالب كان ينتصر ، واشتبك مع العدو تاركا للقدر أن يتصرف فى الموقف وحده وقد الأمر من قبل ومن بعد

التحمت المعركة داخل الوادى الوعر الذى أصبحت جميع مسالكه فى أيدى الأعداء ، وأحيط السيد عمر بالجنود الإيطالية من كل جانب ؛ ولكنه استمات — كعادته فى القتال دون أن ينظر إلى النتيجة ، وكان يعلم مقدما إنها لم تكن فى جانبه هذه المرة إلا إذا كان للعمر بقية وإلا فانه يبتسم للموت شهيداً كما كان يبتسم للصراع من أجل الحق سعيداً ، وحصد رصاص المجاهدين عدداً كبيراً من الأعداء كما اشتشهد عدد من رفاق عمر المختار أثناء هذه المعركة غير المتكافئة ، واستطاعوا

أن يشقوا طريقهم بالقوة وتحت وابل من رصاص الأعداء المنهمر ، وتهيأ المجاهدون للخروج من المأزق لولا أن وقع الحادث المؤلم ، حادث إصابة السيد عمر المختار بجراح فى يده ، كما أصيب فى نفس الوقت فرسه بضربة قاتلة فوقع الفرس ، ومن سوء الصدفة حصلت يده السليمة تحت الفرس فلم يتمكن من سحبها ، ولم تسعفه يده الجريحة ، وهكذا أصبح مقصوص الجناحين ، يد مصابة وأخرى لا تستطيع الحراك لأن الفرس وقع عليها وذلك بالأضافة إلى آثار الشيخوخة ، والضعف الذى اعترى جسمه من تتابع المتاعب عدا صدمة الوقوع فوق الأرض الحجرية الصلبة مشتبكا بجواده ، وكأنى بلسان حاله يقول :

(أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى
وكم من صدى صوتى ليوث الشرى فروا)
(وما أحد فى الحرب يجهل سطوتى ولا
فرسى مهـــر ولا ربه غمـــر)
(ولكن إذا حم القضاء على أمرىء
يكون ولا يغنى من القدر الحذر)
(ومن رام من أمر الإله وقاية
فليس له بر يقيه ولا بحـــر)

والتفت البطل بن قويرش فرأى الموقف المحزن وصاح فى رفاقه الذين ابتدءوا يشقون الطريق للخروج قائلا : (الحاجة التى تنفع عقبت أى تخلفت) . فعادوا يدافعون عن السيد عمر ولكن رصاص الأعداء حصد أغلبهم وكان ابن قويرش أول من صرع وهو يحاول إنقاذ عمر المختار ، وانقض كلاب السوء الطلقاء على الأسد الجريح دون أن يعرفوا شخصيته فى البداية ، وتم القبض عليه وبعد قليل تعرف عليه أحد الخونة ، واستبعد القائد الإيطالى

أن يكون الأسير هو عمر المختار ، وأجابه عمر المختار معرفا بشخصيته وسرعان ما أستدعى الكمندتور داوديا تشى متصرف درنة ليتعرف على الأسير وبمثل السرعة نقل السيد عمر المختار إلى ميناء سوسه محاطاً بعدد كبير من الضباط والجنود الإيطاليين ، كما أخذت جميع الإحتياطات لحراسة جميع الطرق والمواقع القريبة لتأمين وصول عمر المختار إلى سوسه ثم نقل فوراً إلى بنغازى عن طريق البحر .

(٢)

عندما وقع عمر المختار فى الأسر يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٣١ كان الجنرال غرسيانى عند الحدود الفرنسية الإيطالية متجها صوب باريس لقضاء أجازة استجمامية محاولا بها تهدئة أعصابه التى هدها فشله فى القضاء على عمر المختار وأصبح إنهيارها غير خاف ، ثم إنه كان قد استهدف لحملة من الأنتقادات المرة التى وجهها إليه عدد من الساسة والعسكريين من بنى قومه ، وحاول غرسيانى أن يخفف وطأة هذه الحملة الأنتقادية فنشر بقلمه الوقح بعض المقالات التهورية وقد ألبسها ثوب السباب الذى تترفع عنه السوقة والرعاع ؛ وأخذ يكيل السب الذى لا يصدر إلا عنه للسنوسية ولأهل برقه فصبّ عليهم جام غضبه بصورة أثارت المستشرق الإيطالى البروفسور نيللينو (عضو المجمع اللغوى) الذى رآى أن هذيان غرسيانى سيثير العالم الإسلامى والشرق العربى ضد إيطاليا ، وطالب بأن يتحمل غرسيانى وحده مسئولية تهوره وإلا ستصبح إيطاليا معرضة لحملات إسلامية وعربية نتيجة ما نشره غرسيانى ، ومما قاله نيللينو : إن روما هى مصدر الإنسانية والحضارة فكيف نعرضها للعالم الإسلامى والشرق العربى من أجل أقوال غرسيانى ، وهكذا أخذ نللينو يدافع عن إيطاليا لا عن السنوسية ، وأراد أن يحمل غرسيانى وحده جريرة آرائه وأقواله ، وأرد نيللينو بموقفه هذا أن يقول للعالم

قائد المجاهدين السيد عمر المختار فى طريقه لركوب البارجة التى نقلته
من سوسه إلى بنغازى بعد وقوعه فى الأسر (سبتمبر ١٩٣١)

الاسلامى والشرق العربى أسكتوا عن إيطاليا ففيها من يرد على غرسيانى دون أن تكلفوا أنتم أنفسكم مشقة ذلك ، واتسعت شقة الخلاف بين غرسيانى ونيلينو ، ووجد الأخير من يؤيده لا لمصلحة ليبيا ولكن للتشفى الشخصى من غرسيانى ، ومن بين أنصار نلينو كان الجنرال بونجوانى) أحد ولاة برقه السابقين) وكان قد أوفده موسلينى إلى برقه قبل وقوع عمر المختار فى الأسر ، وقدم إلى موسلينى تقريراً عن رحلته فى برقه ، وتسبب عن ذلك سوء تفاهم بينه وبين غرسيانى ، ثم الجنرال تيروتسى وهو أيضاً من ولاة برقه السابقين وممن لهم حظوة خاصة فى الحزب الفاشيستى وعند رئيسه موسلينى ، وقد أوفده رئيسه إلى برقه ووضع تقريراً عن الحالة ، لم تكن هذه التقارير فى صالح الشعب الليبى ؛ كما وأنها لم تكن تنتقد إجراءات غرسيانى ضد الشعب ، ولكنها كانت منصبة على تصرفات غرسيانى الشخصية وإسرافه فى النفقات التى كبدت خزانة الدولة مصارف لا يمكن تعويضها . يضاف إلى هذين الشخصين شخصية أخرى ، هى الجنرال ميزتى قائد القوات الإيطالية السابق فى برقه . فكل من هؤلاء يكمن فى نفسه شيئاً عن سفاح برقه وأراد أن يغتنم الفرصة فيسلك كل وسيلة للنيل منه ، وكلهم يلتقى مع غرسيانى فى الطريق المؤدية للقضـــاء على عمر المختار والمجاهدين

واضطر موسلينى أن يتدخل شخصياً فى النزاع بين نيلينو وغرسيانى فجمع بينهما وأكد لنيلينو — بعد أن شكره دفاعه عن إيطاليا — بأن غرسيانى لن يعود للكتابة بالأسلوب الذى رأيته مضراً بمصلحة وسمعة إيطاليا ، هذا وكان موسلينى قد نظر لتقرير تيروتسى بعين الاعتبار لا من حيث سوء التصرفات ضد برقه لأن إفناء الشعب نقطة إرتكاز للعمل يلتقى عندها كل من موسلينى وتيرتسى وغرسيانى ، ولكن الناحية التى أولاها موسلينى إهتمامه من التقرير هى مسألة النفقات الكبيرة التى تكبدتها خزانة الدولة فى حين أن عمر المختار لا يزال كما هو . المجاهدون لا يزالون

ينكلون بالجيوش الإيطالية ويكيلون لها الضربات الواحدة تلو الأخرى ، واستمر مناوئوا غرسيانى يعملو لإظهار عجزه وسوء تصرفه الشيء الذى أنذر مركز غرسيانى بالانهيار كما إنهارت أعصابه واضطرب تفكيره وإن كان الجنرال ديبونو وزير المستعمرات (وهو ممن لهم مكانتهم فى الحزب الفاشيستى) أخذ يساند سفاح برقه ويتمسك ببقائه وتعزيزه ، وقد وقف ذات مرة فى مجلس النواب الإيطالى ليرد على بعض النواب الذين تناولوا تصرفات الحكومة الإيطالية فى برقه فقال : أنه يتحمل كل المسئولية فى الأساليب التى اتبعت للوصول إلى هذه الغاية ، فكل ما قيل عن تهجير السكان لأماكنهم وعن أعمال القسوة أتحمل تبعته ، واستطرد يتحدث عما يلاقيه سكان برقه فى معتقلاتهم فقال : أننا عمدنا إلى تعليم أبناءهم الذين سيكونون من جنودنا فى المستقبل وذلك بعد رجوعهم من روما وتعميدهم وتعليمهم المبادىء الكاثوليكية والفاشيستية)

(٣)

هذا وبينما كان غرسيانى ـ كما سبق ذكره ـ فى طريقه إلى باريس تهرباً من الميدان بعد أن فشل فى القضاء على عمر المختار ، وتهرباً أيضاً من الميدان السياسى فى بلاده إيطاليا حيث أخذ بعض الأقلام يسلقه ، والإنتقادات المرة تأخذ طريقها إليه ، بينما هو كذلك وإذا بالقدر يلعب دوره ـ وللحظ كما هو معروف تأثير أقوى من تأثير العمل ـ فما يشعر غرسيانى الكئيب الخائر القوى والمنهار الأعصاب إلا وهو يتلقى برقية مستعجلة من بنغازى تزف إليه نبأ القبض على عدوه اللدود عمر المختار ، كاد لا يصدق وهو يقوم من مقعده بشكل هيسترى ثم يعود للجلوس ثم يخرج متمشيا على قدميه ويحدث نفسه بصوت عال ويشير بيديه ويقول صحيح قبضوا على عمر المختار ؟ ويرد على نفسه لا أعتقد ، وأخيراً ألغى أجازته وقفل راجعاً

إلى بنغازى على متن طائرة خاصة وعندما هبطت الطائرة ببنغازى وغادرها إلى الأرض وقع نظره على قائد الكرنبيرى الكابتن كاستريوتا فقال له : إننى لا أرى عمر المختار أين هو ؟ هل صحيح القبض عليه القبض ؟ وخف إلى السيارة التى كانت تنتظره بعد أن أعطى أمره بإحضار عمر المختار لمكتبه بدار الحكومة حالا

وصل عمر المختار محفوفا بمدير السجن وكبار ضباط الكرنبيرى (الصابطية) ووقف كالأسد المحصور أمام المكتب الذى يختفى وراءه غرسيانى بمثل دور الجبن والصغار ، واستولت عليه الدهشة وأخذ يسأل أهذا هو عمر المختار ؟ ثم إلتفت إليه ليتحقق من الجواب قائلا : أنت عمر المختار ؟ وجاء الجواب فى صوت جهورى كاد يمزق أحشاء غرسيانى : نعم أنا عمر المختار وكان البروفسور يانوتا (الموظف الآن بوزارة الخارجية الإيطالية) يقوم بمهمة الترجمة . وأخرج غرسيانى من درج مكتبه مرآة للقراءة كانت للسيد عمر المختار وقد ضاعت منه أثناء معركة من المعارك فوصلت إلى أيدى غرسيانى وقال : أهذه مرآتك ؟ فأجابه نعم أنها مرآتى فقدتها فى إحدى المعارك معكم وعوضتها بغيرها . وبدأ غرسيانى يسأل وعمر المختار يجيب . س : لماذا حاربت الحكومة الإيطالية ج : لأن دينى يأمرنى بذلك س هل كان لديك أمل فى أنك تستطيع إخراجنا من برقة بهذا العدد القليل من رجالك وبتلك المعدات القليلة التى تملكها ؟ ج : هذا على مايبدو كان أمراً مستحيلا س : ماذا كان غرضك من الحرب ؟ ج : كنت مجاهدا لا أقل ولا أكثر ، أما النتيجة فالأمر فيها لله وحده . وأشار عمر المختار إلى مقعد قريب منه وقال يمكن أن أجلس وكان عمر المختار لا يقوى على الوقوف ، وفى هذا الطلب مافيه من توبيخ أدبى لعدو لا يعرف شرف الخصومة وأدب المقابلة مهما يكون نوعها وكان قلبه المليء حقداً وبغضا خال من جميع أنواع الإنسانية التى تدفع مثله للشفقة

بالأسد الأسير وبالشيخوخة ، ونسى أن عمر المختار كان بالأمس القريب ينازله فى الميدان منازلة الند للند رغم عدم التكافؤ فى العدد والعدة والظروف

س : ولكنى كنت أعلم أن كتابك يفرض عليك الجهاد ضد الكفار إذا كان هناك أمل فى النجاح ولم يكن هناك ضرر يلحق بالأهلين . هل يقول كتابك ذلك ؟ ج : نعم . س . لماذا إذن حاربت؟ ج : لأن دينى يأمرنى بذلك غرسيانى . الصحيح هو أنك تحارب من أجل السنوسية ، وهنا تكلم عمر المختار طويلا وبهدوء ورصانة ولكن غرسيانى أشار بيده إلى الترجمان بأن لاينقل إليه كلام عمر المختـــار وهو فيما يتعلق بالسنوسية ويبدو أن غرسيانى عندما شعر بامتعاض عمر المختار واسترساله فى حديثه عن السنوسية كالسيل الجارف خاف من أن يسمعه عمر المختار كلاما لا يريد غرسيانى أن يقـــال له وعنه س : لماذا نقضت إتفاق السلام وأمرت بالهجوم على قواتنا فى جردس ؟ ج : لأننى إنتظرت الرد على خطابى لبادوليو شهرا ولم يجب عنه وكنت قد قلت فى كتابى إن عدم الرد يعتبر إنذار بعودة الحالة لما كانت عليه غرسيانى هذا كلام من يريد أن يعتذر عن عمل طائش أتاه ، ولايصح أن يصدر عن رجل مثلك ، والواقع إنك نقضت السلم متعمداً بدليل إذاعتك للنداء الذى وجهته فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٩ س : هل أمرت بقتل الطيارين أوبر وميانى ؟ ج : نعم فالحرب هى الحرب . غرسيانى: هذا يكون إذا كانت هناك حرب وليست أعمال لصوصية إجرامية مثل أعمالكم عمر المختار ، لكل رأيه . غرسيانى : لقد أضعت بعملك فى جردس كل حق فى طلب الرحمة من الحكومة عمر المختار مكتوب (مقدر) ولكننى أريد أن أقول : إننى عندما وقعت فى الأسر لم يكن معى سوى ست خرطوشات فقط وربما كان فى الإمكان أن أقتل الجندى الذى آسرنى أو أقتل . س : ولماذا لم تفعل ؟ ج : لأن ذلك كان من قضاء الله

قائد المجاهدين عمر المختار فى طريقه إلى المحكمة الصورية يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣١

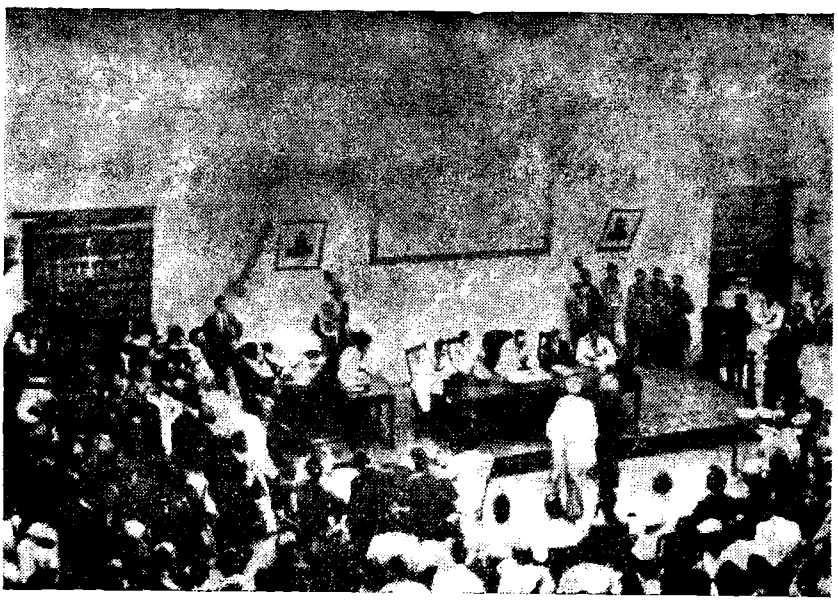

المحكمة الصورية التى حاكمت القائد السنوسى العظيم
عمر المختار ويرى وهو واقف «١٥ سبتمبر ١٩٣١»

س : كم من الوقت يمكنك من الوصول إلى إخضاع الثوار وإنهاء القتال فى الجبل ؟ ج : أبداً أبداً ، إنى لاأستطيع فعل ذلك إنى أسير وسبق لنا أن أقسمنا اليمين جميعاً بأننا نموت واحداً واحداً ولم نسلم أنفسنا وأنتم تعرفون إنى لم أسلم نفسى إليكم

هذه هى بعض الأسئلة التى وجهها سفاح برقه للأسد الأسير ، وإلى جانبها إجابات عمر المختار المليئة صبراً وإيمانا وشجاعة ، وكادت هذه الأسئلة أن تكون بمثابة أسئلة المحكمة الصورية التى عقدت لمحاكمته .

وفى أمسية اليوم نفسه سيق عمر المختار مكبلا إلى المحكمة وأخذت حكومة غرسيانى قبل إنعقادها فى إحضار المشنقة بقرية سلوق حيث هناك المعتقل الذى يضم عدداً كبيراً من القبائل لا سيما البراغيث (العبيد والعرفا) وبدأت أفواج الأهالى تنقل من مختلف أنحاء برقه بواسطة سيارات النقل وسكة الحديد التى تربط بين بنغازى وسلوق ، جىء بهذا العدد الكبير من الأهالى مكبلين بسلاسل حديدية تربط كل جماعة فى وحدة ، محاطين بالجنود شاكى السلاح ، وأحضرت إلى سلوق فرقة كاملة من الجيش بجميع معداتها إستعداداً لتنفيذ حكم الإعدام قبل أن تجتمع المحكمة وتصدر حكمها لأنه كان مقرراً ، وكان تشكيل المحكمة نوعا من أنواع العبث بالقضاء وبالعدل الذى لم يعرف له فى حكومة الفاشيست مكان .

(٤)

إنعقدت المحكمة فى مساء يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣١ وقد تألفت من الكلونيل مارينونى (رئيساً) وفرانشيكو رومانو ومنزوف (أعضاء) ونصرى هرمز (ترجمان) وكلف الضابط الايطالى لونتانو ليقوم بدور الدفاع ، وكانت أسئلة المحكمة والإجابة من عمر المختار على الوجه الآتى :

س : هل أنت رئيس الثوار ضد إيطاليا ؟

ج نعم ، أنا أحد رؤساء المجاهدين ولم أك ثائراً بالمعنى الذى تأولون به كلمة ثائر ، فهى تقال لمن إعترف بسلطان إيطاليا وخضع لها ثم ثار عليها .

س : هل حاربت الدولة وشهرت السلاح فى وجه إيطاليا واشتركت فى القتال إشتراكا فعلياً ؟

ج نعم

س : هل قتلت الجنود الذين وضعوا لحراسة العمال الإيطاليين أوأمرت بقتلهم ؟

ج نعم .

س : هل أمرت بالغزو واشتركت فيه ، وهـــل أمرت بتحصيل (الأعشار) .

ج نعم

س : هل قتلت الطيارين بيانى واوبر ؟

ج : كلا . وإنما بعد القبض عليهما كأسرى حرب أمرت بإبقائهما فى المعسكر لأن دستورنا السماوى يأمرنا برعاية الأسرى ، وفى ذات يوم دارت معركة بين قواتنا وقواتكم وأغتنم الأسيران إنشغالنا بالمعركة وفرا وأمرهما الحرس بالتوقف ولكنهما لم يمتثلا فرماهما بالرصاص .

هذا وقد إكتفت المحكمة بهذه الأسئلة ، ووقف المدعى العام بيدندو وطلب الحكم على عمر المختار بالاعدام ، كما وقف الكابتن لونتانو المكلف بوظيفة الدفاع وقال : إنى لجندى لا أتردد ألبته فى إطلاق الرصاص على

أخذ الفاشيست صورة القائد السنوسى الكبير رمز التضحية والفداء السيد عمر المختار
يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣١ وهى من النوع الذى تأخذه المباحث مادة للمجرمين
وهكذا شاءت العدالة الفاشيستية أن تصور عمر المختار هكذا

منظر إخارجى لضريح شيخ الشهداء السيد عمر المختار بمدينة بنغازى

عمر المختار إذا ما وقعت عليه عيناى ، وكإيطالى أمقته وأكرهه أفعل ذلك ولكننى وقد كلفت الدفاع عنه فإننى أطلب حكما هو فى نظرى أشد هولا من الاعدام ، وأقصد بذلك : الحكم عليه بالسجن مدى الحياة نظراً لشيخوخته وطعنه فى السن وهنا وقف المدعى العام وطالب بمنع الدفاع من الاسترسال فى دفاعه بحجة أنه خرج عن الموضوع وفعلا أبعد المحامى المكلف ، وكانت المحكمة قد إكتفت بما حصل وارتفعت بضع ثوان ثم عادت للمداولة ونطقت بحكمها القاضى بإعدام عمر المختار ، وتقبل الحكم بقوله : إن الحكم إلا لله ، « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، وأظهر عمر المختار جلدا وإيماناً تأثر بهما جميع من حضر المحكمة ومعظمهم من الطليان أنفسهم ، وفى الصباح التالى (١٦ سبتمبر ١٩٣١) وصل السيد عمر المختار إلى سلوق وكان وجهه يتهلل إستبشاراً بالشهادة وإرتياحاً لما جاء به القدر ، وبمجرد وصوله إلى موقع المشنقة أخذت الطائرات تحلق فى الفضاء فوق ساحة المشنقة على إنخفاض وبصوت مجلجل لمنع الأهالى من الاستماع إلى عمر المختار إذ ربما يتحدث إليهم أو يقول كلاما يسمعونه وصعد سلالم المشنقة فى ثبات وهدوء ، وهناك أعمل فيه الجلاد حبل المظالم فصعدت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية ، هذا وكان الجميع من أولئك اللذين جاءوا يساقون إلى هذا المشهد الرهيب ينظرون إلى السيد عمر المختار وهو يسير إلى المشنقة بخطى ثابتة ، وكانت يداه مكبلتين بالحديد وعلى ثغره إبتسامة الراضى ، تلك الابتسامة التى كانت بمثابة التحية الأخيرة لأبناء وطنه وقد سمعه بعض الملتصقين به ومنهم موظفون ليبيون أنه صعد سلالم المشنقة وهو يؤذن بصوت هادىء آذان الصلاة ، وسمعت من أحد الموظفين العرب يقول كنت أنا وقائمقام سلوق بتروش أقرب الحاضرين إليه فسمعته عندما وضع الجلاد حبل المشنقة فى عنقه يقول : (يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية » .

(٥)

كان السيد عمر المختار يؤمن بالموت ويرى شبحه قريبا منه فلم يغفل عنه أو يخشاه ، وكان يتوقعه فى كل لحظة شأن المسلم المؤمن ، ولكنه لا يعلم أين وكيف ومتى يكون ! ؟ وكل ما كان يرجوه ويأمله هو أن يكون موته شهيداً وفى أرض الوطن وهو يدافع عن عقيدته التى آمن بها وعاش لها ، ومما كان يقوله دائماً هو : (اللهم أجعل موتى فى سبيل هذه القضية المباركة) ويقول : « اللهم أمتنى على عقيدتى وطوع ساداتى وارزقنى رضاهم » ويقول : [لا أغادر هذا الوطن حتى ألقى وجه ربى والموت أقرب إلى من كل شىء فانى أترقبه بالدقيقة] رجل هذا شأنه ، وهذه هى عقيدته كيف يخشى غرسيانى وكيف يهتم بالمحكمة العسكرية الوهمية وهو يعرف مقدما ما ستصدره ضده من حكم الموت ، رجل هذا شأنه لا شك أنه يلاقى الموت باسماً ويستقبله مطمئنا ويقدم عليه راضياً ، وهذا هو الشىء الذى أظهره عندما وقع به جوداه يوم ١١ سبتمبر فتلقفه كلاب الأعداء فى نهم ، وهذا ما أظهره عندما زج به فى السجن بين وحوش الفاشيست وسجانه من الكربنيرا الجبناء ، وهذا ما أظهره عندما زاره الشارف باشا الغريانى يوم ١٤ سبتمبر فى سجن بنغازى كما ستسمع أيها القارىء إليه وهو يحدثك عن المقابلة ، وهذا ما أظهره عندما إستدعاه غرسيانى فى مكتبه ليشفى غله شامتا شأن الأذلة من الجبناء الحقيرين ، وهذا ما أظهره يوم أن جىء به إلى المحكمة الوهمية عندما كان الرعب والرهبة يملآن ساحتها ، وهذا هو ما أظهره يوم أن سيق إلى حبل المشنقة فأسرع إليه وهو يضحك ساخراً

لقد طالبه رفاقه أكثر من مرة بأن يسافر إلى مصر مقترحين عليه بعض الأمور ليتولى معالجتها هناك ، والحقيقة أنهم يهدفون إلى إبعاده عن المتاعب ولذلك اقترحوا عليه أكثر من مرة أن يتصل بسمو الأمير مباشرة ، وهم

يعلمون أنه شديد الشوق لزيارة سموه ، وكانوا يقترحون عليه السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ويعلمون أنه إذا وافق على ذلك سيمر بمصر ويقابل سمو الأمير الذى سيمنعه من العودة إلى ميدان القتال فكان جوابه دائماً « لن أذهب ، ولن أبرح هذه البقعة حتى يأتى رسل ربى ، وأن ثواب الحج لايفوق ثواب دفاعنا عن الوطن والدين والعقيدة » . هذا وقد كتب إليه سمو الأمير « ملك ليبيا المتحدة » أكثر من مرة يطلب منه الحضور إلى مصر للراحة فيرد على سموه معتذراً وملتمسا منه قبول العذر ، وجاء فى آخر كتاب من سمو الأمير « ملك ليبيا المتحدة » إلى السيد عمر المختار قال سموه : « أن مخاطرتكم بأنفسكم تذهب لا سمح الله بحياتكم ، وبذلك تكون خسارة لا تعوض وبصفتكم القائد فان التقاليد لا تسمح لكم بذلك ، وقد أرسل إليه سمو الأمير بعدد كبير من (الأمقاص) الخاصة بقطع الأسلاك الشائكة ولكنه آثر البقاء بين رفاقه على مغادرة برقه حتى وافاه الأجل المحتوم ونفذ فيه ماقدره مالك الملك جل شأنه .

وهكذا شاءت المدنية الرومانية أن يلقى قائد المجاهدين عمر المختار حتفه على هذه الصورة النكراء فلم تبال يومذاك بالنقد والتأنيب والتقريع والفضيحة التى لحقت بالحضارة الأوروبية كلها ، لقد شاءت إيطاليا أن لا تخفى فضيحتها ورأت أن تعلنها للعالمين الإسلامى والعربى فى شخصية الشعب الليبى الممثل فى أبناء برقه الذين ساقتهم إلى ساحة المشنقة فى قرية سلوق سوق الأنعام معتقدة أنها بذلك سترهب الأمة وتترك بها الرعب ولم تدر أنها أساءت لنفسها قبل أن تسىء للأمة الليبية ، إنها سجلت على رؤوس الأشهاد عاراً للمدنية الرومانية التى تتبجح بها لا ولن يمحوه كر الجديدين .

« يا ويحهم نصبوا مناراً من دم يوحى إلى جيل الغدا البغضاء »

وشاء المنتقم الجبار رب السموات والأرض أن ينتقم لعمر المختار إنتقاما لم يعرفه تاريخ البشرية على هذه الصورة ، أراد ربك وهو الفعال لما يريد أن تكون فضيحة غرسيانى فى أرض الوطن الليبى ، وفى نفس الجبل الأخضر الذى وقع فيه عمر المختار أسيراً ، ففر منه غرسيانى وهو يطلق رجليه للريح خوفا من الوقوع فى الأسر بعد أن ترك جميع قواته وهى تعد بعشرات الآلاف تستسلم للأسر الإنجليزى فى برقه بلاد عمر المختار ، وكان الآلاف من الجنود الأيطالية الباسلة تلقى السلاح وتستسلم لعدد من الجيش الإنجليزى لا يتجاوز العشرات ، وشاء ربك أن تكون الفضيحة لقادة الطليان الذين اشتركوا فى القضاء على عمر المختار فى الأرض التى قضوا فيها على عمر المختار أمثال : الجنرال ماليق ، والجنرال قلليني ، والجنرال باربا ليتركا (اللحية الكهربائية) والجنرال بياتى وأضرابهم من رفاقهم فى الميدان الذى نازلهم فيه عمر المختار ، وأخيراً شاء ربك أن يقوم أفراد من الشعب الايطالى نفسه ليقتل زعيمه موسليني شنقاً ويصلبه من رجليه وشاء ربك أن يصدر الشعب الايطالى نفسه حكمه بواسطة قضاته ومحاكمه على الجنرال غرسيانى (سفاح برقه) .

هذا هو العدل السماوى سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أنت القاهر فوق عبادك وأنت الحكيم الخبير .

(٦)

عندما جىء بالسيد عمر المختار إلى سجن بنغازى إنتشرت بعض الاشاعات وكان الناس يهمسون بها همساً ، وتقول هذه الاشاعات أن عددا من الأشخاص دفعتهم إيطاليا لمقابلة عمر المختار عساهم يستطيعون أن ينتزعوا منه وعداً بتعهده على أن يعمل لانهاء القتال ، ويدعو المجاهدين لالقاء أسلحتهم وتسليم

معسكر المجاهدين بمنطقة طبرق (١٩١١) وقد ضمت الصورة كلا من أدهم باشا الحلبي قائد المعسكر والأمير شكيب أرسلان

أنفسهم . وأخذت هـذه الاشاعات تردد أقوالا على زعم أنها صدرت من السيد عمر المختار لكل شخص تمكن من مقابلته على هذا الأساس ولـكن هذه الاشاعات لم تتأكد ، ومن المحتمل أنها لم تكن صحيحة للأسباب التالية :

أن الأسخاص الذين يتمكنون من مقـابلة السيد عمر المختار لمحاولة ما ترمي إليه إيطـاليا لا يكونون من الأشخاص العادين الذين لا يعرفون عمر المختـار ولا يعرفهم ، وهذا النوع لا يكون إلا من زعمـاء القبائل وشيوخ الزوايا وأعيـان المدن ، وهؤلاء جميعاً كانوا فى السجون وفى المنفى بإيطـاليا ، والطليان يعرفون مقدما أن عمر المختـار لم يـكن سهل المراس حتى يتصل به الأشخاص العادون ويؤثرون فيه وهو الذى لم يسبق أن تأثر بأية شخصية قصدته بهذا المعنى ثم إن الوقت الذى بقى به عمر المختار فى السجن قصيراً ومنذ إن دخله أخـذت الأستعدادات تعمل لسرعة إعـدامه ، ولـكن الشخص الوحيـــد الذى قابل السيد عمر المختار فى السجن من الشخصيات المعروفة هو الشارف باشا الغريانى وقصة ذلك نوردها فيما يلى :

فى أمسيت اليوم الرابع عشر من سبتمبر ١٩٣١ قام الـكمندتور رينسى (السكرتير العام لحـكومة برقه) بزيارة للشارف باشا الغريانى يصحبه الترجمان فرنارى ، وطلب منه أن يذهب إلى السجن لمقابلة عمر المختار حسب طلب هذا الأخير ، وقال رينسى أن الحـكومة لم تر مانعا فى تحقيق رغبة المختـار ، وتحير الشارف باشا فى الموقف وافترض كما قال أسوأ الأحتمالات فلم يهتد لمعنى يفسر له هـذا الطلب لا سيما وأن رينسى لم يزد فى كلامه عن قوله أن عمر المختار يطلب مقابلتك والحـكومة لم تر مانعاً وسيكون الـكوالير فورنارى معك لتسهيل المقابلة فى مكتب مدير السجن ، ويقول الشارف باشا أننى فكرت طويلا ولـكن

لم يسعفنى التفكير لمعرفة السبب ، وهل صحيح أن السيد عمر هو الذى طلب المقابلة ؟ ولماذا ؟ إنه جبار كما أعرفه وإنه لن يحاول أن يطلب أية مساعدة من أى نوع ولا من أية شخصية مهما تكن الظروف المحيطة به ، هل ترغب الحكومة فى أن أقابله وأرادت أن لاتظهر رغبتها هذه ؟ ولكن ما هى الفائدة مادامت لم تبد رغبة أو توجيها تريد أن أقوم به ؟ ويقول الشارف باشا : إن السيد عمر المختار يعرف ما بينى وبينه من اختلاف فى وجهات النظر السياسية فهو أبعد من أن يطلبنى الآن ، إنه يعرف مقدما المصير الذى ينتظره منذ إن وقع فى أيدى أعدائه ، ثم إنه يعرف بأن ليس لكائن من كان فى استطاعته التدخل فى الموقف وفوق كل هذا فانه لا يضعف أنه أقوى من كل قوة يتصورها الإنسان ، كل هذه الاحتمالات مرت بخاطرى ، ثم أن مقابلته فى هذا الظرف تؤثر فى نفسى وفى نفسيتى ولذلك رأيت أن أعتذر ولكن الكمندتور رينسى أصر على أن أذهب لمقابلته ، وذهبت إلى السجن منقبضا فاستقبلنى المدير وكان معه أحد ضباط الكربنير ، وبعد جلوسى بدقائق أقبل سيدى عمر المختار وكان يستند على إثنين من الجنود ووراءه جندى مسلح ، ولم يكن بمكتب مدير السجن مقعد غير المقاعد التى جلسنا عليها ودخل السيد عمر فوقفت ومددت يدى لأصافحه فقال مدير السجن إن التحية بالأيدى ممنوعة حسب نظام السجن ولكن ما دمنا داخل مكتبى أعتبر أنها لم تكن ، وأمرت الترجمان فرنارى أن يترك مقعده للسيد عمر فجلس وخيم علينا سكوت رهيب وكنت أنتظر إنه سيقول شيئاً ولكنه لم يفه بكلمة واحدة وأردت أن أبتدىء الكلام فقلت هذا المثل الشعبى مخاطبا به السيد عمر « الحاصلة سقيمة والصقر ما يتخبل » وما كاد يسمع هذه العبارة حتى رفع رأسه ونظر إلى شرزا وكاد الشرر يتطاير من عينيه وقال الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، وسكت هنيئة ثم أردف

بعض الإخوان السنوسيين ومشايخ القبائل بمعسكر بنينه (١٩١١)
(٣) الشيخ إبراهيم المصراتى ، (٥) السيد عبد الله الجيلانى ، (٦) السيد عبد الله الأشهب

منظر لمعسكر المجـاهدين دور بنبنه (١٩١١)

قائلا رب هب لى من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، أننى لم أكن فى حاجة إلى وعظ أو تلقين ، أننى أومن بالقضـــاء والقدر وأعرف فضائل الصبر والتسليم لإرادة الله ، أننى متعب من الجلوس هنا فقل لى ماذا تريد وهنا فقط أيقنت أنه لم يطلب مقابلتى وإنهـا لعبة من (كلاب الدم) فزاد تأثرى وقلت له : ما وددت أن أراك هكذا ولقد أرغمت نفسى للمجئ بناء على طلبك ، وطالما حاولت أن تفكر قليلا لتتجنب جميعا هذا الموقف وهذا اللقاء الأسود ، أكرر أننى ما وددت رؤيتك هكذا فقال : أنا لم أطلبك ، ولن أطلب أحداً ولا حاجة لى عند أحد ، ووقف دون أن ينتظر منى جواباً ، وفهمت أن رينسى الكلب هو الذى دفعنى لهذا الموقف المحزن . وكأنه كان يريد منى أن أعرف ما كان يريده ، أو أنه أفهم الترجمان بشىء ولكن الترجمان نفسه كان كالجماد ، وعدت إلى منزلى وأنا أشعر بشىء ثقيل فى نفسى ماشعرت بمثله طيلة حياتى ، وسئل الشارف باشا عن نوع الثياب التى كان يرتديها السيد عمر المختار أهى ثياب السجن أم ثيابه التى وقع بها فى الأسر وكان جواب الشارف باشا هو البيتان الآتيان مستشهدا بهما :

(عليه ثياب لو تقاس جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا)
(وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجل وأكبرا)

الإسلام قوة . .

يرى القارىء الكريم فى هذه النبذة اليسيرة من حياة عمر المختار — وهى حياة البطولة والتضحية والفداء — صورة مصغرة للجهاد الليبى الإسلامى الصادق ضد العدو المعتدى الأثيم الذى أراد بقضه وقضيضه أن يستعمر بلداً إسلامياً عربيا أعزلا مؤمنا فدهمه بخيله ورجله ، وبدباباته وطياراته ، وبأسطوله ومدافعه ، وبكل أدوات الفناء والدمار ، ووقف الشعب الأعزل إلا من إيمانه ، القوى بتعاليم دينه ليدفع شر المعتدين ، وكانت قوته التى يتدرع بها هى الروح الإسلامية القوية التى قهرت الطغاة ، وأذلت البغاة ، وطأطأت لها هامات الجبابرة العتاة ، إنها القوة التى وقف الشعب الليبى مأتزراً بها دون أن ينتظر إلى مساعدات تأتيه من الخارج ، إذ لا يخفى أن الوقت الذى بدا فيه الطغيان الاستعمارى بغزو ليبيا كان وقتا عصيبا وكانت جميع البلاد الإسلامية والعربية تواجه نفس المشكلة الليبية ، وكان الاستعمار فى عنفوان جبروته وطغيانه ، وكانت السبل كلها مقفلة فى وجه ليبيا ، وكانت الوسائل الدعائية معدومة يومذاك ، وكانت أخبار الجهاد الليبى لا تصل إلى البلاد الإسلامية ـ لا من حيث السرعة ولا من حيث الحقيقة والتفاصيل ـ كما ينبغى ، والشىء الذى استطاعت الشعوب الإسلامية والعربية أن تقدمه لليبيا لا يزيد عن الشعور بالقلق والإحساس بالألم الذى يحس به الشعب الليبى ، ولذلك فلم تزد مؤازرة هذه الشعوب عن العاطفة لأنها لا تتمكن من تقديم المؤازرة الفعلية ، وكان الموقف يومذاك يختلف تماما عن الموقف الآن .

إن الثورات والانتفاضات التى قامت وتقوم بها البلاد الإسلامية والعربية الآن لانتزاع حقها فى السيادة والاستقلال تختلف عن الوقت الذى

مجموعة من الإخوان السنوسيين وزعماء القبائل ويرى السيد عمر المختار مرتديا برنسا
كما يرى السيد صالح الدواى جالسا . « فى استقبال سمو الأمير ١٩٢١ »

قامت فيه ليبيا لصد العدوان وذلك بالنظر إلى الاتصال الذى أخذ الآن يربط جميع شعوب العالم وذلك بمختلف الوسائل التى قرّبت بعضه للبعض الآخر مثل الاذاعات والاتصالات البريدية والصحفية بالإضافة إلى موجة الوعى التى أخذت تغمر الشعوب فتدفعها إلى أن تشق طريقها نحو حياة كريمة ، فتيسّر للشعوب أن تتعاون وتتبادل وسائل التعاون بصورة فعالة ، ولنضرب لذلك مثلا فنقول :

استطاع العرب أن يشاطروا إخوانهم الأعزاء أبناء فلسطين جهادهم الذى بدءوه أثناء الغزو الصهيونى الآثم عقب الحرب العالمية الثانية فقدموا الأسلحة والمؤن والمتطوعين من مشارق الوطن العربى ومغاربه دون أن تستطيع أية قوة منعهم من تقديم ذلك ، ولولا سياسة الأعوجاج التى سلكتها أوربا وفى مقدمتها قوات الاستعمار متجمعة لما وقفت إسرائيل على قدميها يوماً واحداً ، وأن اليوم الذى ستذهب فيه الصهيونية إلى غير عودة لآت .

ثم أن العالم الإسلامى والعربى استطاع أن يقدم للجزائر مساعداته من المتطوعين والأموال والعتاد ، واستطاع أن يقوم بحملة دعائية فعالة لمساعدة الجزائر فى انتزاع حقها الطبيعى الذى لابد وأن تناله رغم ما يكون ، وكانت جميع الأحداث التى تقع فى فلسطين أو فى الجزائر تذاع أخبارها فى حينها فتصل إلى مسامع سكان القارات الخمسة ، واستطاع العالم الإسلامى والعربى أن يقف إلى جانب الشقيقتين الكريمتين مراكش وتونس عندما هبّتا لتنفضا عنهما غبار الاستعمار . وهكذا فان الظروف اليوم تختلف عنها بالأمس عندما كان الليبيون يحاربون الاستعمار الإيطالى الغاشم ، واستمر حربهم أكثر من ربع قرن متواصل وذلك فى الوقت الذى لم يتيسر فيه تقديم أيه مساعدة لمعاونتهم ولم تكن لهم وسائل دعائية تخدمهم ، ولم تصل أخبارهم إلى إخوانهم المسلمين والعرب على حقيقتها وفى وقتها ، كما أن المساعدات الطفيفة التى كانت تصل اليهم

من الأفراد لم تكن ذات بال فتشد من أزرهم وهذا بالإضافة إلى أن إيطاليا تمكنت من شراء بعض الذمم ، وبعض الصحف والأقلام العربيه لتكون على ليبيا ، الشيء الذى جعل من جهاد الشعب الليبي الكبير الطويل العريض والذى كان هو الأول من نوعه فى دنيا المسلمين والعرب محروماً من دعاية واسعة منسقة يتدارسها المسلمون والعرب جيلا بعد جيل ، فى حين أن تاريخ بعث الأمم يدرك أهمية الدور الذى لعبته ليبيا فى ميدان حرب الاستعمار وقهره وإذلاله فى الظرف الذى يعد من أدق الظروف التى مرت بالبلاد الإسلامية سواء من ناحية الامكانيات أم المقومات أم الأوضاع السياسية ، وبرغم هذه الظروف القاسية استطاعت الروح الإسلامية التى اعتد بها الشعب الليبي القليل فى عدده الكثير بمعنوياته أن يرغم دولة كبيرة قوية فى البر والبحر والجو بأن تحنى رأسها ذليلة صاغرة .

إن الإسلام بتعاليمه وهديه ودستوره قوة لا تقهر ، وهو وحده القوة التى استطاع الشعب الليبي أن يجابه بها الأعداء مرفوع الرأس .

وهكذا فمنذ سنة ١٩١١ بدأ الشعب الليبي يقاوم الغزو الإيطالى بقوة الروح الإسلامية إلى سنة ١٩٣١ حيث وقع الشهيد عمر المختار ، واستمرت الروح الإسلامية المتغلغلة القوية تهيء الشعب الليبي لأن يستأنف جهاده ، وفى سنة ١٩٤٠ هب الشعب الليبي ملبياً دعوة قائده الأول العظيم ، الزعيم الإسلامى الكبير إدريس السنوسى لامتشاق الحسام من جديد ، فخاض معركة التحرير وخرج منها ظافراً ، ولم يكد يبرح الميدان الحربى حتى بدأت الألاعيب السياسية تشق طريقها للاجحاف بحق ليبيا ووقف الشعب الليبي بقيادة عاهله ليمزق سحب السياسة الاستعمارية الجديدة ، وطرحت القضية الليبية فى هيئة الأمم المتحدة (نوفمبر ١٩٤٩) وكادت سياسة الاجحاف بالحقوق

منظر من الفرسان لاستقبال سمو الأمير المعظم أثناء زيارته للأبيار ١٩٢١

تلعب دورها لطمس الحقائق فقيض الله سبحانه وتعالى شخصاً إنسانياً كريماً هو المستر أميل سان لو مندوب هايتى فى الأمم المتحدة لتأييد قضية ليبيا ، وبصوته الذى أوقفه بجانب الحق إنتصرت القضية الليبية .

والآن وقد تم طبع أواخر صفحات هذه الحلقة (عمر المختار) أردنا أن نغتنم فرصة زيارة مندوب هايتى لليبيا تلبية للدعوة الموجهة إليه فنختتمها بالحديث عنه لأن الشعب الليبى الذى تعود أن يرعى الجميل ويحفظ المروءة ويقدر الفضل يعتبر أن المستر أميل سان لو بطلا من أبطال الجهاد والسياسة

فى اليوم التاسع عشر من ديسمبر سنة ١٩٥٧ وصل مندوب هايتى إلى ليبيا فاستقبلته حكومة وشعباً بما يليق به من حفاوة وتبجيل اعترافاً بجميل صنعه ، وتقديره لحقوق الشعوب وانتصاره لقضية العدل . وأرادت ليبيا أن تبالغ فى إكرام ضيفها العظيم فأقامت له جميع الهيئات التنفيذية والتشريعية والقضائية والعلمية والعسكرية والشعبية والرياضية حفلات ومآدب التكريم فى كل من عاصمتى ليبيا (طرابلس وبنغازى) وقدمت له الهدايا الرمزية ، وتأثر الضيف الكريم الذى أحله الشعب الليبى محلا ممتازاً ، وكان أروع تقدير وأبلغ إكرام هو ما ناله الضيف الكريم من أفضال عاهل البلاد المفدى ادريس الأول عندما تشرف مندوب هايتى بزيارته فى دار السلام بطبرق فاستبقاه العاهل الليبى فى حضرته أكثر من ثلاث ساعات ، ودعاه لتناول طعام الغذاء على مائدته الكريمة ، ومنحه وسام الاستقلال الليبى ، وملأت الصحف الليبية أنهرها بالحديث عنه والترحيب به ، ولنستمع إلى ضيف ليبيا وهو يتحدث إلى الصحفيين عن عاهل البلاد المفدى فقال :

« لقد شرفنى المقام السامى بوسام الاستقلال الليبى من الدرجة الأولى ، وفى حديثه معى دعانى حفظه الله أن أعتبر ليبيا كوطن ثان لى ، وقد تفضل

حفظه الله بأن قلدنى هذا الوسام بيديه الكريمتين ، وهذا أعتبره شرفا عظيما لى . إن ليبيا تتمتع بحظ سعيد إذ يقودها فى خطواتها الأولى بطل عظيم بمعلوماته الواسعة المتينة ، وقد أدهشنى فى الحقيقة أنه بطل زاهد

إن بساطة مليككم تظهر واضحة فى مسكنه الذى يخجل الكثير من البروجوازيين الذين يحيون حياة كلها ترف . إننى أحس أن بطولته وأخلاقه ومميزاته العقلية العظيمة هى التى نصبته راعياً ومرشداً لهذا الشعب الأبى ،

السيد أحمد المريض
رئيس هيئة الإصلاح المركزية

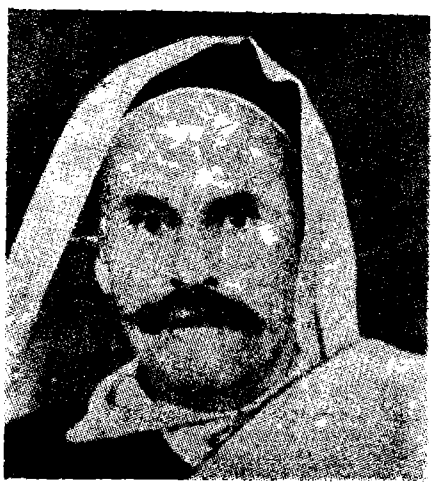

المجاهد الكبير
السيد عبد الحميد العبار
قائد دور الجبارنه
(معسكر عمر المختار)

أمير الشعراء وشاعر القطرين

كان أمير الشعراء أحمد بك شوقى ، وشاعر القطرين خليل بك مطران من بين الشعراء الكثيرين الذين أبنوا شيخ الشهداء عمر المختار وفيما يلى نذكر رثاءهما للفقيد

قال أمير الشعراء

(١)

ركزوا رفاتك فى الرمال لواء ... يستنهض الوادى صباح مساء
ياويحهم نصبوا منارا من دم ... يوحى إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة فى غد ... بين الشعوب مودة وإخاء
جرح بصيح على المدى وضحية ... تتلمس الحرية الحمراء
يا أيها السيف المجرد بالفلا ... يكسو السيوف على الزمان مضاء
تلك الصحارى غمد كل مهند ... أبلى فأحسن فى العدو بلاء
وقبور موتى من شباب أمية ... وكهولهم لم يبرحوا إحياء
لو لاذ بالجوزاء منهم معقل ... دخلوا على أبراجها الجوزاء
فتحوا الشمال سهوله وجباله ... وتوغلوا فاستعمروا الخضراء
وبنوا حضارتهم فطاول ركنها ... دار السلام وجلق الشماء
خيرت فأخترت المبيت على الطوى ... لم تبن جاها أو تلم ثراء
إن البطولة أن تموت على الضما ... ليس البطولة أن تعب الماء
أفريقيا مهد الأسود ولحدها ... ضجت عليك أراجلا ونساء
والمسلمون على اختلاف ديارهم ... لا يملكون مع المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم ... يبكون زيد الخيل والفلحاء

* * *

فى ذمة الله الكريم وحفظه جسد ببرقة وسد الصحراء
لم تبق منه رحى الوقائع أعظما تبلى ولم تبق الرماح دماء
كرفات نسر أو بقية ضيغم باتا وراء السافيات هباء

* * *

بطل البداوة لم يكن يغزو على تنك ، ولم يك يركب للاجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء

* * *

لبى قضاء الأرض أمسى بهجة لم تخش إلا للسماء قضاء
وافاه مرفوع الجبين كأنه سقراط جر إلى القضاة رداء
شيخ تمالك سنه لم ينفجر كالطفل من خوف العقاب بكاء
وأخو أمور عاش فى سرائها فتغيرت فتوقع الضراء
الأسد تزأر فى الحديد ، ولن ترى فى السجن ضرغاما بكى استخذاء
وأتى الأسير بجر ثقل حديده أسد يجرر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم ينوء ومشت بهيكله السنون فناء
سبعون لو ركبت مناكب شاهق لترجلت هضباته أعياء
خفيت عن القاضى ، وفات نصيبها من رفق جند قادة نبلاء
والسن تعطف كل قلب مهذب عرف الجدود وأدرك الآباء

* * *

دفعوا إلى الجلاد أغلب ماجدا يأسو الجراح ويطلق الاسراء
ويشاطر الأقران ذخر سلاحه ويصف حول خوانه الأعداء
وتخيروا الخيل المهين منية لليث يلفظ حوله الحوباء
حرموا اللمات على الصوارم والقنا من كان يعطى الطلعة النجلاء

إنى رأيت يد الحضارة أولعت ... بالحق هدما تارة وبناء
شرعت حقوق الناس فى أوطانهم ... إلا أبات الضيم والضعفاء

* * *

يا أيها الشعب القريب السامع ... لاصوغ فى عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت ... أذنيك حين تخاطب الأصغاء
ذهب الزعيم وأنت باق خالد ... فانقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى ... وأحمل على فتيانك الأعباء

(٢)

وقال شاعر القطرين :

أبيت والسيف يعلو الرس تسليما ... وجدت بالروح جود الحر إن ضيما
تذكر العرب والأحداث منسيه ... ما كان ، إذ ملكوا الدنيا لهم خيما
لله يا عمر المختار حكمته ... فى أن تلاقى مالاقيت مظلوما
أن يقتلوك فما أن عجلوا أجلا ... قد كان مذ كنت ، مقدورا أو محتوما
هل يملك الحى لو دانت له أمم ... لأمر ربك تأخيرا وتقديما ؟
لكنها عظة للشرق أوسعها ... مصابه بك فى الإخلاد تجسيما
لعله مستفيق بعد هجعته ... أو مستقيل من الخسف الذى سيما
أجدر برزئك لم تحذر عواقبه ... أن يفجع العرب تخصيصا ونعميما
وأن يأجج نارا من حميتهم ... وأن يرد فرند الصبر مثلوما
هيهات نوفيك والأقوال عدتنا ... حقا ، ونوفى الصناديد المقاحيما
من الألى صبروا الصبر الجميل وقد ... ذاقوا الكريهين : تقتيلا وتكليما
لعل أشقاهم الباقى على أسف ... وعلى أرواحهم من قر مرحوما
قد أثموكم وكم من مثلة نزلت ... بالأبرياء وبالأبرار تأثيما

وإنما ذنبكم ذنب الألى جعلوا ... صدق الهوى للحمى دينا وتعليما
امضوا رفاقا كراما حسبكم عوضا ... فخر عزيز على الخطاب أن ديما
قد سرتم فى سبيل الخير سيرتكم ... محققين رجاء خيل موهوما
لا حاكما دون ما أوحت ضمائركم ... تراقبون ولا ترعون محكوما
يحطم العظم منكم دون بغيتكم ... فما تهون ويأبى العزم تحطيما
ليس الإرادة إلا من يكون على ... رأى ومن يتناهى فيه تصميما

•

ما السجن حين يذاد الخسف عن وطن ... بعاره باء فى الاوطان موصوما
يغنى عن الشمس فى أعماق ظلمته ... برق من الأمل الموموق إن شيما
عدن على طيبها لو شيم كوثرها ... بظل باغ لعاد الورد مسموما
ما الموت أن تك منجاة البلاد به ... من غاصب وانتصاف الشعب مهضوما
هذا هو العيش والقسط العظيم به ... من خالد الفخر فوق العمر تقويما

يتمثل فى هذين المرثيتين الرائعتين جميع شعور العالمين (الاسلامى والعربى) ولقد اغنتا عن كل شعر قيل فى فقيد المسلمين والعرب شيخ شهداء ليبيا عمر المختار ومع هذا الاقتناع فقد أردنا أن نذكر شيئا قليلا من العدد الكثير الموجود لدينا ، وكله فى رثائه

(٣)

قال الأستاذ نعمان عبدالوهاب ناظر مدرسة الملوم بمغاغه وذلك بمناسبة أول ذكرى للشهيد قام بها الليبيون أثناء الحرب العالمية الثانية

ذكرى بها ألم النفوس دفين ... وأسى له صلد الصخور يلين
وسقام شعب فى رفاة ضحية ... ونداء قطر بالفلاة سجين
ودموع ثكلى من دم أذراعها ... (بسفاح برقة) والرحاب أمين

صاحت على بطل يساق مكبلا ... إذ قال : عرضى، والحمى، والدين
فارتاع شعب أعزل لكنما ... فى كل ركن فى البلاد عرين
من واحت الجغبوب قامت أسرة ... بالله يربطها هدى ويقين
بيت الأمارة والمهابة والتقى ... والعزم ماجدت هناك شئون
فاصطفت الأبطال تحت لوائها ... وتجرد الهندى والمسنون
والسيد المهدى يذكى نارها ... بالحزم والاقدام ضل يبين
يستنهض الفرسان فى ساحتها ... والشعب منقاد له ورهين
يستعذبون الموت فى إرضائها ... فى حب برقة يضحك المطعون
عشرون عاماً فى الجهاد بهمة ... لم تكتحل فيها المنام جفون
صبر الألى فتحو ممالك قيصر ... وتسوروا الأيوان وهو حصين
لو كان للاسلام سالف عهده ... والجار للجار الضعيف معين
مابات أبطال الجهاد على الطوى ... يستنجدون الشرق وهو ضنين
يالهف نفسى كيف سار بغله ... من كان للسرج الرهيب يزين
عمر بن مختار تشهيد ومن له ... فى كل قلب لوعة وحنين
فختامه يحكى بهاية (جعفر) ... حتى حلى لى فيهما التأبين
عيناه قد رأت الخصان مجندلا ... والجو أطبق والرصاص هتون
والسيف فى اليمنى وإن قطعت فما ... يلقيه حتى أن يحين الحين
من كان قد قدر جهاده ... والحق يعلم أنه المغبون
لا يثنى عن عزمه والموت فى ... حبل المشانق جاثم مرهون
ماردَّ إلا حيث قال قضاتهم ... نعم ، وفى الصوت الجهورر نين
فاضت على حبل المظالم روحه ... والله قدر ما عليه تكون
نفس الشهيد وقد تولى صقلها ... شيخ على (مهد المعز) حنون
دار السنوسى لقنت أشبالها ... موت المعزة بالكماة قمين
فالصبر ياشعب الجهاد فضيلة ... يامرسل الشكوى وأنت حزين

لازال رب الدار ليثا رابضا أن غاب عنها ليس عنك يبين
لازال إدريس الوفى بعهدكم والحر للعهد النزيه يصون
لازال يسعى للخلاص بفتية منكم ، وقد سهرت عليه عيون

(٤)

وقال أحد الشعراء الليبيين الأستاذ أبو الخير الطرابلسى

دك طود الجهاد باسم السلام وثوى الحر فى مهاوى الظلام
وأبيدت معالم الحق لما زلزل الأمن فى ربوع الأنام
وأميتت مبادىء الدين كفرا وأزيلت منارة الإسلام
وأقيمت مجازر الأثم والبغ ى ، وزلت مواطىء الأقدام
وتحامت عناصر الظلم والعدوا ن فهدت دعائم الأقدام
ليت تلك السماء تحكى فتروى كيف حيكت مؤامرات اللئام
ليت هـذا الأديم ينشق توا فيوارى مخلفات الطغام

* * *

أيهذا الشهيد ! ما أنت الا طارف العز تالد المجد سامى
أيهذا الشهيد ! ما أنت الا قدوة الجيش . فى اللواء الامامى
خصك الله بالعزيمة والصبـ ر وخص الطغاة بالأحجام
خصك الله بالعقيدة والطهـ ر ، وخص الدناة بالآثام
أم الأرض... طاطات فى احترام رأسها .. يا جلال هذا المقام
أمم الأرض قلدتهم هوانا وازدراء بهم أحـط وسام
أيهذا الشهيد قدمت شنقا بيد الغدر ذقت كاس الحمام
فتوارت غزالة الصبح حزنا واختفى البدر فى ليالى التمام
خالد أنت ... رغم أنف المنايا « عمر » أنت ... والردى تتعامى

أن تناسوك فالثمانون عاما ... ليس ينسى على مدى الأعوام
كللت كاهليك بالعزم تاجا ... فتوثبت قاهرا فى اعتصام

* * *

ما تحدوك إنما قد تحدا ... ك القضا بالردى ونصل الحتام
أنهم اليسوك حلة فخر ... ثم أعلوك فوق أسمى مقام
طوقوا جيدك الأغر وغطوا ... جسمك الحر خيفة الايلام
سنة الغدر .. رحمة الذئب بالشا ... ة وخبث الجبان فى الايهام
أرجحوا جسمك الضعيف فضجت ... فى الأعالى ملائك العلام
وعووا كالذئاب هيا تعالوا ... فاشهدوا مصرع الزعيم الهمام
فأبوا ثم سيق قهرا وجلدا ... من تأبى حضور ملتقى الزوام
ثم دقوا الطبول للموت تدوى ... صارخات على العدا كل عام
« لعنة الله لعنة الحق صبى ... بشواظ على الكوافر حامى
لعنة الكهل .. لعنة الطفل والخد ... ر ولعنة الثاكلات الدوامى
لعنات على الجناة السفالى ... دائمات إلى نشور العظام »

* * *

يا أخى ! عبرة الخطب هاجت ... فأفاضت لنا الدموع الهوامى
ولغ القوم فى الدما فأثاروا ... ديدن الحقد مبعث الانتقام
ردد اللحن هائجا مائجا مسـ ... ـتفيض الشعور صاخب الأنغام
ياجهاد الشيوخ يافداء الشبا ... ب يا حثيث النساء للاقحام
يادعاة السلام صمتا فانا ... قد شهدنا مفاصل الأعدام
قد شهدنا قذائف الموت تعوى ... هاويات على رؤس الشهام

فئهيد يميل فوق شهيد ودماه تفور فوق رغام
يارياح الفناء ! هبي وذري في الماق قذى القنا والسهام
وأرقصي ثورتي وميدي جنونا واطربي يافتوتي ! لن تضامى
وتمطى عزيمتي للعلا واستـ زرى ناطح السحب شاهق الأكام

* * *

رب شعب عن المعالى قعيد خانه العزم بالونى والسقام
ورمته الخطوب لما توانى وارتضى بالقيود والألجام
فعلت من ثراه صيحات جد داعيات إلى البنا والقيام
ونمت فيه بنتة النهضة الغضـ ـى على مصرع الأبناء المسام
وتقوت سواعد النشء لما صقلتها يد العرى بالنظام
أمة المجد ! أنه المجد صعب والمنى مستسر قد استضام
سائلي الأمس كيف أنا ولدنا ونشأنا في أحلك الأيام
ولبثنا سنين جهلا عبيدا واستنمنا لباطل الأحلام
وقعدنا عن النهوض ففات الركـ ـب وتهنا بمهمه الأوهام
فالمضاء المضاء يافتية النصـ ـر ! فقد طال . طال عهد المنام
والبدار البدار يا أمة الفخـ ـر ! فحسب الحصاد نيل المرام

(٥)

وقال الأستاذ حسين الغنائي أحد شعراء الشباب الليبي

يبيد الزمان ومدته وتفنى الخلائق جدته
وتطوى الدهور سجل الحياة وتبقى من المرء سيرته

ومن أخلد الذكر فى العـــالمين مضاء الفتى وعزيمته
ووقفته عند قرع السلاح تذود عن الحق مهجته
إذا عجمته شداد الخطوب تدرع بالصـــبر مهجته
سواء لديه اعوجاج الزمان كذا عدله واستقامتـــه
ومن أبرز الذائدين فتى إلى أرض برقة نسبته
من العرب الشوس والفـــاتحين جبلته وأرومته
اذا عد «عمر» و«ابن الوليد» و «عقبة» ثم صحـــابته
وامثالهم نخبة المسلمين رجال الفتوح وقادته
فـ «مختار» برقه ذاك الأبى الذى طافت الأرض شهرته
لصنو لهم فى قياس الفحول وتمتاز عنهم صـــلابته
عقيدته فى الحياة الجهاد لتحفظ للشعب حرمته
وتلقاه فى البأس والمكرمات له فضله ومهابتـــه
إذا اتصفت بالدهاء الرجال وبانت من العدل وجهته
فقول الكتاب له مبدأ وصوت السلاح سياسته
أبى شرفا أن يفك الركاب وأن تلق السيف راحته
ومازال فى السرج شاكى السلاح توشحه بنـــدقيته
يصادم فى طلعة الهاجمين وأول طـــلق رصاصته
ويغزو على القوم فى دارهم فتفضى إلى النصر غزوته
إلى أن قضى تحت حكم القضاء شهيداً فكانت نهايتـــه

* * * *

لئن مات شهم الوغى عمر ولما تحـــقق رسالته
فقد أوجدت فى شعور العروبة نوراً يشع عقيدتـــه
يسير بها فى دورب الظلام فتهدى إلى الحـــق لمعته

كما علم الروم أن الجهاد منى العربى وبغيتـــه
وعلمهم أن وكر النسور حرام على البوم وطأته

* * * *

حديثك ياعمر الخيرين تغـذى النفوس روايته
وذكرك باق مع الخالدين به تختم المجـــد صفحته

هذا : وقد رأينا أن نختم قسم المراثى فى كتابنا هذا بقصيدة أمير القوافى الأستاذ معروف الرصافى التى أنشدها بمناسبة الغزو الإيطالى سنة ١٩١١ م وهى من غرر القصائد التى قيلت فى هذا المعنى

الا انهض وشمر أيها الشرق للغرب وقبل عنان السيف واسل هوى الكتب
ولا تغتروان قبـل عصر تمدن فقد بان ماقالوه من أكذب الكذب
ألم ترهم ما بـــين مصر وتونس أباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب
وما اقصد الطليان بالذنب وحدهم ولكن جميع الغرب اقصد بالذنب
فـــلولاهم لم ينقض العهد ناقض ولا ضاع حق فى طرابلس الغرب
بلاد غدت فى الحرب تندب أهلها فتبكى وتستبكى بنى الترك والعرب
قد اغتالها الطليان وهى بمضجع من الامن لم ينضض برعب على الجنب
فما انتبهت إلا لصرخة مدفع وما نهضت إلا إلى موقف صعب
فأمست وافواه المدافع دونها تمج عليها النـــار كالوابل السكب
صواعق من سحب الدخان تدكها وتنسفها نسف الزلازل للهضب
غدت ترتمى فيها أصيلا وبكرة فلا يابساً أبقت ولم تبق من رطب
وما أن شكت من عضة الحرب أهلها ولكنهم شاكون من عضة الجدب
فما خفقت عنـــد الهياج قلوبهم ولا أخذت أعصابهم رجفة الرعب
ولكن جرت نكب الرياح بأرضهم فجرت عليهم كلكل اللجج الشهب

يعز علينا أهـــل برقة انكم ... تدور عليكم بالدماء رحى الحرب
وانا إذا ماتستغيثون لم نجـــد ... اليكم على بعد المسافة من درب
وقد علم الأعـــداء أن سيوفنا ... تململ فى الأغماد شوقا إلى الضرب
ولكن هو البحر الذى حال بيننا ... فلم نستطع زحفاً على الضمر الغلب
فلولاه فاجأنا العـــــدو بفيلق ... يبين ضحى من هوله مطلع الشهب
فيا بحر فاجمد وانفر ان جيوشنا ... عليك غدت كالبحر يزخر بالعتب
ويا ريح قد ضقنا فهل لك طاقة ... لحمل منايانا إلى المعرك الرحب
إلى خير أرض داسها شر معشر ... بأرجلهم قطعن من أرجل جرب

نراك على بعد تســـامين ذلة ... فيحزننا إن لم نكن منك بالقرب
وما نحن إلا الليث شدت قيوده ... والقى حيـــا شبله فى فم الذئب
يرى الشبل مكتوفاً فيزأر موثقاً ... ويضرب كفيه على الأرض للوثب
فلا يســـتطيع الوثب إلا تمطئا ... وزأرا وانشاب المخالب فى الترب
أمام العـــلا فى أرض برقة اننا ... لنشرق من جراك بالبارد العذب
ويا أهل بنغازى سلام فقد قضت ... صوارمكم حق المواطن فى الترب
حميتم حمى الأوطان بالموت دونها ... وذاك بما فيـــكم لهن من الحب
ومن مبلغ الشيخ الســـنوسى أنه ... يمد لهذا الصدع منه يد الرأب
فانا لنرجو أن يقود إلى الوغى ... طلائع من خيل ومن أبل نجب
فيحمى بلاد المسلمين من الردى ... وينهض كشافا لهم غمة الخطب
فإن حشا الإسلام أصبح دامياً ... إلى الله يشكو قلبه شدة الكرب
فقم أيها الشيخ السنوسى مدركاً ... جنود بنى عثمان فى الجبل الغرب
وكن أنت بين الجند قطب رحى الوغى ... وهل من رحى أن لا تدور على قطب
ويا معشر الطليان قبحت معشرا ... وقبحت ياشعب المخانيث من شعب

تركت وراء البحر مزحف جيشنا ... وأججت نارا فى طرابلس الغرب
أتحسب هاتيك الديار وقد خلت ... من الجند تخلو من ضراغمة غلب
فما هى إلا أرض أكرم معشر ... من العرب لم تنبت سوى البطل الندب
سترجع عنها بالفضيحة ناكصا ... وتذكرك الأيام باللعن والسب
مشيتم إلينا معجبين بجمعكم ... تظنون حرب المسلمين من اللعب
فلما حللتم أرضنا ذقتم الردى ... بأسيافنا حتى صحوتم من العجب
سنلبسكم ثوب المهالك ضافياً ... ونحملكم منها على مركب صعب
ونستمطر الأهوال حتى نخيضكم ... بسيل دم فوق البسيطة منصب
وما دعوة البابا لكم مستجابة ... فقد اغضبت طغواكم غيرة الرب
أجل انكم اغضبتم الله فاتقوا ... وإن رضيت تلك الحكومات فى الغرب
ايا زعماء الغرب هل من دلالة ... لديكم على غير الخديعة والكذب
تقولون إن العصر عصر تمدن ... أمن ذلكم قتل النفوس بلا ذنب؟
ألم تبصروا القتلى يمج دماؤها ... على الأرض والجرحى يونون فى الحرب
أفى الحق أم فى العلم ألا يسوءكم ... ويخجلكم شن الاغارة للغصب
وهل أغلقت هذى العلوم قلوبكم ... بأغلفة قدت من الحجر الصلب
كذبتم فان العصر عصر مطامع ... تقر لها الأوداج بالصارم العضب
فلا تغضبوا الإسلام أن سيوفهم ... مواض كما قد كن فى سالف الحقب

السيد عمر المختار أثناء وضع القيد الحديدى برجليه (سبتمبر ١٩٣١

من مناظر المدنية الفاشيستية فى ليبيا

الزجل الشعبى

لم يتاخر الزجالون الشعبيون فى كل بلد عربى من تصوير المشاعر والأحاسيس التى أثارها فى الشعوب العربية مقتل الشهيد عمر المختار ، ولدينا عدد كبير من هذا النوع الذى كان كالمرآة الصافية التى تنعكس عليها حقيقة المشاعر ولقد رأينا بأن ننقل منها القليل لنعرضه على القراء الكرام

وبين يديك أيها القارىء الكريم قصيدة شعبية عصماء أثارها شعور الشاعر البدوى عبد القادر بوفكيرين البرعصى البرقاوى الأصل ، والجنسى المصرية قال

السّيد ولد مختار طافى ضيَّهْ ... أو دَالَت عليهْ أجيوش طليانية
عندى غايهْ انجرّد الّلى ... شاق مثهل شقايه
أنسد السهل والوعر والحمراية ... من مكة إلى بغداد ولتركيَّا
أو رجال اليمن تفزع أمِى ونَّايهْ ... أو تجيكْ سايقا كيف الرعدفى ديَّهْ
أو تجِيك (عتيبهْ) ... فراسين فى يوم السحاق تعيبهْ
أ[وشمّر]تهب أو[عتيل]فالتغريبهْ ... على رأىْ واحد عاقدين النيَّهْ

المعنى : فى قول الشاعر هو : إن غايته يدعو كل من كان مثله فى الشقا ليملأ السهل والوعر والفضاء الواقع بين مكة وبغداد وتركيا ، ولم يتوانا رجال اليمن أيضا ، ويأتى الجميع مندفعون فيحاكى اندفاعهم صوت الرعد ودويه ، وتأتى أيضا قبائل عتيبه وهم الفرسان الذين يتعبون عدوهم يوم الوغى وتهب أيضا قبائل شمر وعقيل متجهة نحو الغرب وكلهم على رأى واحد وعلى نية واحدة .

أو[جرْهم]امتَا[قحطان]قوم عجيبهْ اتقُوم من [تهاما] تسعطاشر ميَّه
اتقوم [الطايف] أو مكّة أو ما لفَّتْ اتجيك ضفايفْ
الفارس يصادم الألف ماهو خايف غالى عليه الموت لهْ لذيَّهْ
فوق مالشَّنايفْ ساحبات رهايفْ الفارس مرايفْ عَالسحاق أوليَّهْ
أو تفزع [شِمْر] على كل صكلاوى أيجيك أمضمر
أو مير[نجد]بُو فيصل إيجيك أيقمَّر امتَاهْ قوم من قطقط الوهابيَّهْ
جيش العرب من قبل ياما دمَّر مَ الصِّين للقوقاس لفْرِقيَّه

المعنى : قبائل جرهم وقحطان ، تقوم من تهاما وعددها تسعة عشر مائة (١٩٠٠)

ويقوم سكان الطايف ومكة ومن لف حولهم فيأتون جماعات ، وكل فارس منهم يصطدم بالألف من أعدائه دون خوف فالموت عنده فى هذا الموقف غال وله لذته ، وكل منهم يمتطى جملا (من نوع الهجين المشنف) وقد سحب سيفه شوقا للمعركة وماينتج عنها من المصاعب ، وتأتى قبايل شمر وكل فرد منها يمتطى جوادا مضمرا كى لا يتعبه الأكل والشرب ، ومن بينهم أمير نجد والد فيصل (الملك عبد العزيز بن السعود) يسابق الجميع ، ومعه أقوام من قبائل (قطقط) أصحاب العقيدة الوهابية ، وهكذا جيش العرب سبق أن دمر أعداءه فى الصين والقوقاس وأفريقيا (شاء الشاعر أن يختصر هنا عن التفاصيل الجغرافية) .

[سوريا] نبغـــــــــوها أو رجال نجد فِي لَوَّلْ أو مَانسوها
أو فلسطين ما تقعد نهار أنجُوها يدَّانوا على نار الجحيم الحيَّهْ
أمعـــــــــاى [حرابى] همْ إخوتى ، هم عزوتى وأصحابى
فراسيس مثلى ينطحوا الطوابى على كلْ زرقا تشبه النبيهْ
ما عمر داروا للنطاحْ احسابى طيور عاديهْ وَانْ العشا مدعَيهْ
امعـــــــــابيْ [عَرَاوَى] رصاصهم ايشُيِّبْ فالعدُو يزّاوى
فراسيْن وأخذهمْ امعاى نَقَاوَى أكبودهم دَرَاهَا والعزوم قويَّهْ
اْيزوم طبْلهم من بينهم يدَّاوى تنَاغِى على حسَّهْ كما القمرَيْه
يغزعوا أو يجـــــــــونا أولاد[كعب]لانسوا أولا ينسونا

المعنى : نريد رجال سوريا ، ولن ننسى رجال نجد فهم فى الأوائل ، وسوف لن تتأخر فلسطين فى اليوم الذى ناتوها مستنجدين ، وكلهم سيندفع إلى نار حية كالجحيم ، وكذلك معى قبيلة الحرابى فهم الاخوة والأصحاب وبهم اعتز ، لأنهم من الفرسان الذين ينطحون حصون العدو وكل منهم يمتطى صهوة فرس زرقاء تشبه الحمام البرى سرعة ، وهم الذين لا يحسبون لمناطحة العدو طيلة العمر أى حساب وهم أمثال الطيور الجارحة التى أطلقت فى موعد عشائها ، ومعى أيضا قبيلة (العراوى) أولئك الذين يشيب العدو من هول دوى رصاصهم ، وسأختار من هؤلاء فرساناً لهم حزم قوى وأكباد تتفتت غيضا من العدو ويصدح الطبل بينهم فيترك دويا يتجاوب صداه مع صوت الحمام القمرى ، ومن بين من سياتى لنجدتنا أولاد كعب فإننا لا ننساهم ولن ينسونا .

أظاهر ا يحبى راكب قصيرا قيونه بُوه مَخْلدى والأمْ ريفاويهْ
ابْسيفا أو فيده بندقًا مقرونَهْ أو عزْما كا عنترُ او عِينْ قويَّهْ
تمنيتـــــــــــنى فى جاره أو ميّتْ الف من بوعاص تأخذ ثارَهْ
أونَا فوق من قادر لذيذ مسارَهْ أيقطّم أطراف الدير من جُوجيَّه
أو نْشنُوا على الطليان أعظم غاره على كلْ شوما فالنسب بجدّيه
امْعَـــــــــاىْ [جوازى] رصاصهم اِمْزق فالعدو مايْوازى
على كلْ حَمْرا عايشًا قنطازى عريضتْ كَفَلْ من صغرها معشيَّهْ
انْخَشوا على درنَهُ مَعَ بنغازِى أو طبرق أو جَالُو يحصَلَنْ فالخيَّهْ

المعنى : وفى أولهم زعيمهم طاهر (هو طاهر بك المصرى) يمتطى صهوة جواد محكم تقاطيع الجسم معروف النسب ، يحمل سيفه وبندقيته المزدوجة وله عزم يحاكى عزيمة فارس العرب عنترة العبسى وله نظرته القوية ثم إن الشاعر تمنى لو أنه كان مجاورا لعمر المختار عندما وقع أسيرا ومعه مايه ألف من قبائل البراعصة للأخذ بثاره ، وفى هذه الحالة تمنى الشاعر أن يكون ممتطيا جواداً سميناً قوياً خفيف السير فإذا ما اندفع بقوته قطع الدير (الحزام) الذى يربط السرج على ظهره ويتمنى الشاعر أن يشن غارة كبيرة على إيطاليا وكل من رفاقه يمتطى فرساً نجدياً ومعه فرسان من قبيلة الجوازى وكل منهم يمتطى فرساً أحمراً من النوع الذى عاش فى رغد ووصف الشاعر عرض مؤخرة ظهر الفرس الذى عاش منذ الصغر فى دلال

ثم قال الشاعر : وندخلو مدن درنه وبنغازى وتكون طبرق وجالو فى حوزتنا ، ثم يقول الشاعر :

امعـــــــــانى اخوانى فراسين فى يوم البلا (عيلانى)
أو جملتْ ضنا رعاص فالميدانى يدّاعو على المدفع كا الجنيّهْ
أو يقبا نهار النحس عل الطليانى أو نار الوغى تنقاد فى لُميّهْ
ينكسرْ اسطـــــــــولَهْ أيقبا كا اليونان أضعف دولَهْ
أو دِينْ المهيمَن ينتصر با فحولا كيف ما نَشا فى لَصْل من باديّهْ
بعزة اللهْ أو بقوتا أو بحوْلَهْ ملايين ما سدّنْ خماس الدنيّه
إمعـــــــــانى عصاره أولاد [طاميهْ] يوم البلا جزّارَهْ
لا تسألْ فى مدفع ولاَ طيّارَهْ أولاَ من مدرّع يابال من غدريّه
أيروق خاطرى وقتا انحق نَصارَة جماجم على سطح الوطا مرميّه
مَـــــــــايْ مردُومَه أولا تعرف الجثّهْ من الجمجُومَهْ

المعنى : معى الإخوان من أبناء قيس عيلان المعروفين فى يوم الكريهة ، وجميع أبناء قبيلة البراعصة (هم أهل الشاعر)يكونون فى الميدان ويتسابقون على المدفع كأنهم فى سرعتهم وإندفاعهم مجانين ويكون على الطليان يوما نحساً وتشتعل النار فى الماء ، وينكسر أسطولهم فيضعفوا ، وشاء الشاعر أن يشبه الضعف الذى أراده للطليان بضعف دولة اليونان وذلك بحول الله وبعزته وبعونه وسوف لن تكفى الملايين من أبناء إيطاليا للقصاص الذى نريده كثمن لحياة عمر المختار . ثم لا يكتفى الشاعر عن جمعهم من العرب فقال معى أولاد (طاميه) المشهورين بالعفاف وبأنهم كالجزرين يوم الوغى ، وإنهم لا يخشون المدافع ولا الطيارات ولا المدرعات فما بالك بالمسدسات وكل ما أرى جماجم النصارى مرمية على سطح الأرض (يقصد بالنصارى هنا الطليان) يروق خاطرى لا سيما إذا لم تكن مردومة تحت التراب بحيث لا يستطاع التفريق بين الجثه وبين الجمجمة .

غباوين تطرطش اتجسى ملومَهْ امصير البنادم موت بالكليَّهْ
الذَّلْ عارْ مَا يطول الى معدومَهْ أو قَوْ العزايم مرجَلا أو مزيَّهْ
يرحمـــــــــا مولاى انجاهْ من قرَ التنزيلْ آيَهْ آيَهْ
حاكم أمسيطر باديا أو زَوَايَا عالم شريف الفعل م السنيَّهْ
قضا العمر ما نسبتْ عليه أسوايا أمفيتْ اجتهادْ أوهمتا العليَّهْ

وقال عبد السلام باشا الكزة رداً على بيت أنشده حمد باشا الباسل معزيا

نلقن العزافيه راع التليل عناقيل خيـــل (١)
فوَّلْ [طوابير] دايرات سيل فراسينْ فى يوم زَمْ الرحيلْ
فكَّا كَنْت النـــــــار أطْوال العنا يوم ضرب العيارْ
هاذيك هِى اللى خير من قُول قيلْ اتجلّى الغيَـــــــارْ
أو تبرى قلب ما النيض رايَحْ دمار .

المعنى : يقول الشاعر : سيان عندى أن يتشتت الموقف أم يكن مضموما فمصير كل ابن آدم هو الممات، ثم يقول الشاعر : الذل عار ويعيب ولن يطيل عمرا كتب عليه العدم ، وكل المزايا والرجولة تتجلى فى ذوى العزائم القوية ، ثم يتوجه الشاعر بالدعاء إلى الشهيد عمر المختار فيقول ببركة من قرأ القرآن أرجو الله أن يرحمه فهو الحاكم الذى سيطر على البدو وأهل الزوايا ، وهو العالم الشريف العمل ، المنسوب على أهل السنة .

(١) المفردات نلقن (نجد) راع التليل (صاحب الجواد الأصيل) فول (فى أول) المعنى : أن العزاء فى عمر المختار هو أن تكون مجموعة من الفرسان تتقدم قوات من الجيش المندفع كالسيل الجارف ، ويكونوا من أبطال الدفاع عن الأهل والمال أثناء المعارك التى تقام أثناء الرحل للأخذ بالثار ، وكل منهم يتمتع بصيت طويل .هذه الحالة هى التى تقوم مقام التعزية وتجلى الصدى من القلب الذى دمره حادث مقتل عمر المختار وتبزيه من كل غيض ألم به .

فأجابه الشيخ الفضيل المهشهش بقوله

نلقنْ العزا فيه ركّاب سمح النبات لُو بكا بَنَاتْ (١)
أولاَهن حجج فى ورق بايزات حقّهْ طوابير متنزماتْ
ايجنه اصـــــدار فا لقايلا عز وسط النهار
أو يقبن ابكُوا ما بَدا دازتْ
أو يديرن نهـــــار ما عمر طرى فى حرب صار

وقال الزجال البدوى الشيخ المدهم بوشيبة يصف اندفاع المصفحات البريطانية وهى تحمل الجيش السنوسى فى برقة وقد شتتت قوات إيطاليا ومزقتها شر ممزق أثناء الحرب العالمية الثانية

ادّاعن على وطنًا بأمر سيدى كراهب حديدى (٢)
خَلَص دِينًا لوّلِي والجدِيدِى

---

(١) المفردات نلقن (نجد) سمح النبات (جميل كينونة الجسم) لو (ليس) بكا بنات (بكاء البنيات) أولاهن (وليس هن) بايزات (خاسرات) متنزمات (منتظمات) ايجنه صدار (يصلن إليه علنا) فالقايلا (القيلولة) أو يقبن (ويكونن) أبكوماندا (بالأمر) دازات(مندفعات) أو يديرن (يفعلن) ماعمر طرى (لم يذكر طيلةالعمر)
(٢) اداعن (اندفعن) كراهب (سيارات) دينا لولى والجديدى (الدين القديم والحديث)

المعنى : لا تتمثل التعزية فى عمر المختار ببكاء البنيات او بما يكتب من أقوال فى أوراق مآلها الفناء ولكن العزاء الصحيح يتمثل فى قوات من الجيوش تأتى جهرة فى اندفاع منتظم موعدها مع الأعداء فى القيلولة ليكون بذلك يوم على الأعداء لم يعرفه تاريخ الإنسان طيلة عمره .

أدّاعن على وطنّا بالعجلْ والكافر حصـــــــــلْ
والله انجى ما لحرب سلّم أو ذلْ أنلقنّ خلّص حق ميرْ الجبلْ
حمّالْ الصهيـــــــــدى اللّى راح فى يوم بارد بريدى
أدّاعن على وطنّا والعقارْ أوثار الغبـــــــــارْ
أو خلص دينّاما لكمّر وسط النهار واحنا ميرْنا زين صاحب أفكار
شكْ الوقيـــــــــدى من مصر لا عِنْدَ بر العبيدى
أو حرّكْ أقرانات خيرا أكبارْ حسابهنّ ءـــــــــدى
خلّنهم طراطيش كفّها من إيدى :

المفردات الكافر (الطليانى) انلقن (نجد) ميرْ (أمير) الصهيدى (من الصهد) اداعن (اندفعن) واحنا (نحن) ميرنا (أميرنا) زين (عظيم) شك (أشعل) الوقيدى (كناية عن الحرب) لا عند (إلى) بر العبيدى (السودان) قرانات (حكومات) خيرا (عظيمة) خلنهم (تركنهم) طراطيش (مشتتين) كنها (كأنها)

المعنى اندفعت السيارة بأمر الأمير إدريس وبذلك خلصنا فيما نطالبه من ديون قديمة وحديثة على إيطاليا والذى لم يمت من الطليان استسلم ذليلا وهذا ما يستحقه فى أعناقنا أمير الجبل (عمر المختار) الذى تحمل حر القتال فى سبيلنا وضاع فى يوم أبرد من البرد. فاندفعت السيارات فى أرض الوطن وأثارت الغبار فى سبيل تخليص ديننا من إيطاليا علنا وفى وضح النهار، وأميرنا العظيم صاحب الأفكار النيرة أشعل الحرب ضد إيطاليا فاشتعلت فى جميع الأماكن الواقعة فيما بين مصر والسودان إلى ليبيا، وقد حرك لذلك حكومات عظيمة وكثيرة العدد (يقصد الشاعر دول الحلفاء فرقت هذه الحكومات شمل إيطاليا)

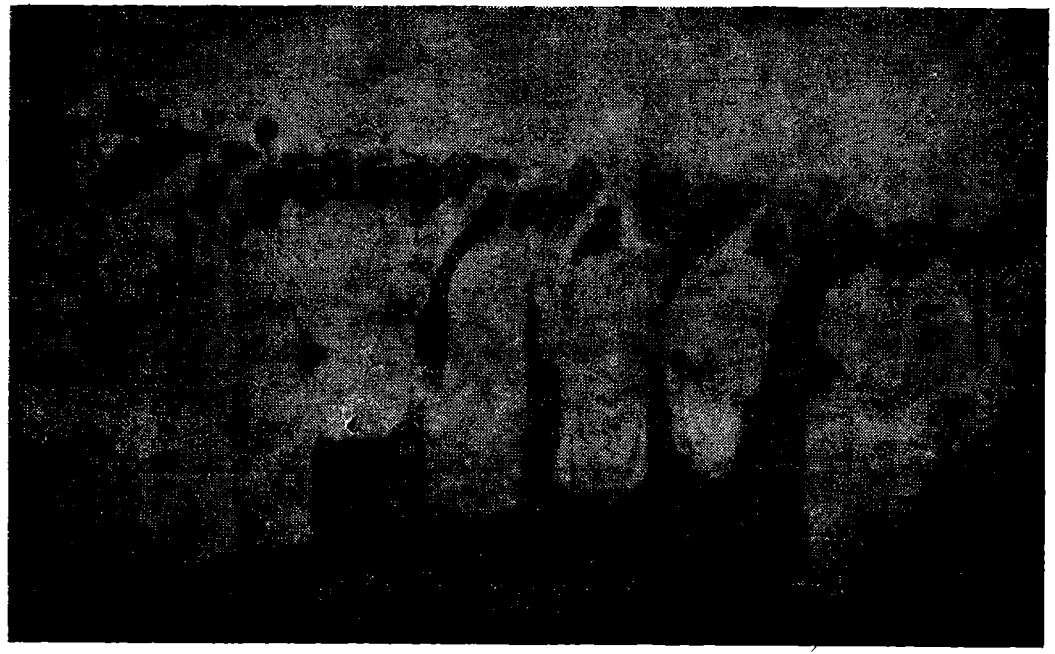

السيد عمر المختار ويرى عن يمينه السيد الحسن السنوسى كما ظهر فى الصورة السيدان الفضيل بو عمر
وعبد الحميد البار أثناء أحد الاجتماعات مع الوفد الإيطالى (١٩٢٩)

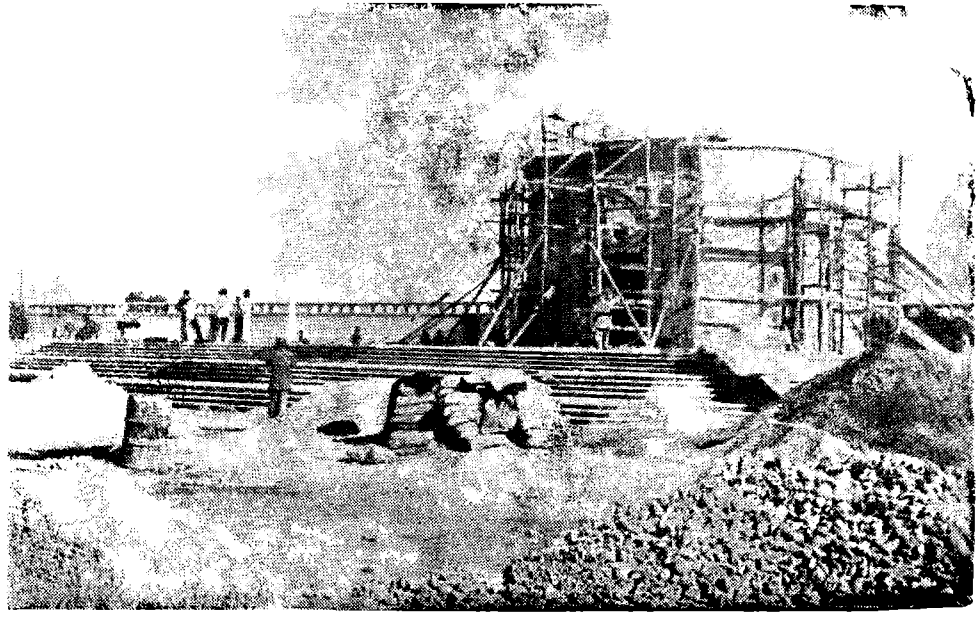

منظر الضريح الجديد لشيخ الشهداء عمر المختـــار

مواضيع الكتاب

صحيفة

كلمة المقام السامى

مقدمة الكتاب

المجاهدون يتكلمون ٤

البيئة ١٧

القبيلة والنظام القبلى ، المهدى السنوسى
مولد عمر المختار ونشأته وحياته بين أهله

فى ميدان العمل ٣٥

الإخوان السنوسيون ، إستنكار دفع الأتاوة ، عمر المختار
فى السودان ، عمر المختار يعين للمركز الإصلاحى (الزاوية)

فى ميدان الجهاد ٤٤

تنظيم حركة الجهاد ، عمر المختار وعزيز باشا المصرى ، الهدنة
الموقتة ، تسجيل المتطوعين ، عمر المختار فى مصر ، وسطاء
إيطاليا ، معركة بئر الغنى ، تنظيم معسكرات الجبل الأخضر

فى الجبل الأخضر ٦٦

توقف القتال فى طرابلس ، احتلال برقه الغربية ،
حصر الجهود الايطالية ضد عمر المختار
الخاضعون لإيطاليا يتعاونون مع المجاهدين

سفاح برقة ١٢٣

غرسيانى فى برقه فتح المعتقلات
احتلال الكفرة الأسلاك الشائكة

الأسد الأسير ١٤٢

عمر المختار يقع أسيراً أعصاب سفاح برقة تنهار
عمر المختار يرد على سفاح برقة محاكمة عمر المختار
تنفيذ حكم الاعدام ثياب بالية ونفس كبيرة

الاسلام قوة ١٧٢

أمير الشعراء وشاعر القطرين ١٨٣

الزجل الشعبى ١٩٧

كتب للمؤلف

برقة العربية أمس واليوم	طبع بمصر ١٩٤٦
أدريس السنوسى (الحلقة الأولى)	طبع بمصر ١٩٤٨
المهدى السنوسى	طبع بليبيا ١٩٥٢
ليبيا اليوم (معلومات عامة)	طبع ببغداد ١٩٥٥
السنوسى الكبير	طبع بمصر ١٩٥٦
أبطال الجهاد والسياسة (إبراهيم الشلحى)	طبع بمصر ١٩٥٦
أدريس السنوسى (١)	طبع بمصر ١٩٥٧

قادة النهضة العربية الحديثة	مخطوط
القبائل العربية بمصر وليبيا	مخطوط
ليبيا والسودان يلتقيان	مخطوط
الإخوان السنوسيون	مخطوط
العمرون	مخطوط
سعود العرب (٢)	مخطوط
ثلاثة عرفتهم (٣)	مخطوط
الأسرار السياسية فى ليبيا	مخطوط
« من وإلى » (٤)	مخطوط

---

(١) كنا سنة ١٩٤٨ أصدرنا الحلقة الأولى من سيرة وجهاد العاهل الليبى العظيم أدريس السنوسى وفى سنة ١٩٥٧ أصدرنا كتابنا (أدريس السنوسى) الذى شمل الحلقة الأولى « المؤلف »

(٢) كتاب وضع بمناسبة زيارة صاحب الجلالة الملك سعود تلبية للدعوة التى وجهها إليه العاهل الليبى الملك أدريس

(٣) عبد الرحمن المهدى ، إسماعيل صدقى ، نورى السعيد ، وقد بدأنا جمع هذا الكتاب وتدوينه من سنة ١٩٤٣

(٤) قصة مستمدة من صميم واقع الحياة فى البلاد العربية .

التصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	٢	لهـــدى	الهـــدى
٤٤	٣	المتصوعين	المتطوعين
٤٧	٢	بأثقاله إلى	بأثقاله التى
٥١	١٥	جهات ثلاثة	جبهات ثلاثة
٥٤	٢	الميعاد التى	الموعد الذى
٥٧	١٣	أنه مريضاً	أنه مريض
٦١	٢٤	قد لبث	قد لوث
٩٦	٢	وزليش	وزليطن
١٠٢	٧	لعمل المختار	لعمر المختار
١٢٥	١٥	بتغافم	بتغافل
١٢٩	٥	النى	التى
١٣٣	٩	مليلتى	ماليتى
١٨٤	٥	للاجواء	الأجواء
١٨٤	٢٢	الطلعة	الطعنه
١٨٥	٢١	وعلى واحهم	على أرواحهم

مطبعة محمد عاطف
١٧ ميدان الخانكة - الروبيكي - مصر
تليفون ٥١٩٩٤

طبع هذا الكتاب بعناية (مكتبة القاهرة)
شارع الصنادقية بالأزهر صندوق بريد ٩٤٦ مصر ويطلب منها